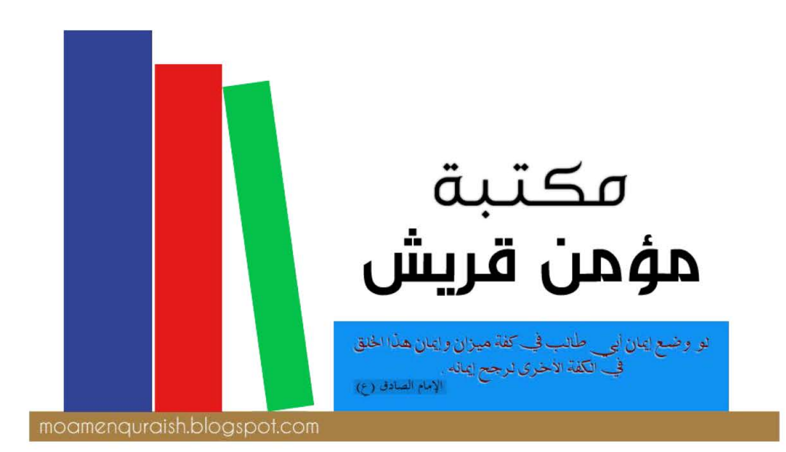


أسرار العبادات

الصلاة - الصوم - الحج - الزكاة
الجهاد - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

للعارف القاضي سعيد القمي




مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com



الكتــاب : أسرار العبادات

الصلاة ـ الزكاة ـ الصيام ـ الحج ـ الجهاد

الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

الـكـاتـب : العارف القاضي سعيد القمي

الناشــر : مركز بقية الله الاعظم(ع) للدراسات والنشر

الطبـعـة : الاولى ـ بيروت ـ ١٩٩٩ م

طبع هذا الكتاب ملحقاً بكتاب شرح توحيد الصدوق
للكاتب في ايران. ونظراً لأهميته أفردناه في طبعة
مستقلة في بيروت لتكون في متناول الجميع

جميع الحقوق محفوظة ©

أسرار العبادات

الصلاة ـ الزكاة ـ الصيام ـ الحج ـ الجهاد
الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

العارف القاضي سعيد القمي

محتويات

أسرار العبادات

من حياة القاضي سعيد القمي

هو «المولى الفاضل الحكيم العارف المتشرع الأديب الكامل المحقق الصمداني» محمد بن محمد مفيد وكما يقول نفسه: «المدعو بسعيد الشريف القمي».

ويظهر من مقارنة شتى كلماته في مختلف آثاره انه ولد في العاشر من ذي القعدة سنة ١٠٤٩ هـ وتاريخ وفاته مجهول.

وأقول: على ما في خاتمة المجلد الثالث من شرح التوحيد انه كان حياً في ثامن عشر شهر رمضان المبارك لسنة ١١٠٧ هـ.

وعلى ما جاء في كتب التراجم، ولد **بقم** المقدسة وبعد تحصيل المقدمات وبعدما قرأ على أبيه الطب في صغر سنه، هاجر الى أصفهان وكان متردداً بين اصفهان وقم المشرفة طوال عمره الشريف. في هجرته الأولى لأصفهان دخل في زمرة أطباء **الشاه عباس الصفوي** الثاني كما كان أخوه الحكيم **ميرزا محمد حسين**. وكانا معظمين عند السلطان. وفي نفس الوقت تتلمذ على المولى رجبعلي التبريزي، وبعد عدة سنوات تصدى لمنصب القضاء بقم من قبل السلطان. وبعد جلوس السلطان سليمان الصفوي (١٠٧٧ هـ) غضب عليه الشاه وأمر بحبسه في **قلعة الموت**؛ ولكن سلامة نفسه كانت سبباً لعفوه، فأقام بقم المشرفة مشتغلاً بالعبادة والتدريس والتصنيف حتى سنة ١٠٨٩ هـ.

وذهب الى اصفهان في تلك السنة واقام بها حتى سنة ١١٠٢ هـ ثم رجع الى قم . وإن لم نعلم تاريخ رجوعه . متصدياً لمنصب القضاء وشيخ الإسلامية بقم من قبل **الشاه سليمان الصفوي**، وهو مدفون بقم المقدسة.

مكانته العلمية وسيرته العملية: كان القاضي سعيد من الجانب العلمي طبيباً، أديباً وشاعراً بالفارسية، فقيهاً، حكيماً، عارفاً، متضلعا في الأخبار والأحاديث خاصة المشكلة منها بالشرح والتأويل. تتلمذ في الطب على أبيه بقم وأقبل عليه في صغر السن وأيام الشباب. وتتلمذ في الحكمة على المولى **رجبعلي التبريزي** (المتوفي ١٠٨٠ هـ) باصفهان، وهو من العلماء المقربين والمعظمين عند الشاه الصفوي يزوره الشاه وخواصه وأمراؤه حيناً بعد حين: وتتلمذ في العلوم الدينية والحقيقية على المولى **محمد محسن الفيض الكاشاني** (المتوفي ١٠٩١ هـ)؛ وأقبل على شرح الأحاديث وتأويلها حينما بلغ عمره ثلاثين سنة وقام بها طوال عمره الشريف وترك لنا في هذا الباب تراثاً ضخماً . ويظهر من آثاره من نقله واستناده على أقوال كثير من العلماء ونقدها، سعة اطلاعه وقوة فهمه ومرتبة علمه واستقلال رأيه؛ وأما في الجانب العملي فهو سالك متشرع وله ميل للتصوف والعرفان كان مؤيداً بروح القدس ومشمولاً بتأييدات غيبية وكما يقول هو عن نفسه كان مفاضاً وملهماً من عند الله في فهم الأسرار المكنونة والدقائق الكشفية المخزونة في الآيات والأحاديث وكان مقيداً بتبعية أهل البيت عليهم السلام ومصرِّحاً بها في العلم والعمل. فهو . رضي الله عنه . متوغل في التوحيد وحب أهل البيت والاقتباس من مشكاتهم والسير على سنتهم وسلوكهم وتأويل وتشريح معضلات كلامهم. وما قالوا فيه من

ميله المفرط الى التصوف، فيه تأمل فانه . رحمه الله . متمسك بحبل النبي والوصي والملتجى الى عتبة باب العلم ولم يتمسك بالآراء والأهواء ويرى شرافته بنسبته الى النبي والآل.

ومما يهمني ذكره انه وإن كان معظّماً عند سلاطين زمانه وتصدى لمنصب القضاء الشرعي من قبلهم، ولكن لا نرى في كلماته ما يمدحهم به كما لم نعثر على أثر أهداه الى أرباب السلطة وكأنه أغمض عينيه عن جميع مزخرفات الدنيا ومظاهر السلطة وأرباب القدرة.

مصنفاته:

له مصنفات كثيرة أكثرها في شرح الأحاديث المشكلة؛ كما انها باللغة العربية الا «كليد بهشت» و «أسرار الصنايع» فانهما باللغة الفارسية. استقت وانسجمت آثاره من الآيات والأحاديث وآراء الحكماء والمتكلمين وكلمات المفسرين والمحدثين ومواجيد وأذواق العرفاء والمحققين من أهل السلوك والأشعار الفارسية والعربية، وله عناية خاصة بالتأويل وكثيراً ما يصرح بما خصه الله به من الفهم.

ولنشرع بذكر بعضها:

١ . أسرار الصنايع في فلسفة بعض العلوم.

٢ . كليد بهشت في الحكمة.

٣ . الأربعين في شرح الأحاديث المشكلة.

٤ . شرح توحيد الصدوق.

٥ . الأربعينيات لكشف أنوار القدسيات.

١ . رسالة حقيقة الصلوة أو مقالة التوحيد.

٢ . رسالة إشارة وبشارة في حقيقة اختلاف الواقع في القراءات السبع.

٣ . رسالة الفوائد الرضوية في شرح حديث سؤال رأس الجالوت.

٤ . رسالة مرقاة الأسرار في بيان ربط الحادث بالقديم وحدوث العالم.

٥ . رسالة النفحات الإلهية والخواطر الإلهامية.

٦ . رسالة الأنوار القدسية في تحقيق الهيولي والصورة والنفس.

٧ . رسالة المقصد الأسنى في تحقيق ماهية الحركة ووجودها.

٨ . رسالة الحديقة الوردية في السوانح المعراجية.

٩ . رسالة البرهان القاطع والنور الساطع.

١٠ . رسالة الطلائع والبوارق في تحقيق ان لكل حقيقة من الحقائق الإمكانية صورة وأن أحسنها الصورة الإنسانية.

١١ . رسالة شرح حديث الغمامة من إعجاز أمير المؤمنين عليه السلام.

٦ . أسرار العبادات.

٧ . تعليقات على اثولوجيا.

٨ . روح الصلاة وهي تفصيل لرسالة حقيقة الصلاة.

٩ . حاشية على شرح الإشارات.

١٠ . شرح حديث البساط.

المحقق

نجفقلي حبيبي

كتاب أسرار الصلاة

كتاب أسرار الصلاة

وهي[١] لغة: الرحمة والدعاء[٢]؛ فيضاف إلى الله بمعنى الرحمة، وإلى الملائكة، بمعنى الرحمة والاستغفار للمؤمنين، قال تعالى: ﴿**هو الذي يصلّي عليكم وملائكته**﴾[٣] وقال سبحانه: ﴿**ويستغفرون للذين آمنوا**﴾[٤]؛ ويضاف إلى المؤمنين بالرحمة والدعاء، والأفعال المخصوصة المعلومة شرعاً؛ ويضاف إلى ما سوى الله من جميع المخلوقات من مَلَك وإنسان وحيوان ونبات ومعدن بحسب ما فرضت عليه وعينت له قال عزّ من قائل: «**أَلَمْ ترَ أنَ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ في السَّموات والأَرْضِ والطَّير صافَاتٌ كلٌ قدْ علِمَ صلاتَهُ وتَسْبيحهُ**[٥]». و «التسبيح» في لغة العرب تجيء بمعنى «الصلاة»[٦].

ثم اعلم، أنّ اشتقاقها:

إمّا من «التصلية» بمعنى تقويم العود بالنار، فكان المصلّي في توجّهه إلى الله وقصده إيّاه يقوّم ميله إلى الباطل واعوجاجه والحاصل، من النظر إلى غيره والتوجه إلى ما سواه بالحرارة التي حصلت له من الحركة الصعودية والقرب من شمس الحقيقة المعنوية وفي الخبر: «قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فاطفئوها بصلاتكم»[٧] أي النيران التي أوقدتموها من التوجّه إلى غير الله، واحتمال الذنوب الموجبة للنار، حيث حسبتم أنّ ما سواه يملك النفع والضرر، ويحصل منه الخير والشر، وزعمتم أنه يستقيم به عيدانكم[٨]،

ويعدل به ميزانكم. والتعبير ب «الظَّهر» لأنّه موضع ما سواه وإن كان **﴿فأينَما تولَوا فثَمَّ وجهُ الله﴾**(٩) فاطفئوا هذه النار الموقدة على الظهور المطّلعة على أفئدة(١٠) هذه الأبدان التي كالقبور ببرد اليقين ونزول غيث الرحمة بإقامة صلاة الخاشعين. ثم إن أردتم التقويم فعدّلوا ظهوركم بتعديل أركان الصلاة وقوّموها بقيامها كما هو حقّها.

وإمّا أن يكون اشتقاقها من «المصلّي» من سباق الخيل(١١)، وهو الذي يلي «السابق» في الحلبة، والصلاة ثانية في قواعد الإسلام كما في خبر بنائه على خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة والزكاة الصوم والحج. ولأنّ المصلي ثان في الرتبة على ما مضى من خبر: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي» وفي كتاب فلاح السائل لابن طاووس طاب ثراه قال: جاء الحديث: أنّ رزام مولى خالد بن عبد الله ـ الذي كان من الأشقياء ـ سأل الإمام جعفر بن محمد عليهما السلام بحضرة أبي جعفر المنصور عن الصلاة وحدودها: فقال عليه السلام: «للصلاة أربعة آلاف حدٍّ لستَ تفي بواحد منها» فقال: «أخبِرني بما لا يحلُّ تركهُ ولا تتمُّ الصلاةُ إلاّ به» فقال عليه السلام: «لا تتمُّ الصلاة إلاّ لذي طُهرٍ سابغ وتمامٍ بالغ، غير نازع ولا زائغ، عرفَ فأخبتَ فثَبَتَ، وهو واقف بين اليأس والطمع والصبر والجزع كأنّ الوعد له صُنِعَ، والوعيدَ به وقع، بذل عرضه وتمثّل غرضه، وبذل في الله المهجة، وتنكّب إليه المحجّة، غير مرتغم بارتغام يقطع علائق الاهتمام بغير من له قصد، وإليه وفد، ومنه استرفد، فإذا أتى بذلك كانت هي الصلاة التي **﴿تَنْهى عن الفحشاء والمنكر﴾**(١٢) فالتفت المنصور إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال: «يا أبا عبد الله لا نزال من بحرك نغترف، وإليك نزدلف، تبصِّر من العمى ويجلو بنورك الطخيا فنحن نعوم(١٣)، في سبحات قدسك وطامي(١٤) بحرك» ـ الحديث.

«الطهر السّابغ»، ما يكون الوضوء فيه بمُدٍّ، وقيل: ما يثّني فيه الغسلات، أو ما يروّى منه الأعضاء من الماء، أو ما يكون على طريقة أهل البيت عليهم السلام من كيفية الغسلات والمسحات، هذا في الظاهر: وأمّا اعتباره في الباطن فكما سيجيء في أسرار الطهارة. والظاهر هنا من الطهر السابغ، هو التبرّي من الشرك المطلق، ومن المخالفين لأئمة أهل الحق، كما يشعر بذلك معنى قوله: «وتمام بالغ» على ما سنذكره.

«والتمام البالغ»، هو البلوغ وكمال الرشد. وأمّا اعتباره في الحقيقة، فهو القول بإمامة عليّ وأولاده عليهم السلام والدخول في زمرة أوليائهم أمّا كون ذلك تماماً فلقوله تعالى: **﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي﴾**(١٥) وأما كونه بالغاً فلقوله سبحانه: **﴿يا أيُها الرسولُ بلِّغْ ما أُنْزِلَ إليكَ منْ ربِّكَ﴾**(١٦) يريد الولاية.

قوله: «غير نازغ ولا زائغ» كلاهما بالزاي والغين المعجمتين أي غير ناصب عداوة لأهل بيت الوحي والحكمة، ولا مائل عنهم إلى غيرهم من الغاصبين لحقوقهم والمبتزّين(١٧) لمقاماتهم. وبالجملة، لمّا كانوا هم المختصين بالحق، فالمعاند لهم والمائل عنهم، معاند للحق المطلق ومايل عن طريق الحق.

«عرفَ فأَخْبَتَ فَثَبَتَ»: أي عرف الحق، والداعي إليه بالحق، فأخبت إلى الله وإلى مولى الثقلين وانقاد واستسلم بالسمع والطاعة الحقيقيّين. ثم ثبت على ذلك اليقين العرفاني كالجبال الرواسي. و «الفاء» في الموضعين لسببيّة ما قبلها لما بعدها: أي إذا عرف ووصل إلى مقام المعرفة، يلزمه الإخبات والخضوع لا محالة ثم يلزمه الثبات على الطريقة المستقيمة.

فهذه الخمسة هي مقدمات الصلاة في الجملة، إذ لا بدّ قبلها من

أن يعرف أنه إلى من يتوجّه؟ وأين[١٨] وسيلته إلى ذلك؟ وهو الإمام الذي في الحقيقة عبارة عن صلاة أهل المعرفة، ولا بدّ أيضاً من أن يثبت على ذلك ليكون قيامه في الصلاة عبارة عن هذا الثبات.

ثم إن قوله عليه السلام: «وهو واقف» إلى قوله: «والوعيد به وقع» إشارة إلى مجمل أسرار «القيام» فإنّ الاستقامة الحقيقية هو أن لا يميل إلى الأضداد في الأخلاق. وهذا مرتبة المؤمنين الكاملين حيث استوى يأسهم ورجاؤهم وأن يصير من الأولياء الأحرار وذلك مقام الحرية، وهو أعلى درجات السالكين.

ولهذا المقام علامات: قال الله عز من قائل إشارة إلى العلامة الأولى: **﴿لِكَيْلا تَأْسَوا على ما فاتَكُمْ ولا تَفْرَحُوا بِما آتاكُمْ﴾**[١٩] وقال جلّ مجده إشارةً إلى الثانية: **﴿ألا إنَّ أولياءَ اللهِ لا خوفٌ عليهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾**[٢٠]. فالاستقامة في المقامين هي الخلوّ عن الطّرفين والتجرّد عن الوصفين بحيث لا يفرح من وجدان شيء من نعمة أو مدح أو أيّ شيء يورث الفرح، ولا يخرج من فقدان شيء حصل أو يحصل له. وبالجملة استوى بالنسبة إلى قاطبة الأمور ويقصر نظره إلى نور النّور وأمّا (العلامة) الثالثة، فمسببة عن الأوليين، إذ عدم الخوف والحزن والأسى والفرح يوجب وقوع الوعد والوعيد إذ المنتظر يلزمه أحد هذه الأمور كما لا يخفى.

وقوله عليه السلام: «بَذَلَ عَرَضَهُ» إلى قوله: «وتَنَكَّبَ إليه المَحجَّة»، بيان لمقام الرّكوع.

أما اللغة: فالعرض (بتحريك المهملتين الأوليتين): المتاع أي بذل رأس ماله. والغرض: الهدف وأيضاً المقصود والغاية أي جعل مقصوده من الصلاة نصب عينه وتنكّب: أي مال. والمحجّة: الطريق أي مال من كلّ جهة إلى الله والخضوع له والمعنى: أنّ الانحناء في الركوع بأن يخلو

بيته كالقوس ويتمثّل له غرضه ليصيبه بسهم نظره إليه فقط ويميل إلى الله بإظهار الافتقار والذلّة والمسكنة.

وقوله عليه السلام: «غير مرتغم» إلى قوله: «استرفد»، بيان للسجود وما يتبعه. والجملة الفعلية وقعت وصفاً للارتغام. وكلمة «غير» للاستثناء. و «الارتغام» هو اللّصوق بالرّغام الذي هو التراب أي غير مرتغم بارتغام قاطع للهموم وجاعلها (هماً) واحداً إلاّ لمن إليه قصد أي بعدما أظهر الذلّة في الركوع أتمّها بالسجود، وارتغام أنفه بالتراب الذي هو محل الذلّة ارتغاماً قاطعاً لجميع الهموم مصيّراً همّه واحداً إلى المقصود الأصلي والمطلوب الحقيقي، وذلك بالفناء عن نفسه وعن كلّ شيء.

ثم إذا رفع رأسه من السجود للتشهّد فهو في مقام الوفود إلى الله ذي الجلال والإكرام. والوافد مسترفد وطالب للإنعام فمن كان لله كان الله له؛ والسلام.

فهذا (المعنى) هو الصلاة التي تمنع من ملاحظة ما سوى الله والنظر إلى غير الله وسيجيء تفصيل هذا الإجمال في ما سيأتي من الأقوال إن شاء الله العزيز المتعال.

فصل في زيادات الصلاة: قيل: الحكمة في ذلك أن أصل الصلاة يقتضي الشفعيّة، للقسمة التي وقع عليها بين العبد والربّ ـ كما سبق ـ فأقلّها ركعتان لأنّ الإثنين أوّل الأزواج، فبالإتيان بهما تميّز الربّ من العبد كما في الصبح، واختصّ ذلك به لأنه وقت طلوع النور الغيبي على هياكل الممكن الذي هو الزواج الحقيقي. ومن البيّن، أن الشيئين إذا تألّفا، كانا شيئاً واحداً، فلهذا كانت الركعتان صلاة واحدة فإذا أضيفت ركعة، فذاك للإشارة بأن الركعتين المنقسمتين واحدة. ثم إنّ الشيئين

المشار إليهما بالركعتين واحد منهما يحيط بالآخر من جميع وجوهه بخلاف الآخر، فإنّه يتضمّن الأوّل من بعض الوجوه لأنّه الدليل عليه كما لا يخفى فالنظر إلى الواحد الأول يعطي الاقتصار على زيادة ركعة وذلك كما في المغرب؛ وأما إذا نظر إلى الأول والثاني من حيث أنّ الأول يتضمن الثاني(٢١) من جميع الوجوه والثاني يتضمن الأول من بعض الوجوه ظهرت الرباعية (وذلك(٢٢) كما في الظهرين وعشاء الآخرة) وأمّا إذا نظر في أول الأمر إلى استهلاك الثاني في جميع المراتب وأنّ الأول هو القيّوم. فحينئذٍ تكفي الركعة الواحدة وذلك في الوتر كذا قيل(٢٣) (مع زيادات ظهرت لي).

وصل: سيأتي أنّ صلاة المغرب إنّما هي لمرتبة الزهراء عليها السلام وهذه المرتبة تقتضي الوتريّة لأنّ الإنتاج لا يكون إلاّ عن الفرديّة. والثلاثة أوّل الأفراد، فالزائدة في هذه الصلاة ينبغي أن تكون واحدة لذلك، ولأنّ المرأة لها مرتبة الغيب والاحتجاب، فيغلب عليها جهة الواحد الأول الغائب عن العقول والأبصار. ولمّا كانت الصلوات الأخر الرباعية، لمرتبة الرسول والوليّ والسبطين كالظهر والعصر والعشاء، ولا ريب أن الرجل جامع لمرتبتي الغيب والشهادة، فاللائق بهذه الصلوات زيادة الركعتين لذلك.

ثم اعلم، أنّ هذه الصلاة المكتوبة تجب على من تجب بشرط البلوغ والعقل والطهارة، كما أشار الإمام إليه بقوله: «لا تتم إلاّ لذي طهر سابغ وتمام بالغ» والثاني إشارة إلى العقل والبلوغ، إذ البلوغ التامّ يكون بالعقل وإلاّ فلا ينفع.

وأمّا اعتبار الباطن في هذه الثلاثة، فالبالغ العاقل هو الذي يعقل عن الله أمره ونهيه وكلّ ما ألقاه في سرّه، ويفرق بين خواطر القلب

فيما هو من الله ومن نفسه، ويميّز بين لمّة الملك ولمّة الشيطان[٢٤] فإذا بلغ في المعرفة والتمييز إلى هذا الحدّ وعقل عن الله ما يريد منه وسمع قوله القدسي: «وسعني قلب عبدي» وجب عند ذلك طهارة قلبه من كلّ شيء يخرجه من مناجاة ربّه. وبالجملة يستعمل هذه الطهارة في قلبه وفي كلّ عضو من أعضائه الباطنة التي هي بإزاء الظاهرة، على الحدّ المشروع. ولنتكلّم على ذلك في فصول:

فصل في الطهارة: إعلم[٢٥] أنّ الطّهارة لغةً: النظافة وهي: إمّا طهارة الظّاهر أو الباطن: والثاني: إمّا طهارة النفس أو العقل أو السرّ؛ والأول: إمّا طهارة الحسّ أو طهارة الأعضاء من حيث مدخليّتها لإباحة عبادة ولا يقبل النقصان والزيادة، أو طهارة الأعضاء لا من هذه الجهة.

فالطهارة المعنوية للنفس، تخليتها من سفساف[٢٦] الأخلاق ومذامّ الأوصاف وتحليتها بمحاسنها ومحامدها؛

وطهارة العقل من دنس الأفكار المضلّة ووسخ الشُّبَه والآراء الباطلة؛

وطهارة السرّ من النظر إلى غير الله ونسبة أمر إلى ما سواه؛

وأمّا الطهارة الظاهرة للحسّ، فمن الأمور المستقذرة التي تستخبثها الطّباع وتستقذرها الأبصار والأسماع.

والطهارة العضوية المطلقة إنما هي من النجاسات الشرعية.

وأمّا الطهارة العضوية المبيحة فلها ثلاثة أسماء: وضوء وغسل وتيمم:

فالوضوء، تنبيهٌ على مقامات معنوية وإشارةٌ إلى تجليات روحانية، وستقف على شرذمة منها إن شاء الله تعالى.

والغسل، لأجل الفناء الذي عمّ الجنب بسبب وجدان اللذة النفسانية السارية في البدن المشعرة عن وجوده في نفسه و (لما) ليس له ذلك

بنفسه فيغتسل فيلبس لباس الوجود من ربّه بالماء الذي هو أصل الحياة والوجود والعلم، ولبعده عن موطن القرب من جهة أنانيّته، فالجنابة غربةٌ عن وطن العبودية ودخول في حدود المولى واتّصاف بوصف السيادة، فيتطهّر من ذلك بغسل جميع بدنه للاعتراف بالتقصير.

وأمّا التيمّم، فلأجل عروض الدَّعوى للعبد من رؤية نفسه بالاقتدار الظّاهر منه. فيحرم من الرّحمة الخاصة لعباد الله المكرمين؛ فلم يصل إلى العلم الذي هو حياة القلب في إماتة الدعوى غلوة(٢٧) سهم نظره الفكري. و (لو)(٢٨) لم يتمكّن من تحصيل العلم اللّدني لنقصان في فطرته أو يخاف من نفسه الوقوع في الزندقة، فحينئذٍ يجب عليه التقليد والنظر في أصل نشأته حتى يتحقّق له ذلّته فيتطهّر بهذا النظر في نفسه ليعرف بذلك خالقه.

فصل في الطّهور وهو: إمّا الماء الّذي هو سرّ الحياة التي هي أصل العالم لمشاهدة الحيّ القيّوم قال تعالى **﴿وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً لِيُحيِي بِهِ﴾**(٢٨) وقال جلّ وعلا: **﴿وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّماءِ ماءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْزَ الشَّيْطانِ﴾**(٢٩)؛ وإمّا التراب الذي هو أصل نشأة الإنسان قال عزّ من قائل: **﴿مِنْها خَلَقْناكُمْ﴾**(٣٠) وقال جلاله: **﴿فَلَمْ تَجِدُوا ماءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيداً طَيِّباً﴾**(٣١) وذلك لتتفكّر في ذاتك لتعرف من أوجدَكَ، وممّا أوجدك، ولم أوجدك، فتخضع له وتضع التكبّر من رأسك لأنّ التراب هو الأصل في الذلّة والمسكنة.

ثم اعلم(٣٢)، إنّ ماء الغيث لطيف في غاية الصّفاء، وله مزاج واحد ولا يمازجه شيء خارج فهو في الباطن العلم اللّدني الذي له طعم واحد، إذ الأنبياء والأولياء كلّهم على قول متحدّ وإن اختلف المشارب والمناهل، فليكن اعتمادك في طهورك الظاهري والباطني بهذا الماء؛

وأمّا ماء العيون والآبار فهو مختلف الطعم بحسب تلك البقعة والأرض التي خرج منها وامتزج بترابها؛ فهو العلم المستفاد من الأفكار الصحيحة التي لا يخلو من شائبة التغيّر بحسب مزاج المتفكّر لأنّه ينظر في موادّ محسوسة يقوم عليها البراهين؛ فاختر لنفسك أيّ المائين يقرب من ذوقك ويناسب مشربك.

فصل في التخلي: لمّا كان الله دعى العبد في صلاته إلى قربه ومناجاته، فينبغي للعبد أن يميط عن نفسه كلّ أذى ووسخ يبعدّه عن ربّه فمن ذلك: تطهير جوفه وتخليته(٣٣) عن فضلة طعامه وشرابه التي هي رجز الشيطان حيث لم يكن لها في تلك المدينة الفاضلة الإنسانية منفعة، بل هي مثيرة الفتن والعلل ومنشأ الآلام والأسقام في هذا الهيكل. ويغسل موضع خروجها حتى لا يبقى أثر من آثارها: إمّا بالماء الذي هو أصل الحياة إذ الموضع لاقى الميّت البعيد عن تصرف الرّوح فيه، أو بالاستجمار، حيث كان الحجر آلة لدفع كلّ ما يقصد تبعيده فيقوى بذلك على التطهير من رؤية الأسباب والمسبّبات كما هو فائدة الوضوء، ويصير هذا عنواناً لتطهير قلبه من جميع الأدناس والبراءة من نفسه ومن الناس، وليخلو البيت لنزول سلطان القرب نزولاً بلا قياس.

واعلم(٣٤)، إنّ السّوأتين هما محلّ الستر والصّون كما هما محلّ إخراج الأذى القائم بالبطن وهما أيضاً عورتان أي مائلتان إلى ما توسوس به النفس من الأمور القادحة في الدّين أصلاً وفرعاً، فإذا طهّرتهما من هذا الخبث الظّاهر بالماء الطاهر أو بالحجر، فأزل عن باطنك ما تعلّق به من الأفكار الردية والشّبه المضلّة بماء العلم بتوحيد الله وتصديق رسله وإطاعة ولاة أمره علماً حقيقياً برهانياً، تعقل عن

الله وتعرف به وجه الحقّ في كلّ شبهة، وطريق الخروج من كلّ ضيق وظلمة إن كنت ممّن يتمكن من استعمال هذا النحو من العلم، وإلاّ فباستجمار لزوم الجماعة وتقليد أئمة العلم والحكمة إذ «الجمرة»: الجماعة أيضاً.

ووجه الوتريّة[٣٥]، إن الله وتر يحبّ الوتر[٣٦]، فيريد أن يكون الوتر مشهوداً للسّالك إليه، في كلّ أمر، وإن تمكنت من الجمع بين العلم ولزوم الجماعة فنور على نور. وبالجملة، كأنّ الإنسان بالمعاضدة التقليديّة يجمع الأحجار ليدفع الأخباث الواردة عليه من جهة الشيطان فقد ورد في دعاء الاستنجاء: «الحمد لله الذي طهّرني من الرّجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم».

فصل في الوضوء: إعلم[٣٧]، أنه ما من حكم شرعي في الظاهر إلاّ وله نسبة إلى الباطن فلتكن أنت يا أخي ممّن يعبد الله بما شرع له ظاهراً وباطناً لتكون من أهل الشرف، ولا تكن ممّن يعبد الله على حرف، فإذا تمكّنت من استعمال الماء في الوضوء فاستشعر أنّك بحسب مرتبتك عند الله في منزلة أباح الله لك تناول رحمته ولطفه، وشرع لك تحصيل العلم الحقيقي إلى معرفته ومواقع أحكامه، وفتح لك باباً إلى سماء قربه ومناجاته بالماء الذي نزل منها لتطهير عباده وتخليصهم من كلّ ما يورث البعد عنه وعن جواره، وكذلك مكّنك من طهارة الظاهر بالماء الذي هو حياة الأبدان، والباطن بالعلم الذي هو حياة أرواح الإنسان، فأوّل ما ينبغي لك أن تغسل يديك قبل إدخالهما الإناء لتناول تلك الرحمة وهذا العلم، وتطهّرهما من كل شيء سيّما من حولك، وقوتك فاليسرى لا حول عن المعاصي، واليمنى لا قوّة على الطاعات إلاّ بالله:

وأيضاً، اليدان محلّ القبض بالشُّحّ والبخل والمنع، فينبغي تطهيرهما بالبسط والبذل والإيثار والإعطاء[٣٨]:

وأيضاً، ينبغي تطهيرهما من الأمور التي أوجب الشرع تركها كالغصب والسرقة وغيرهما، أو ندب على تركها كالدّنيا وزخارفها.

ثمّ إنّ نوم الليل[٣٩] هو غفلتك عن مرتبة غيبك، كما أنّ نوم النّهار هو غفلتك عن مقام شهادتك، فبالغسل يحصل التحقق بكلّ من العالمين ورؤيتك في نفسك كلتي النشأتين.

ثمّ تمضمضك[٤٠] بالذِّكر الحسن - ليزول عن لسانك الذكر القبيح - وبالتلاوة وذكر الله وإصلاح ذات البين، وطهره من كلمة الشرك والكذب والمين ومن كلّ ما نهى الشّارع من التكلّم به والتنطق بفضوله.

ثمّ[٤١]، استنشاقك بالانحطاط عن درجة الكبرياء والعزّة باستعمال أحكام العبودية، حتى تستعدّ لاستشمام روائح القرب من الله ذي المنن ووجدان نفس الرحمن من قبل اليمن.

ثمّ[٤٢] بعد ذلك اغسل وجهك بالحياء عن الله، أن يراك حيث نهاك وعن توجهك إلى غير مولاك، وأن ترجوا ممّا عداه، ما هو متمنّاك.

ثمّ[٤٣] اغسل يديك من مرافق رؤية الأسباب إلى منتهى أصابع المباشرة والاكتساب.

ثمّ[٤٤] امسح برأسك بوضع الرياسة التي فيه لكونه أعلى ما في البدن وفيه القوى الفكرية وبإظهار التذلّل والخضوع وإزالة وسخ الشموخ والعلوّ قال تعالى: **﴿تِلْكَ الدَارُ للآخِرَةُ نَجْعَلُها للَّذينَ لا يُريدونَ عُلُواً في الأرضِ ولا فَساداً﴾**[٤٥].

ولم يشرع مسح الرأس في التيمم؛ لأنّ وضع التراب عليه من علامة الفراق والمقصود بـ «الصلاة»، الوصلة والوفاق.

ثمّ[٤٦] امسح رجليك بكثرة السعي على المساجد، والثبات على

الجهاد الأصغر، والأكبر. وطهّرهما من المشي مَرَحاً[٤٧] وبالنميمة. واقصد في مشيك، فقد تمّ وضوءك. هذا ما قالوا[٤٨] في الوضوء ولقد بذلوا الجهد فيما قالوا.

وصلٌ في ذلك: ورد في الأخبار عن الأئمة الأطهار: أنّ آدم عليه السلام لمّا مشى إلى الشجرة وتوجّه إليها وتناولها فوضعها على رأسه طمعاً للخلود وإعظاماً لها، أمرت هذه الأمة التي هي **﴿خَيْرَ أمَّةٍ أخْرِجَتْ للنَّاسِ﴾**[٤٩]. بأن يطَهِّروا هذه المواضع بالمسح والغسل ليتطهّروا من جناية «الأب» الذي هو الأصل. وأقول: وسرّ السرّ في ذلك على ما فهمت من هذه الرواية أنّ النفس (الكلية)[٥٠] حينما وجدت من بارئها، نظرت إلى ذاتها وما فيها من الحسن والبهاء وأمانة الخلافة الحاملة لها والجواهر العقلية المودّعة فيها، فتشمّخت وترفّعت ثم توجهت إلى العالم السّفل لإظهار ما استودع فيها من الأنوار طمعاً في أن[٥١] يخلد لها ويملكها أبداً؛ فخانت فيما أئتمنت وجعلها لنفسها، فأقبلت بوجهها نحو المادّة القابلة لظهورها وعملت في تلك المادّة بأيدي اكتسابها فصيّرتها موطن ظهورها ومسجد حبورها وانقادت لها حيث عملت على حسب استعدادها، ثمّ مشت إلى أرض الغربة عن موطن الحسن والبهاء وسقطت ما في يديها من الأنوار العقلية وجواهرها، فرجعت خاسرة وتحسّرت على ما فرّطت في جنب الله[٥٢] غفلة وجهالة، فلمّا تداركتها العناية الإلهية ونادتها **﴿ارْجِعي إلى ربِّكِ﴾**[٥٣] أيّتها النفس الغريبة، أمرتها[٥٤] بأن تغسل هذه الأعضاء التي لها مدخلية في هذا العصيان بماء العلم بتوحيد الله وصفاته وأفعاله، وأنّ الملك[٥٥] لله الواحد القهار[٥٦]، وأن ليس في الدار غيره ديّار، وأنّ الكلّ منه وله وإليه، وأن لا منجا من الله إلاّ إليه، فينبغي لكلّ من في طبقة

الأمة المرحومة التي أكمل الله دينه وأتمّ نعمته فيهم أن يغسل وجهه من التوجه إلى عالم الزّور. ويديه ممّا اكتسبت لنفسها من دار الغرور. ويمسح رأسه من الخضوع لغير الله العليّ، ومن الكبرياء العارضة لها من النظر إلى نفسها ورياستها في العالم السفلي، ويمسح رجليه بالمشي إلى دار الغربة. يفعل ذلك بالاستعداد للصلاة التي هي معراج المؤمن(٥٧) إلى الله تعالى، ويطهِّر نفسه من أوساخ هذه الخطيئة التي أحاطت بها(٥٨) وبأطرافها. وفي كتاب المعراج للشيخ أبي محمد الحسن رضي الله عنه في حديث طويل: ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ثم قال لي ربّي: يا محمد! مدّ يديك فيتلقّاك ما يسيل من ساق العرش الأيمن، فنزل الماء فتلقيته باليمين. ثم قال: يا محمد! خذ ذلك الماء فاغسل به وجهك. وعلّة غسل الوجه أنّك تريد أن تنظر إلى عظمتي وأنت طاهر؛ ثم اغسل ذراعيك. اليمين واليسار. وعلة ذلك أنّك تريد أن تتلقّى بيديك كلامي؛ وامسح رأسك بفضل ما يديك من الماء ورجليك إلى كعبيك وعلة المسح أنّي أريد أن أوطئك موطئاً لم يطأ أحد قبلك ولا يطأ أحد غيرك». الحديث؛ فالمؤمن المتقي يتأسّى في أعماله بالنبيّ، عليه وآله صلوات الملك العليّ.

فصل في الأوقات: إعلم(٥٩) أنّ «الوقت» هو ما أنت فيه من حالك من جهل أو معرفة، ومن سيّئة أو حسنة. و «الاستواء» هو وقوف المربوب في محلّ التوقف أنّه هل يقصد العبادة لأداء ما يلزمه من حق العبودية أو لما يلزمه من أداء حقّ سيده من حقوق الإلهيّة؛ فهو في تلك الحال من وقت الطلوع إلى أن تزول الشمس فيترجّح له عند ذلك أن يعبده لما يستحقه الربوبية من الإنعام عليه، حيث يرى إمحاء حقوق العبودية عند استيلاء نور الألوهية محو الأظلال في النّور الغالب عند

ذلك الوقت، (فيصلي «الظهر» لذلك. ثمّ لمّا رأى أنّ الشمس تميل إلى الانخفاض فيشرع في «العصر» لكيلا ترجح طرف العصر، فلا تخلص له العبادة فيصلّي «العصر» لذلك) فلا يزال يرقب ذلك النّور ويتضرّع إلى الله حتى الغروب، فإذا غربت وحرمت من شروقها فحينئذٍ يترقّب آثارها: فيصلّي «المغرب» لذلك ويبقى في ظلمة اللّيل مهجوراً، فيشرع في السؤال والبكاء يراعي نجوم الليل حيث هي أثر من آثارها: فيصلّي «العشاء» ثمّ لمّا لم يظهر له ذلك النور يزيد في التضرّع والبكاء ويتفلّ ويتنفّس الصعداء إلى أن يطلع الصّبح فيرى آثار القبول؛ فيؤدّي فرض «الصباح» ولا يزال مراقباً إلى أن ينجلي؛ فالعبد بين عبادتين يدعو ربّه خوفاً من حدّ الزوال إلى الغروب الشفقي، وطمعاً في أن لا يكون حجاب بعد ذلك في بقية ليله إلى حدّ الاستواء. هذا ما قالوا في هذا المقام، وهو لأرباب الوقت وأبناء الأكوان من تمام الكلام.

وصل في ذلك: إعلم أنّه قد ورد: أنّ الصلاة هي العهد من الله وأنها «الأمانة» وأنّ «الولاية» هي «الأمانة». وفي معنى «قد قامت الصلاة»: أنّ «بعليّ قامت الصلاة» وفي خطبته عليه السلام: «إنّي صلاة المؤمنين وصيامهم» - إلى غير ذلك. وفي أخبار المعراج: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أسري به إلى السماء وصار إلى ما صار إليها دخل وقت الزّوال فأمر بالصلاة مع النبيّين والملائكة المقرّبين صلاة الظّهر ركعتين، فهي أوّل صلاة(٦٠) فرضها الله تعالى. ولا ريب أن الإسراء وإن كان قد وقع غير مرّة فإنّما كان باللّيل؛

وأيضاً، قد ورد في الأخبار المستفيضة: أنّ الشمس خلقت من شعاع نوره صلّى الله عليه وآله؛ فعلى هذا الزوال هو وقت استواء النور المحمدي في حدّ الكمال ورؤيته نفسه بحيث استوت نسبته إلى كلّ ما

دونه من الموجودات التي خلقت من نوره، والأنوار التي استنارت بضياء وجوده وصعوده إلى قاب قوسين ـ السلسلة البدويّة والعوديّة ـ ووصوله إلى معدّل النهار من فلكه الكلي المحيط بجميع الأفلاك الروحانية والجسمانية: فصلاة الظهر هو رسول الله صلى الله عليه وآله.

وأمّا وقت العصر، فهو مرتبة عليّ عليه السلام من الرسول بالاتصال، إذ العصر واقع في القوس الصعودي للشمس كما أنّ قبل الزوال واقع في القوس النزوليّ لها إذ كما سيجيء في خبر طلوع الشمس وغروبها: هو أنّ الطلوع هو الابتداء من الله، والغروب هو العروج إليه. «والولاية» هي جهة الحقيّة فميل الشمس إلى المغرب هو جهة النبي إلى الله وهي مرتبة(٦١) عليّ عليه السلام؛ فتبصّر. ولقول الله عزّ من قائل: **﴿حافِظُوا على الصَلَواتِ والصَلاة الوُسطى﴾**(٦٢) فقد ورد: أنّها «العصر» وفي آخر: إنّها عليّ عليه السلام وقد روي عنهم عليهم السلام: أنّهم النمط الأوسط(٦٣)؛ فصلاة العصر هو عليّ عليه السلام و (لكون الاتحاد الذي بين النبي والولي) لذا استحبّ في طريقة الخواص الجمع بين الصلاتين.

وأمّا المغرب، فهو وقت فاطمة عليها السلام، لأنّها الليلة الإلهية وليلة القدر ففي تفسير(٦٤) فرات بن ابراهيم المحدث في تفسير ليلة القدر عن الصادق عليه السلام: «إنّ «الليلة» هي فاطمة الزهراء «والقدر» هو الله تعالى. فهي عليها السلام ليلة الله؛ ولأنها لمّا وُلدتْ، زاد النبيّ في المغرب ركعةً واحدة شكراً لله، فصارت صلاة المغرب التي هي فاطمة عليها السلام وِتْرا، إذ النتيجة المطلوبة منها عليها السلام لا يكون إلاّ عن الفردية، وأوّل الأفراد هي الثلاثة فبحصول الموضوع والمحمول والوسط يحصل الإنتاج. وقد وردَ في تفسير(٦٥) قوله سبحانه: **﴿مَرَجَ البَحْرَيْنِ يلْتَقيانِ بَيْنَهُما بَرْزَخٌ لا يَبْغِيان﴾**(٦٦)، إنّ

«البحرين» عليّ وفاطمة عليهما السلام و «البرزخ» رسول الله صلى الله عله وآله، فهما الموضوع والمحمول، والبرزخ الوسط رسول الله صلى الله عليه وآله، لأنّ له نسبة إلى أحدهما بالأخوّة وإلى الآخر بالأبوّة.

وأمّا العشاء والصبح، فهما أوقات الأئمة الباقية، إذ الرّكعات التي فيهما ستّة وأسماؤهم عليهم السلام ستّة: الحسن والحسين وعليّ ومحمد وجعفر وموسىٰ وقد ورد: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله زاد في مولد كلّ من الحَسَنَيْنِ على أصل الواجبة التي هي ركعتان، ركعتين (شكراً لله) وأوجب الإخفات في هاتين، (فهم عليهم السلام الصلوات الليلية والركعات الإخفاتية)، ولذا صاروا مختفين في ظلمة دولة الظلمة، فإذا ظهر تباشير صبح يوم القيامة يخرج قائم آل محمد من هذه الظلمة ويدفع هذه الأخلاط الفاسدة (فتكون صلاة الصبح للقائم الحجة) اللّهم عجّل فرج آل محمد صلواتك عليه وآله.

وصل آخر في ذلك: إعلم أنه قد ورد في الأخبار عن الأئمة الأطهار: أنّ الشمس(٦٧) عند الزوال لها حلقة يدخل فيها فإذا دخلت زالت فيسبّح كلّ شيء دون العرش، وهي الساعة التي يصلّي(٦٨) فيها الربّ تعالى وهي الساعة التي يؤتى بجهنّم يوم القيامة.

وأمّا صلاة العصر فهي الساعة التي أكل فيها آدم من الشجرة فأخرجه الله من الجنة، فأمر الله ذريّته هذه الصلاة إلى يوم القيامة واختارها لهذه الأمة.

وأمّا صلاة المغرب، فهي الساعة التي تاب الله فيها على آدم فصلّى آدم ثلاث ركعات: ركعةً لخطيئته وركعة لخطيئة حواء وركعة لقبول توبته؛

وأمّا صلاة العشاء، فإنّ للقبر ظلمةً وليوم القيامة ظلمة

(فأمرني[٦٩] الله ـ عز وجل ـ وأمتي بهذه الصلاة في ذلك الوقت لتنور القلب) وللصراط ظلمة وللحشر ظلمة.

وأما صلاة الغداة فإنّ الشمس إذا طلعت تطلع على قرني شيطان. فأمر الله عباده أن يعبدوا الله رغماً لأنف الشيطان. وفي رواية: لأنّ الفجر وقت نزول الملائكة النهارية وصعود الملائكة الليلية[٧٠].

فصل في القبلة: التحديد[٧١] فيها هو خروج العبد من كلّ شيء حتّى من اختياره وتوجّهه إلى مقصده ومختاره حيث لم يكن ذلك التوجّه التامّ في كل أوقات الليالي والأيام. وإذا كانت الصّلاة دخولاً في حرم الحق فهي نور، ولا بد للنور من أن يصير سبباً لكشف بعض الأمور بحسب حال السالك في صفاء قلبه ونوريّة ذلك، ألا ترى أنّ أكثر الناس يتذكّرون حال الصلاة أكثر ما ينسون في سائر الحالات. ومن جملة ما يكشف للعابد أن يعرف أنّ اختياره مستهلك في اختيار مولاه، وأنْ لا ملجأ منه إلى ما سواه. ولما كان الحق من حيث غيبه سبحانه يستحيل أن يتعلق به المعرفة، فمن المحال أن يستقبل ذاته بقلب من هو في منزل البعد والغربة، وإنّما الممكن أن يعلمه من حيث جهة الممكن وبالمقايسة إليه في افتقاره في كلّ شأنه إليه، وتمييزه تعالى بأنه لا يتّصف بصفات المحدثات ويعرف بالسّلوب والإضافات، فلذلك شرع التوجّه إلى جهة القبلة لأهل البعد عن حرم الكبرياء والعظمة؛ هذا ما قالوا[٧٢] في تحديد القبلة، ولكلّ في ذلك وجهة.

وصل في ذلك: سيجيء[٧٣] إن شاء الله في أسرار الحج، أنّ الكعبة والمناسك التي فيها إشارات إلى مقامات العهود السابقة وأحوال المواثيق المأخوذة في موطن: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٧٤] وما فوقها من المواطن

الربوبية والألوهية والصلاة هي العهد من الله فيجب حين التحقق بالعهد من التوجه إلى الكعبة لتمامية التذكر والله المستعان.

فصل في ستر العورة: ذلك إشارة[٧٥] إلى ستر الأسرار الإلهية التي يؤدي كشفها إلى عدم احترام الجاهل ذلك الجناب الأعزّ الأحمى. «والعورة» أصلها الميل كما قيل في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ**﴾[٧٦]. أي أنّها مائلة تريد السقوط، ومنه «الأعور» فإنّ نظره مائل إلى جهة واحدة؛ فالعارف ينبغي أن يستر عن الجاهل الأسرار المنكشفة له من جهة الحق في صلواته والأنوار المائلة إليه من جهة العلوّ بالتجلي في خطاباته.

فصل في اللباس: الموحّد العارف[٧٧]، هو الذي لا يرى نفسه في الصلاة ويغيب عنها وعن كلّ شيء تحت الأنوار الإلهية، وينخلع عن نفسه وعن كلّ ما يلابسه ويخلع بلباس التقوى من كلّ ما عدا مقصوده حتى يرى أنّ الحقّ يقيمه ويقعده فيصح قوله: بحول الله وقوته أقوم وأقعد وأركع وأسجد.

فصل في طهارة اللباس: «النجاسة»، هي البعد وقد سبق في ذي بعد. «والصلاة»[٧٨] هي القربة والوصلة والعبد لا يمكن أن يحضر مع الله في كلّ حال إلاّ الأقلّون من الرجال وذلك لما جبلّ عليه الإنسان من الغفلة والذّهول عن هذه الحضرة فيجب عليه في أوقات الرخصة أن يتطهّر قلبه من هذه النجاسة، وعلى محاذاة الباطن يطهّر ظاهره من الأدناس وينزّهه من نجاسة اللباس.

فصل في المكان: إنّ للأماكن[٧٩] أثراً في حجاب القلب عن الله وإقباله إليه تعالى اللهمّ إلا لأصحاب الأحوال حيث لا يشغلهم حال عن حال.

فصل في التوجه: ثمّ توجّه إلى مصلاّك الذي هو مرتبتك من حضرة مولاك بالخروج عن دنياك والذّهول عن جميع متمنّاك والصعود إلى مرقاك، بالأذان: واخرق السماء الدنيا واحكم عليها بالفناء، بالتكبيرات الأربع على جهاتها الأربع؛ والسماء الثانية[٨٠]، بشهادتك على مولاك بالوحدانية إذ في هذا المقام تستشعر بالأثنوة: والسماء الثالثة، بشهادتك على نبيّ الرحمة بالرسالة الكلية والولاية الجمعية؛ والرابعة بـ «حيّ على الصلاة»؛ والخامسة، بـ «حيّ على الفلاح»؛ والسادسة، بـ «حي على خير العمل»؛ والسابعة، بإعادة التكبير والتهليل لإظهار الثبات على السبيل؛ ثم استقم كما أمرت[٨١] بذكر الإقامة، وقم في خدمة المولى كأنّك صلاة قائمة حتى تستعد بذلك لإمامة صفوف الملائكة. وسيجيء تحقيق حدودهما في الفصل المعقود لهما.

فصل في القيام: قيامك في الصّلاة إقامتك نفسك في حضرة مولاك غير مالك لها نفعاً ولا ضرّاً ولا حياة ولا موتاً في دنياك وأخراك، مرسلاً يديك للإشعار بذلك غير مكفّر لهما، فإنّ التكفير جبر وكفر، ولا متحرّكاً ولا مبايناً للبدن، فإنّه تفويض وشرك بل واضعاً إياهما على الرّكبتين ليظهر الأمر بين الأمرين؛ فالقيام إشارة إلى توحيد الأفعال وقد سبق الكلام فيه في سابق المقال.

فصل في النيّة(٨٢): إذا تخطيتَ هذه العقبات التي بمنزلة العتبات ووصلت إلى حضرة السرادقات فاقصدْ دخول الحضرة قصداً خالصاً له سبحانه بالخروج عن حالة كنت فيها مع الله إلى حالة فوقها. إذ في الحقيقة ليس ثمّ شيء خارج عن الحق لا يتجلى فيه، فالعباد المكرّمون يقصدون حالاً مخصوصاً معه سبحانه ليس له سابقاً لهم، وآخرون يرون أنفسهم بُعداء عنه تعالى بحسب مرتبتهم أو رؤية الغير في حضوره فهؤلاء قصدهم القربة والتخلّص عن البُعد والفرقة.

فصل في التكبيرات الافتتاحية(٨٣): ثم اشرع في فتح الأبواب بالتكبير على فناء الأسباب، وليكن ذلك حيث ترى نفسك أو شيئاً آخر. إذ التكبير لا يعقل إلاّ بوجود الغير أو تقدير وجوده وحيث تخرق بهذه التكبيرات الحجب السبعة التي هي ملكوت السماوات وباطنها رافعاً يديك بكلّ تكبيرة لخرق حجاب مستور ورفع ستر من الستور حاكماً عليها بالفناء والدّثور، ففي الخبر: قال السائل: «الله أكبرمن كلّ شيء» فقال عليه السلام: «أين الشيء؟ بل هو أكبر من أن يوصف»(٨٤).

فصل في تكبيرة الإحرام: تكبيرة الإحرام هي تكبيرة المنع(٨٥)، لأنها تمنع العبد من أن يخطر بباله شيء في حرم الكبرياء إلاّ لأجل الحكم عليه بالبطلان والفناء، وتمنع الأشياء من أن تُشاركه تعالى في هذا الكبرياء، فهو أكبر من أن يقيّده حال دون حال بل هو مقلّب الحال والأحوال، وأعظم من أن يحيط به وصف أو نعت بل هو أعلى من الفوق والتحت.

فصل في رفع اليدين: يشعر هذا الرّفع ـ ظهر الكف مستقبلاً للقبلة ـ بأنّ كلّ ما يملكه الله إياه أو يمكن تملّكه فإنه رماه إلى خلفه وجعل كفّه صفراً منه. ثم إنّ الله يعطيه في كلّ حال من أحوال الصلاة جزاء ذلك الفعل، فإذا ملك الجزاء تركه، فيعطيه ما هو أفضل إلى أن وصل إلى السجدة فيترك الكلّ ويفنى عنه ويبقى مع الله.

وأيضاً، هذا الرفع للإشارة إلى أنّ الاقتدار لله وأن يديه خالية عن الاقتدار، فمن رفعها إلى الصّدر اعتبر كون الحق في قبلته، ومن رفعها إلى الأذنين اعتبر كون الحق فوقه.

فصل في دعاء التوجيه: قيل(٨٦): التوجيه من الله بالله إلى الله مع الله في الله لله على الله: من الله ابتداءً، وبالله تأييداً، وإلى الله غايةً وانتهاءً، ومع الله مراقبة، وفي الله رغبة، ولله قربةً، وعلى الله توكلاً. أقول: يمكن أن تكون تلك الإشارات مجتمعة في دعائه(٨٧) فالتوجيه في «وجّهت» من الله وبالله لأنّه لا قوة إلا بالله ومنه الابتداء، وقوله: «عالم الغيب والشهادة» يفيد المعيّة، و «الحنيفيّة» يفيد الرغبة. و «الإسلام»، هو الانقياد التام و «تفويض الأمر إلى الملك العلام» يفيد التوكل. و «كون العبادة والمحيي والممات لله» ظاهر، و «عدم الشرك» يفيد الانتهاء إلى الله، إذ ليس في نظره سوى الله بل الكلّ هالك عند الله.

فصل في الوقوف(٨٨): لمّا، كان العبد يناجي ربّه في صلاته ويجعله نصب عينه في قبلته والمناجاة (مفاعلة) وهي تكون بين الطّرفين فينبغي إذا تكلّم بالتسمية أن يرى أن الله يسمعها وأن يقف حتى يسمع قوله تعالى: ذكرني عبدي وإذا(٨٩) قال: **﴿الحَمْدُ للهِ ربِّ العالَمينَ﴾**،

يقف حتى يسمع من الله قوله: حمدني عبدي وإذا قال: ﴿الرَّحْمنِ الرَّحيم﴾، يسمع قوله سبحانه: أثنى عليّ عبدي، وإذا قال: ﴿مالِكِ يومِ الدينِ﴾، يسمع قوله عز من قائل: مجّدني عبدي وفي رواية: فوض إليّ عبدي[٩٠]: فالأول راجع إلى الحق بحسب ما يليق به ومن حيث نسبة العالم إليه، والثاني من حيث يقتضي نسبة العالم إليه فقط، وإذا قال: ﴿إيَاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نستعينُ﴾ مراعياً حديث «اعبد الله كأنّك تراه» ومخاطباً إياه: بإياك نطلب حتى يسمع قوله عزّ شأنه: «هذه بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل»، وإذا قال: ﴿إهدِنَا الصِّراطَ المُسْتَقِيمَ﴾ إلى آخر السورة، يسمع قوله جلّ جلاله: هذا هو الذي لعبدي. ومن تقسيم الحمد، يظهر أنّ الصلاة قسّمت بين الله وبين العبد[٩١] فكما أن من أول السورة إلى «مالك يوم الدين»، لله خالصاً ومن «أهدنا الصراط» ـ إلى آخر السورة ـ للعبد خاصة وإياك نعبد وإياك نستعين، آية برزخية وقع فيها الاشتراك بين العبد والرب، فكذلك السجود لله خالصاً لفناء العبد، والقيام للعبد، خاصة لقيامه في خدمة مولاه، والركوع حالة مشتركة يظهر منها استيلاء الأنوار الإلهية على موطن العبد ففيه بقية ما من العبد المربوب، ونصيب ماله من الشهود، وستزيدك بياناً في الوقت الموعود.

وصل في ذلك: فيما روى من صلاة المعراج[٩٢] أنّ رسول الله (ص) لّما أمر بالصلاة والتكبير، كبّر فسكت فقال الله تعالى: يا محمد! سمّ باسمي فقال: ﴿بسمِ الله الرَّحمنِ الرَّحيم﴾ ثمّ سكت فقال الله تعالى: «احمِدني فقال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ وهكذا يسكت في كلّ آية ويؤمر بلاحقتها فعلى هذا، فالسكتات المستحبة إنما هي إنصات لصدور الأمر واستماع لخطاب الله عز وجل.

فصل في الاستعاذة: قال الله عز من قائل: ﴿**وإذا قرأتَ القُرآنَ فاستَعذْ بالله من الشَّيْطانِ**﴾[٩٣] اعلم أن المصلّي يناجي ربّه وهو قاصر عن معرفة ما ينبغي أن يتكلم ويخاطب ربه في وقت مناجاته، فعلّم الله عباده أن يناجوه بكلامه سيما القرآن فإنّه لا صلاة إلاّ بها[٩٤] فلا بدّ أن يستعيذ بالله حين قراءة كلامه وأوان رخصة مناجاته من رئيس أهل البُعد[٩٥] والتبعيد ومن كلّ خطرة يوقعها في الخاطر من ملاحظة غيره تعالى من حيث الضرّ والنفع بل من حيث الشيئية والوجود.

قيل[٩٦]: «العارف إذا تعوّذ، ينظر في الحال الموجب للتعوّذ وفي حقيقة ما يتعوّذ منه وفيما يعاذبه فإذا غلب عليه أنّ كلّ شيء فهو بيد سيّده وأنّه في نفسه محلّ التصرّف يقول: «أعوذ بك منك» وهذه هي استعاذة التوحيد حيث يستعيذ فيه من الاتحاد والحلول والقول بهما، ومن نزل من هذه الدرجة استعاذ بما يلايم مما لا يلايم فعلاً أو صفة فيقول: «أعوذ برضاك من سخطك» فقد خرج من حظّ نفسه، ومن نزل من هذه أيضاً يقول: «أعوذ بمعافاتك من عقوبتك» فهذا في حظّ نفسه. «وللناس فيما يعشقون مذاهب».

واعلم، أنّه ذكر في الاستعاذة اسم الله لأنّه الجامع لحقائق جميع الأسماء وفي حقيقة كلّ اسم واقع في مقابلة كل خاطر سوى الله.

فصل في البسملة[٩٧]**:** قال الله تعالى تعليماً لعباده في أوائل كلامه: ﴿**بِسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم**﴾ وقال سبحانه: ﴿**ولا تَأكُلُوا ممَا لَمْ يُذكَرِ اسمُ اللهِ**﴾[٩٨] وقال عزّ من قائل: ﴿**فكُلُوا ممَا ذُكِرَ اسمُ اللهِ عليهِ**﴾[٩٩] وفي الخبر الخاصيّ: أن المراد بالفاكهة ولحم الطّير وأمثالهما، هي العلوم والمعارف التي تظهر من العالم وتنبت في أرض قابليّته لأكل النفوس الماشية لديه للتعلّم فالحقائق والمعارف الإلهية،

نبات مغروس في الحياة وحيوان يرعى في «جنة الصفات» تأكلُها النفوس الإنسانية التي وصلت إلى إقليم العقل وأفق القدسيات وفي الخبر العامي[١٠٠]: «إذا استطعَمَ الإمامُ مَنْ خلْفه فلْيُطعِمْه» أي إذا طلب قرآناً في الصلاة حين نَسِيَ أوْ وَهَمَ، فليقرأْ عليه المأموم فسمّى القرآن طعاماً، فلا بدّ قبل القراءة من البسملة لهاتين الجهتين:

وأيضاً، ينبغي للعبد في جميع حركاته وسكناته: أن يعتقد أنّه لا قوة إلا بالله ولا استعانة على شيء إلاّ به سيّما في سيره إلى الله ودخوله في حضرة الكبرياء، هذا إذا كانت «الباء» للاستعانة؛ وأن يبتدىء في كلّ أموره وشؤونه باسمه تعالى ليذكّر نفسه أنه الأوّل والآخر وأنّ السير منه وفيه ومعه وإليه، هذا إذا كانت للملابسة؛ وأن يسم نفسه بسمة عبادة الله وعلامة الافتقار إليه عزّ وعلا، وذلك إذا كانت لتعدية «الإسم» المشتقّ من «الوسم» كما في الخبر؛ وأن يكون «ذكره» اسم الله و «قراءته»[١٠١] اسم الله تعالى فيتعلق «بالذكر» أو «القراءة»؛ وأن يكون «تحميده» باسم الله، إذ الحمد لا يكون إلا بالاسم فيتعلق بالحمد المتأخر عنه في الذكر، هذا عند البعض أرجح من سائر التقديرات؛ فإذا قال العارف: بسم الله، علّق «الباء» بما في الحمد من معنى الفعل.

ثم[١٠٢] أنّه ذكر في البسملة ثلاثة أسماء: الاسم الله لكونه للأسماء كالذات للصفات، فينبغي ذكره أولاً من حيث أنه دليل على الذّات كأسماء الأعلام وإن لم يقو قوتها ثم الرحمن الرحيم من حيث كونهما اسمين له تعالى لا من حيث المرحومين ولا من حيث اتّصافه بالرحمة العامّة والخاصة، إذ من المقرّر عند علماء الإشارة أنه مهما ورد اسم إلهي لا يتقدّمه ذكر كون من الأكوان ولا يتأخّر عنه فإنّ العارف ينظر إليه من حيث يدلّ على الذّات فقط وأما إذا لم يكن كذلك فإنه يدلّ

على الاتّصاف أو التأثير، فسقط توهّم التكرار بحسب الاسمين في البسملة والحمد، مع كونها جزءاً منه.

فصل في القراءة: شرّع ذلك في حالة القيام، لوجود صفة القيومية في العبد لكونه قائماً والله سبحانه قائم على كلّ نفس فهو للإشعار بأن الله يقوم بأمر العبد وبما فيه صلاحه، وأنه قيّوم السموات والأرض، فما له حديث مع ربه إلاّ بكلام ربه وليس له قيام إلاّ بخدمة سيّده وبإقامته إياه في أيّ مقام شاء، فالقيام مقام توحيد الأفعال ولهذا صار أول أفعال الصلاة المشيرة إلى التوحيدات الثلاثة ولذلك شرّع قراءة الحمد في القيام، لأنّها صريحة في توحيد الأفعال وأن الملك لله المتعال.

ولهذا السورة المباركة أسماء كثيرة منها: أنها «السبع المثاني»[١٠٣] والوجه في ذلك أنه قد ورد: أنّ أئمتنا عليهم السلام هم السبع المثاني[١٠٤]. فالسورة إنّما سمّيت بذلك، لكونها إشارة إلى أنوارهم من نزولها وعروجها إلى الله وإلى بيان كمالاتهم من حيث الجلاء والاستجلاء وإلى كونهم مظاهر المحامد الإلهية ومزايا الأنوار القدسية وإلى أنّ لهم المقام المحمود ولواء الحمد في اليوم الموعود.

وبالجملة، إشارة إلى أنّهم أهل الحمد بل هم ألسنة الحمد بل هم الحمد وذلك لأنّ نورهم الواحد المخلوق قبل اللّوح والقلم الأعلى والعرش والكرسي والأرض والسماء يسبح الله ويقدّسه ويحمده ولم يخلق هناك شفة ولا لسان ولا بيان ولا ترجمان إلى أن خلقت جميع الحقائق الإلهية بسبب ذلك التسبيح والتحميد. ولا تستبعدنّ من أن يكون التحميد علّة الخلق والإيجاد إذ الملائكة شأنهم ذلك حيث ظهر من تسبيحهم وتحميدهم هذه الأمور من عالمنا هذا، وكذا المؤمن إذا

سبح التسبيحات الأربع وغيرها يغرس بها شجرة في قيعان[١٠٥] الجنة، وكما ورد: أنّه من بعض الأذكار يخلق الحور والغلمان إلى غيرذلك فافهم. فإذا قام العارف بين يدي الله بهذه الصفة ولم يرَ في وقوفه ولا في تكبيره غير ربّه الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ورأى اختصاصه تعالى برداء الكبرياء واستيثاره بإزار العظمة والبهاء فحينئذ يراه متلّبساً بلباس الثناء، فيشرع بعد التسمية بالتحميد فيقول كما علّمه ربّه:

الحمد لله، عواقب الثناء يرجع إلى الاسم المقدّم والنور الأعظم بمعنى كلّ ثناء على كون من الأكوان فعاقبته إلى الله **﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾** وذلك لأنّ الثناء على أيّ شيء كان فهو على صفاته المحمودة وهي نتائج الصفات الإلهية، فالكلّ لله الذي ظهر لنفسه في صفاته في حقائق الأسماء والصفات ربّ العالمين، الّذي أبدع آثار الأسماء وجوداً نورياً في مرتبة الروح الكلي في العالم الربوبي.

الرَّحمن، الذي رحم تلك الحقائق والآثار حيث زعمت بلطافة مرتبتها وصفاء نوريتها في هذه العوالم القدسية أنهم أشياء بأنفسها وأنوار دون الله تعالى، فأظهرها في عالم الشهادة حتى يتّضح لها أنها فاقرة (الذوات هالكة الهويّات) فيعلموا أنهم عباد مربوبون ولا يملكون لأنفسهم ضرّاً ولا نفعاً ولا أنفسهم ينصرون، وهذا وإن كان في الظاهر عقوبة مرتّبة على ذلك العصيان إلا أنه رحمة عظيمة وامتنان؛

الرحيم، بأن رحمهم حيث خلصهم من ورطة الطبع بظهور تلك الأنوار في النشأة الإنسانية التي هي الكلمة الجامعة فهو رحمان العالمين ورحيم المؤمنين، وبوجود الإنسان تقوم النشأة الباقية ويتحقق سلطان الآخرة؛

فهو، مالك يوم الدين، حيث يملك الكلّ ويحيط بالقلّ والجلّ

لإحاطته بالإنسان وتملّكه لهذا السلطان.

وبتمام هذه الأسماء الحسنى، يتجلى للعبد السالك أن الله هو الأول والآخر والظاهر والباطن[١٠٦] وأنه معكم أينما كنتم[١٠٧] فالأولية لاسم الله والآخرية، لمالك يوم الدين، والظاهرية للرحمن لعمومه، والباطنية للرحيم لاندراج الكل في الإنسان، والمعية لربّ العالمين لقوله تعالى حكاية عن ابراهيم[١٠٨]: ﴿**إنَّ معي ربّي سيَهدينِ**﴾[١٠٩].

فلما لم يبق في نظر العارف في هذه الحالة شيء سوى الله، أظهر توحيده بحرف الخطاب فجعله مواجهاً في قبلته لا على وجه التحديد بل على ما أدّبه الله على لسان نبيّه: «اعبد الله كأنّك تراه»[١١٠] وقال: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾ وصيغة الجمع في العبادة والاستعانة لأنّ العابدين في العبد كثير من أجزائه وأعضائه وقواه وحدوده وأطرافه والكلّ يطلب العون منه في ذلك، إذ الصلاة عمّ حكمها ظاهر المصلي وباطنه بحيث لم يشذ منه جزء ولا عضو، فلا بدّ من أن يقف بكلّه ويركع بكلّه ويسجد بكلّه وبالجملة، يعبد الله بكلّه فمتى لم يكن كذلك في عبادة ربّه كان كاذباً. في قراءته «اهدنا» ينبغي أن يحضر عنده الاسم الإلهي «الهادي» ويسأله أن يبين له صراطه أو يثبته عليه أو يوفّقه للمشي عليه بحسب حاله، الصراط، الذي عليه الرب فيكون الرب تعالى أمامه وناصيته بيده المستقيم، الذي هو الوسط من الإفراط والتفريط والغلو والتقصير، صراط النبيين والصدّيقين والأولياء والصالحين[١١١] الذين أنعمت عليهم بالهداية إليه غير المغضوب عليهم من الذين دعاهم النبي إلى الإقرار بالرسالة بـ «حيّ على الصلاة» و «الفلاح» فلم يجيبوه، ولا الضالين الذين دعاهم إلى القول بالولاية بـ «حي على خير العمل» فلم يجيبوه وإن أجاب بعضهم في الظّاهر لكن ضيَّعوه وغصبوه في الأخر.

وصل في ذلك: اعلم، أنّ الثناء هو إظهار صفة الكمال والإفصاح بنعوت الجلال والجمال وأنّ الألوهية مجمع الأسماء الحسنى والصفات العليا. والصادر الأول الذي هو النور الجامع لرمّة الأنوار الإلهية وجملة المحامد السبحانية، أول مظهر لهذه الصفات وأقدم مرآة لتلك الكمالات، فهو نفس تلك المحامد على الإجمال وعين الثناء على وجه الكمال فأقول: الحمد لله أي النور العقلي والعالم العلوي، إنّما هو مبدع أول لله المتعال ومظهر مقدّم لصفات الجمال والجلال، فله الألوهية العظمى والوحدانية الكبرى، رب العالمين الذي بعلمه ومشيّته خلق النفس الكلية الإلهية التي هي عبد مربوب في المسجد الأقصى والبيت المقدس الذي هو المادة الكلية الواقعة في فضاء القدس ومحل قيام الناس لربّ العالمين ومحط ركوعهم مع الراكعين وموضع سجودهم مع الساجدين، الرحمن الذي خلق الطبيعة الكلية بإرادته لترتبط النفس بها إلى مادة كمالاتها الذاتية وتهبط إلى أرض عبادتها وتسعى لقيام الصلاة في هذا المسجد الأقصى، الرحيم الذي أخرج النفوس الشريفة المؤمنة التي ارتاضت في خلوات هذه الليلة الظلماء واستنارت بنور ربّها ورجعت صافية نقية إلى بارئها حيث نوديت: **﴿ارجعي إلى ربكِ راضيَةً مَرْضِيَّةً﴾**(١١٢) فعادت إلى ما بدأت منه في السلسلة البدويّة، واجدةً ضالّتها التي هي الحكم والأنوار الإلهية في أقصى غرب العالم السفلي، جامعة لعقد الجواهر العقلية التي انتشرت في معادن الجبال الرواسي فهو مالك يوم الدين حيث يرجع إليه الكلّ برجوعه أولاً إلى تلك النفس الشريفة بحسب الكمال ورجوعها إلى الله ذي الجلال. فبالإنسان قامت النشأة الدنيا وتقوم النشأة الأخرى، فإذا رجعت هذه اللطايف إلى ربّ العالمين خاطبته بكلامه، واجهته مع فنائها وبقائه فقالت: إياك نعبد أي نطلبك في كل ذرة فوجدناك، وتعرّفت

إلينا في كلّ شيء فعرفناك حيث تجليت لنا فيها بكمالاتك وترآيت لنا بصفات ذاتك. وكان مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، لم يزل يكرر هذه الآية في صلاته حتى سمعها من قائلها. وإياك نستعين في هذا الطلب، فأعنتنا بالوصول إلى المطلب، فنحن منك ولك وإليك، تفضّل علينا! اهدنا الصراط المستقيم الذي هو وليّك علي بن أبي طالب[١١٣] عليه السلام وهو منك كما ورد: أنّ علياً ممسوس في ذات الله[١١٤]، ومن الرسول كنفسه[١١٥]، ومن أولاد الرسول عين نورهم، ومن الأنبياء نفس ظهورهم، ومن الكلّ صراطهم. فهو عليه السلام صراط هؤلاء الذين أنعمت عليهم حيث وصلوا به إليك وتوسّلوا به إلى كل خير لديك وكان هو معهم سراً، وهم منه كالأعضاء والقوى غير المغضوب عليهم من الذين أفرطوا فيه من الغالين فجعلوه إله العالمين ولا الضالين الذين لم يصلوا إلى معرفته وما أقاموا في مقامه، فما عرفوه حقّ معرفته، فضلّوا عن صراطه وأضلوا كثيراً عن سبيله والحمد لله رب العالمين.

وصل آخر: بسم الله بعليّ الوليّ الذي هو اسم الله الأعظم والنور المقدم، وقع ابتداء الأشياء وحصّل للأسماء كمال الجلا والاستجلاء، الرحمن الذي بهذا المولى أخرج الأشياء إلى الوجود الرحيم الذي بهداية عليّ تميز العابد عن المعبود، الحمد لله الكلّ، لله الذي تجلّى بنفسه لنفسه في مرتبة غيبه فترآى نور عليّ الذي هو باطن محمد عليهما وآلهما السلام في هذه المرآة، لأنّه أول ما اختار لنفسه من الأسماء والصفات، إنما هو العلي العظيم وأنه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم[١١٦]. ورأى الرسول صلى الله عليه وآله في معراجه علياً يمشي أمامه حتى دخل في النور وكلّم نبينا في المعراج وموسى في الطّور[١١٧]

(على لسان[١١٨] عليّ الوصيّ) وتكلّم عيسى[١١٩] في المهد على لسانه وهو صبي، بوصف ذلك الولي، رب العالمين الذي ظهرت الربوبية بتجلّي المرتبة الإلهية السابقة بنفسها لنفسها على نفسها، فصار عليّ إمام العالمين ونور السموات والأرضين وتعلّمت الملائكة منه العلوم، وقام كلّ بأمره في مقام معلوم، وصاروا بإذنه يعلمون ولا يعصون ويفعلون ما يؤمرون، الرحمن الذي تجلت جوهرة الربوبية فظهرت العبودية فصار عليّ مصوّر الأرحام ومنبت النبات ومورق الأشجار ومثمر الثمار وقاسم الأرزاق ومغيث أهل الوفاق ومهلك القرون من أهل النفاق، الرحيم حيث هدى الأنبياء والأولياء بنور عليّ من الظلمات ونجّاهم من البليّات وتفضّل على فقراء الأمّة المرحومة بأن جعله إماماً لهم في الدنيا والآخرة، فصاروا ﴿**خير أمة أخرجت للناس**﴾[١٢٠] وفازوا بالفضيلة (العظمى[١٢١] وفاقوا بذلك) على جميع الأكياس، مالك يوم الدين حيث جعل نواصي العباد بيد عليّ في الدنيا ويوم التّناد، وكذا أعمالهم في الدنيا تُعرض على المولى في الصباح والمساء وحسابهم على عليّ في العقبى ﴿**لِيَجْزِيَ الذين أساءوا بما عملوا ويَجْزِيَ الذينَ أَحْسَنُوا بالحُسْنَى**﴾[١٢٢] وأظهر لهم سلطانه في دار القرار وجعله قسيم الجنة والنار، إياك نعبد في ولايتنا لعليّ، وإياك نستعين حيث نستعين بهذا الوليّ، اهدنا الصراط المستقيم ثبّتنا على موالاته أو اجعلنا (سائراً) على منهاجه وأوصلنا إليه بأن تجعلنا من المارين عليه أو من منازل هذا الصراط ومن قوى ذلك الإنسان أو أرِنا نوريّته حتى نعرفه بالنورانيّة، صراطَ الَّذينَ أَنْعَمْتَ عليهِمْ من الأنبياء والأولياء وحيث عرفوه بالنورانية وكان هو معهم سراً، غير المغضوب عليهم من الذين غصبوا حقه وجلسوا مقامه، ولا الضالّين الذين لم يعرفوه حقَّ معرفته.

وصل: أمّا معرفته صلوات الله عليه بالنورانية ففي الخبر ما رواه سلمان وأبو ذر[١٢٣] عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «من كان ظاهره في ولايتي أكبر من باطنه خفّت موازينه.

يا سلمان! لا يكمل المؤمن إيمانه حتى يعرفني بالنورانية، وإذا عرفني بذلك فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان وشرح صدره للإسلام وصار عارفاً بدينه مستبصراً، ومن قصر ذاك فهو شاك مرتاب.

يا سلمان! ويا جندب! إنّ معرفتي بالنورانية معرفة الله، ومعرفة الله معرفتي وهو الدين الخالص يقول الله سبحانه وما أمروا إلاّ بالتوحيد وهو الإخلاص وقوله: «حنفاء» وهو الإقرار بنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وهو الدّين الحنيف قوله: و «يقيموا الصلاة» وهي ولايتي فمن والاني فقد أقام الصلاة وهو صعب مستصعب، و «يؤتوا الزكاة» وهو الإقرار بالأئمة عليهم السلام وذلك دين القيّمة شهد القرآن أن الدين الخالص التوحيد والإقرار بالنبوّة والولاية فمن جاء بهذا فقد أتى بالدين القيّم.

يا سلمان! ويا جندب! المؤمن الممتحن الذي لم يرد عليه شيء من أمرنا إلاّ شرح الله صدره لقبوله ولا يشك ولا يرتاب، ومن قال: «لم؟ وكيف؟» فقد كفر فسلّموا لله أمره فنحن أمر الله.

يا سلمان! ويا جندب! إن الله جعلني أمينه على خلقه وخليفته في أرضه وبلاده وعباده، وأعطاني ما لم يصفه الواصفون ولا يعرفه العارفون، فإذا عرفتموني هكذا فأنتم مؤمنون.

يا سلمان! قال الله عز وجل: **﴿واسْتَعِينُوا بالصَّبر والصَّلاة﴾**[١٢٤] فالصبر محمد صلى الله عليه وآله، والصلاة ولايتي ولذلك قال: **﴿وإنَّها لكَبيرةٌ﴾** ولم يقل وأنّهما ثم قال: **﴿إلاّ على الخاشعين﴾** فاستثنى أهل ولايتي الذين استبصروا بنور هدايتي.

يا سلمان! نحن سر الله الذي لا يخفى ونوره الذي لا يطفى ونعمته التي لا تجزى، أوّلنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد، فمن عرفنا فقد استكمل الدين القيّم.

يا سلمان! ويا جندب! كنت ومحمد نورين، نسبّح قبل المسبحات ونشرق قبل المخلوقات، فقسم الله ذلك النور نصفين نبي مصطفى ووصيّ مرتضى فقال الله عزّ وجلّ لذلك النصف: كن محمداً وللآخر: كن علياً.

يا سلمان! ويا جندب! وكان محمدالناطق وأنا الصامت ولا بدّ في كلّ زمان من صامت وناطق، فمحمد صاحب الجمع وأنا صاحب الحشر، ومحمد المنذر وأنا الهادي، ومحمد صاحب الجنة وأنا صاحب الرجعة، محمد صاحب الحوض وأنا صاحب اللواء، محمد صاحب المفاتيح وأنا صاحب الجنة والنار، محمد صاحب الوحي وأنا صاحب الإلهام، محمد صاحب الدلالات وأنا صاحب المعجزات، محمد خاتم النبيّين وأنا خاتم الوصيّين، محمد صاحب الدعوة وأنا صاحب السيف والسطوة، محمد النبي الكريم وأنا الصراط المستقيم، محمد الرؤوف الرحيم وأنا العليّ العظيم.

يا سلمان! قال الله تعالى: **﴿يُلقِي الرُّوحَ من أمرِهِ على مَنْ يشاء من عباده﴾**(١٢٥) ولا يعطي هذه الروح إلا من فوّض الله إليه الأمر والقدرة وأنا أحيي الموتى وأعلم ما في السموات والأرض، وأنا الكتاب المبين. يا سلمان! محمد مقيم حجة الحق وأنا حجة الحق على الخلق وبذلك الروح عرج به إلى السماء، أنا حملت نوحاً في السفينة، أنا صاحب يونس في بطن الحوت، أنا الذي جاوزت موسى في البحر وأهلكت القرون الأولى، أعطيت علم الأنبياء والأوصياء وفصل الخطاب، وبي تمّت نبوة محمد، أنا أجريت البحار والأنهار وفجّرت الأرض عيوناً، أنا

كابّ الدنيا لوجهها. أنا عذاب يوم الظلّة. أنا الخضر معلم موسى. أنا معلم داود وسليمان، أنا ذو القرنين، أنا الذي رفعت سمكها بإذن الله عزّ وجلّ، أنا دحوت أرضها. أنا المنادي من مكان بعيد. أنا دابّة الأرض. أنا كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنت يا علي ذو قرنيها وكلا طرفيها ولك الآخرة والأولى».

يا سلمان! إنّ ميّتنا إذا مات لم يمت ومقتولنا إذا قتل لم يقتل وغائبنا إذا غاب لم يغب ولا يلد ولم يولد في البطون ولا يقاس بنا أحد من الناس. أنا تكلّمت على لسان عيسى في المهد، أنا نوح، أنا ابراهيم. أنا صاحب الناقة، أنا صاحب الرجعة، أنا صاحب الزلزلة، أنا اللوح المحفوظ إليّ انتهى علم ما فيه، أنا أتقلب في الصور كيف شاء الله. من رآهم فقد رآني ومن رآني فقد رآهم، ونحن في الحقيقة نور الله الذي لا يزول ولا يتغيّر.

يا سلمان! بنا شرف كل مبعوث؛ فلا تدعونا أرباباً وقولوا فينا ما شئتم: فبنا هلك من هلك وبنا نجى من نجى.

يا سلمان! من آمن بما قلت وشرحت فهو مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ورضي عنه، ومن شك وارتاب فهو ناصب وإن ادّعى ولايتي فهو كاذب.

يا سلمان! أنا والهداة من أهل بيتي سرّ الله المكنون وأولياءه المقرَّبون، كلّنا واحد وأمرنا واحد وسرّنا واحد، فلا تفرّقوا فينا فتهلكوا، فإنّا نظهر في كلّ زمان بما شاء الرحمن، فالويل كلّ الويل لمن أنكر ما قلت، ولا ينكره إلاّ أهل الغباوة ومن ختم على قلبه وسمعه وجعل على بصره غشاوة.

يا سلمان! أنا الطامّة الكبرى، أنا الآزفة إذا أزفت، أنا الحاقّة، أنا القارعة، أنا الغاشية، أنا الصاخة، أنا المحنة النازلة، ونحن الآيات

والدلالات والحجب ووجه الله، وأنا كتبت اسمي على العرش فاستقرّ، وعلى السموات فقامت، وعلى الأرض فرست، وعلى الريح فذرت، وعلى البرق فلمع، وعلى الودق فهمع، وعلى النّور فسطع، وعلى السحاب فدمع، وعلى الرعد فخشع، وعلى الليل فدجى، وأظلم وعلى النهار فأنار فتبسّم».

بيان: «لا يكمل»: إمّا على المجرّد فقوله: «إيمانه» بدل من المؤمن وإمّا على المزيد فيه، فالإيمان مفعول. و «قصّر» على صيغة التفعيل. وجندب اسم أبي ذر رضي الله عنه قوله: «وهو الإخلاص» أي التوحيد هو الإخلاص المفهوم من قوله تعالى: «مخلصين» في قوله: ﴿**وما أمِرُوا إلاّ ليعْبُدوا اللهَ مُخْلِصينَ لَهُ الدين**﴾[١٢٦] «ولم يرد» بالتخفيف من الورود. «ونعمته التي لا تجزى»، أي النعمة التي لا يقابلها جزاء لكثرة المثوبات أو النعمة التي أعطاها الله بالعناية السابقة قبل الاستحقاق فيكون من النعم المبتدأة. و «صاحب الرجعة»، لرجوعه عليه السلام في آخر الزمان. و «فصل الخطاب»، أي الخطاب الفاصل وفي الخبر: أنه معرفة الألسنة التي في الإنسان والحيوان. «يا علي أنت ذو قرنيها وكلا طرفيها»، الضمير: إمّا للجنة كما وقع ذكر الجنة قبلها في خبر و «القرن» بمعنى الجانب فيكون قوله «وكلا طرفيها» للبيان أي يسلك جميع مسالك الجنة كما سلك ذو القرنين و «القرن» بمعنى السيّد والمراد سيّدي شباب الجنة أي الحسن والحسين عليهما السلام، وإمّا للأمّة كما ورد في خبر آخر من إظهارها فيكون المعنى: أنت أوّل هذه الأمّة لكونه عليه السلام أقدم إسلاماً وكذا أولى الناس بالأمر بعد النبي صلّى الله عليه وآله وتظهر في آخر الزمان أيضاً، أو المعنى أنه ذو شجّتين في قرني رأسه أحدهما من عمرو بن عبد ود والآخر من ابن ملجم لعنهما الله. والضمير في قوله: «لا يلد ولم يولد» ضمير

الغائب منهم. قوله: «فلا تدعونا أرباباً» أي لا تقولوا بألوهيّتنا من أجل هذه الصفات وفي الخبر: «نزّهونا عن الربوبية وارفعوا عنّا حظوظ البشرية فلا يقاس بنا أحد من الناس فأنّا نحن الأسرار الإلهية المودَّعة في الهياكل البشرية والكلمة الربانية الناطقة في الأجساد الترابية وقولوا بعد ذلك ما استطعتم فإنّ البحر لا ينزف وعظمة الله لا توصف». قوله «رَسَتْ» أي ثبتت ووفقت. و «ذرت» (بالتخفيف) أي هبّت وطارت. و «الودق»: المطر. و «همع» أي صار همعاً (بكسر الميم) ماطراً. و «دمع السحاب» أي خرج ماؤها كالدّمع لماء العين و «تبسّم النهار» كناية عن طلوع الشمس كما أن حين التبسّم يظهر الأسنان. هذا تفسير الألفاظ:

وأمّا تفسير المعاني، ففي خبر المفضَّل عن الصادق عليه السلام: إنّ ذلك كله يرجع إلى «الأمر» وذلك لأنه ما تنزَّل شيء إلاّ بأمر ربّك: فتبصّر! وأمّا سرّ ذلك فقد ذكر عليه السلام في أول الخبر أنّ «معرفته معرفة الله وأنّ معرفة الله معرفته» ومن البيّن أنه لا يعرف الله إلا بالله.

وصل آخر: في كتاب علل الشرايع في الباب الذي ذكر فيه علل فضل بن شاذان رحمه الله، قال عليه السلام: فإن قيل: فلِمَ بدأ بالحمد في كل قراءة دون سائرالسور؟ قيل: إنّه ليس شيء من القرآن والكلام جمع فيه من جوامع الخير والحكمة ما جمع في سورة الحمد وذلك أنّ قوله: «الحمد لله»، إنما هو أداء لما أوجب على خلقه من الشكر وشكر لما وفّق عبده للخير «رب العالمين» تمجيد له وتحميد وإقرار بأنه الخالق المالك لا غير. «الرحمن الرحيم» استعطاف وذكر لربه ونعمائه على جميع خلقه. «مالك يوم الدين» إقرار بالبعث

والحساب والمجازاة وإيجاب له ملك الآخرة بما أوجب له ملك الدنيا. «إياك نعبد» رغبة وتقرباً إلى الله وإخلاصاً بالعمل دون غيره. «وإياك نستعين» استزادة من برّه وتوفيقه وعبادته واستدامة لما أنعم عليه ونصره. «اهدناالصراط المستقيم» استرشاد لأدبه واعتصام بحبله واستزادة في المعرفة بربه. «صراط الذين أنعمت عليهم» توكيد في السؤال والرغبة وذكر لما تقدّم من نعمه على أوليائه ورغبة في مثل تلك النعم. «غير المغضوب عليهم» استعاذة من أن يكون من المعاندين الكافرين المستخفين بأمره ونهيه. «ولا الضالين» اعتصاماً من أن يكون من الذين ضلوا عن سبيله من غير معرفة وهم يحسبون أنّهم يُحسنون صنعاً فقد اجتمع فيه من جوامع الخير والحكمة وأمر الدنيا والآخرة ما لا يجمعه شيء من الأشياء ـ الخبر بتمامه (د، ص ١٦١ وأسرار العبادات، ص ٧١ ـ ٧٠).

فصل: ولبعض العرفاء، في تفسير هذه السورة المباركة طريقة لطيفة لا تخلو عن فوائد شريفة نحن ننقله بعباراته:

قال: سورة فاتحة الكتاب إنّما سمّي بها لأنه فتح عليك بفاتحة لذيذ مناجاته فكانت فاتحة كلّ مزيد.

بسم الله الرحمن الرحيم: حكى عن أبي العباس بن عطا أنه قال: «الباء» برّه لأرواح أنبيائه بإلهام الرسالة والنبوة، و «السين» سرّه مع أهل المعرفة بإلهام القربة والإنس، و «الميم» منّته على المريدين بدوام النظر إليهم بعين الشفقة والمرحمة.

وقال الجنيد: في «بسم الله» هيبته وفي «الرحمن»، عونه وفي «الرحيم»، مودّته ومحبته.

وقيل: «الباء» في «بسم الله»، أنّه بالباء ظهر الأشياء وبه فنيت

وبتجليه حسنت المحاسن وباستتاره قبحت وسمحت.

قال محمّد بن موسى الواسطي(١٢٧): ما دعى الله أحد باسم من أسمائه إلا ولنفسه في ذلك نصيب إلاّ قوله الله فإن هذا الاسم يدعوه إلى الوحدانية وليس للنفس فيه نصيب.

حكي أنّ أبا الحسين النوري(١٢٨)، بقي في منزله سبعة أيام لم يأكل ولم ينم ولم يشرب ويقول في ولهه ودهشته: اللّه اللّه وهو قائم يدور فأخبر الجنيد(١٢٩) بذلك فقال: أنظروا: محفوظ عليه أوقاته أم لا؟ فقيل: إنهّ يصلّي الفرائض فقال: الحمد للّه الذي لم يجعل للشيطان عليه سبيلاً. ثم قال: حتّى نزوره، إمّا نستفيد منه أو نفيده، فدخل عليه وهو في ولهه فقال: يا أبا الحسين! ما الذي دهاك؟ قال: أقول: اللّه اللّه. زيدوا عليّ. فقال له الجنيد: انظر هل قولك «اللّه اللّه» أم قولك قولك؟ إن كنت القائل «اللّه اللّه»، فلست القائل له، وإن كنت تقول بنفسك فأنت مع نفسك فما معنى الوله! فقال: نعم المدِّبُ أنت وسَكَنَ عن ولهه.

وكان الشبلي(١٣٠) رحمه اللّه يقول: اللّه فقيل: لم لا تقول: لا إله إلاّ اللّه قال: لا أنفي به ضدا.

وقيل:إن الإشارة في «الألف» هو قيام الحقّ بنفسه وانفصاله عن جميع خلقه فلا اتصال له بشيء كامتناع الألف أن يتّصل بشيء من الحروف ابتداءً، بل تتّصل الحروف به على حدّ الاحتياج إليه واستغنائه عنهم.

وقيل: في قوله اللّه: إن «الألف» إشارة إلى الوحدانيّة، و «اللاّم» إشارة إلى محو الإشارة و «اللاّم» الثانية إلى محو المحو في كشف الهاء.

وقيل: من قال اللّه بالحرف فإنه لم يقل الله لأنه خارج عن الحروف

والحواس والأوهام والأفهام، ولكن رضي منّا بذلك لأنه لا سبيل إلى توحيده من حيث لا حال ولا قال.

وقيل: في قوله الله: إنّ الأسماء كلها داخل في هذا الاسم وخارج منه: يخرج من هذا الاسم معاني الأسماء كلّها ولا يخرج هذا الاسم من اسم سواه وذلك أنّ الله تفرد بهذا الاسم دون خلقه وشارك خلقه في اشتقاقات أساميه.

كتب أبو سعيد الخرّاز(١٣١) إلى بعض إخوانه: هل هو إلاّ اللّه؟ وهل يقدر أحد أن يقول الله إلا اللّه؟ وهل يرى اللّه إلا اللّه؟ وهل عرف اللّه إلا اللّه؟ وهل كان قبل العبد وقبل الخلق إلاّ اللّه؟ وهل الآن في السّماوات والأرضين وما بينهما إلاّ اللّه؟ أو يكونوا فكانوا باللّه ولله.

قال أبو سعيد الخرّاز: رأيت حكيماً فقلت له: ما غاية هذا الأمر؟ قال اللّه. قلت: فما معنى قولك: اللّه؟ قال: نقول: اللّهم دلّني عليك وثبّتني عندك ولا تجعلني ممن يرضى بجميع ما هو دونك عوضاً منك وأقرّ فراري عند لقائك.

قوله: «الرَّحْمن: باسمه «الرحمن»، خرج جميع الكرامات للمؤمنين مثل الإيمان والطاعات والولاية والعصمة وسائر المنن والنعم وكلّ نعمة تدوم. ولا يستحقّ أحد من المخلوقين هذا الاسم لأنّ المخلوق عاجز عن إعطاء شيء لأحد يدوم ويبقى.

وأيضاً، فإنّ رحمته الرحمانية للمريدين، بها يتفضّلون عما دون الرحمن. ولمّا عمّت رحمته في العاجلة على الوليّ والعدوّ في معايشهم وأرزاقهم وغير ذلك، سمّي رحماناً. قال الواسطي: «الرحمن» لا ينصرف إليه أحد إلاّ بصرف رحمانيته.

والرحيم: يتقرَّب إليه بالطاعة لأنه شارك فيه رسوله فقال: **﴿بالمُؤْمنينَ رَؤُوفٌ رحيمٌ﴾**(١٣٢). قوله جلّ وعلا: «الرحيم» يقال إنّ معنى

الرحيم هو ما يخرج من الرحمة الرحيمية لمعاش الخلق ومصالح أبدانهم فلذا لم يمنعوا أن يتسمّوا بـ «الرحيم» ومنعوا بالتسمية بـ «الرحمن». ويقال: إنّ معنى «الرحيم»: أي بالرّحيم وصلتم إلى اللّه وإلى الرحمن. و «الرحيم» نعت محمد صلّى اللّه عليه وآله وسلم في قوله: ﴿بالمُؤْمنينَ رَؤُوفٌ رحيمٌ﴾(١٣٣)، كأنّ معناه أن يقولوا بسم اللّه الرحمن الرحيم أي بمحمد وصلتم إلى أنْ قلتم بسم اللّه الرحمن الرحيم. هو الذي يقبلك بجميع عيوبك إذا أقبلت عليه ويحفظك أتم في العاجلة وإن أدبرت عنه لاستغنائه عنك مقبلاً ومدبراً. قوله عزّ وعلا:

«الحمْدُ للهِ ربِّ العالمين»: قال ابن عطا: معناه: الشكر للّه إذا كان منه الامتنان على تعليمنا إيّاه حتّى حمدناه.

وقيل: معناه: أنت المحمود بجميع صفاتك وأفعالك(١٣٤).

وقيل: الحمد للّه: لا حامد للّه إلا اللّه(١٣٥).

وقال الواسطيّ: الناس في الحمد على ثلاث درجات: قالت العامة: الحمد للّه على العادة وقالت الخاصة: الحمد للهّ شكراً على اللذّة وقالت الأئمة: الحمد للّه الذي لم ينزلنا منزلاً استقطعنا النعم عن شواهد ما أشهدنا الحق من حقه.

قال رجل بين يدي الجنيد: الحمد للّه فقال له: أتمَّها كما قال الله: «ربِّ العالمين» وقال الرجل: «من العالمين»؟ حتى نذكر مع الحق» فقال: قلة يا أخي فإنّ المحدث إذا قورن به القديم لا يبقى له أثر.

وقيل في قوله «الحمد للّه رب العالمين»: حمدي نفسي لنفسي في الأزل لم يكن بعلّة، وحمد الخلق إيّاي مشوب بالعلل. وحمده نفسه في الأزل لما علم من كثرة نعمه على عباده وعجزهم عن القيام بواجب حمده فحمد نفسه عنهم ليكون النعمة أهنأ لهم حيث أسقط عنهم به ثقل رؤية المنة.

قوله تعالى: «الرَّحمن الرحيم». «الرحمن» بالإشراف على أسرار أوليائه والتجلّي لأرواح أنبيائه. و «الرحيم» بالعطف على أنفس الخلايق برّهم وفاجرهم ببسط معايشهم في الدنيا.

وقيل: الرحمن خاصّ الاسم عامّ الفعل والرحيم عامّ الاسم خاص الفعل.

وقيل: الرحمن بذاته والرحيم في نعوته وصفاته. وجلّ الحق أن يدرك حقيقة أساميه أحد لأنّ أسماءه بلا علّة وإنما يظهر للخلق نصيبهم من الأسامي لا حقيقتها لأنّه أظهر الأسامي للإثبات رحمة للخلق لا إشرافاً على صفاته ونعوته قال اللّه: **﴿ولا يُحيطُونَ بهِ علماً﴾**(١٣٦) وكيف يدرك من الجهات لا تضمنه والسّنات لا تأخذه والأوقات لا تداوله ومصنوعه لا يحاوله والرحمة لا تجليه والأدوات لا تؤديه والإشارات لا تدانيه؟ لم يلتبس به حال ولا نازعه بال لا الصفات أوجدته ولا الأسامي رببته بل هو موجد كلّ موجود وخالق كلّ موصوف.

روي عن الإمام جعفر الصادق صلوات اللّه عليه وعلى آبائه أنه قال: الرحمن الذي يرزق العباد ظاهراً وباطناً، فرزق الظاهر من الأقوات من المأكولات والمشروبات ورزق الباطن العقل والمعرفة والفهم وما ركب فيه من أنواع البدائع كالسمع والبصر والشمّ والذّوق واللّمس والظنّ والهمّة.

قوله: **﴿مالك يوم الدين﴾** قال ابن عطا: يجزي يوم الحساب كلّ صنف بمقصودهم وهمّتهم فيجازي العارفين بالقرب منه وبالنظر إلى وجهه الكريم ويجازي أرباب المعاملات بالجنّات.

وقيل: حق العبيد إذا شاهدوا مليكهم أن يتمنّوا المملكة عند مشاهدة مليكهم.

وقيل: «مالك يوم الدين» يوم الكشف والإشهاد لتجزى كل نفسٍ بما تسعى.

وقيل: إنّها خمسة أسامي الله، وربّ العالمين، والرحمن، الرحيم، ومالك يوم الدين. فاستدعى الألوهية الوله، والربوبية رؤية المنّة، والرحمن رؤية الشفقة، والرحيم رؤية التعطّف، والمالك القطع عن المملكة بالاتصال إلى مالكها.

قوله سبحانه: ﴿**إياك نعبد وإياك نستعين**﴾: إياك نعبد بقطع العلائق والأغراض، وإياك نستعين على الثبات على هذه الحالة فإنّا بك لا بنا.

وأيضاً: إيّاك نعبد بالإخلاص، وإياك نستعين على ترك ريائنا.

وأيضاً: إياك نعبد بأبداننا، وإياك نستعين على المكاشفة لأسرارنا. إياك نعبد عبادة من يعلم أنه بتوفيقك وتيسيرك عبدك، ونستعين على قبولها. إياك نعبد بأمرك، ونستعين بفضلك. إياك نعبد فأهّلنا لعبادتك، وإياك نستعين فلا تحرمنا معونتك.

وقال الجنيد: إن الله تعالى خصّ قوماً بمعرفة عبوديّته فأقرّوا له بالعبودية فقالوا: «إيّاك نعبد» ثم أخرجهم عن ذلك فعرّفهم نفسه وما تولى الله لهم من ذلك فقالوا: «إياك نستعين» على عبادتنا أي لا يمكن أداءها إلاّ بك، فبك عبدناك وبك استعنا على شكر النعمة فيه.

قوله عز شأنه: ﴿**إهدنا الصراط المستقيم**﴾.

قيل: معناه: مل بقلوبنا إليك، فأقم بهممنا بين يديك، وكن دليلنا منك إليك حتى لأنقطع عما لديك.

وقيل: أرشِدنا إلى طريق المعرفة حتى نستقيم معك بخدمتك فهذا دعاء المريدين في هذه الآية.

وقيل: أرنا طريق هدايتك كي نستقيم معك على توحيدك فهذا دعاء المؤمنين.

وقيل: إهدنا طريق أنسك فنفرح ونطرب بقربك فهذا دعاء العارفين.

وقيل: إهدنا بك إليك لنستغني بهدايتك عن وسائط المقامات والمجاهدات.

وقيل: إهدنا أي اكشف عنا ظلمات أحوالنا لننظر في خفي غيبك.

وقال أبو عثمان(١٣٧) في قوله: ﴿**إهدنا الصراط المستقيم**﴾ أي أرشدنا لاستعمال السّنن في أداء فرائضك.

وقيل: ﴿**إهدنا الصراط المستقيم**﴾ نثنى بهدايتك عن الشيطان فإنّه قال: ﴿**لأَقْعُدَنَّ لهُمْ صراطَكَ المستقيم**﴾(١٣٨).

وقيل: الصراط المستقيم هو الافتقار إليك كما قيل لأبي حفص:(١٣٩) بماذا تقدم على ربّك؟ قال ما للفقير أن يقدّم به على الغني سوى فقره.

قوله تعالى: ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ أي مقام الذين أنعمت عليهم بالمعرفة وهم العارفون. وأنْعَمَ الأولياءَ بالصدق والرضا واليقين، وأنعم على الأبرار بالحلم والرأفة، وأنعم على المريدين بحلاوة الطاعة وأنعم بالمؤمنين بالاستقامة.

وحكي عن محمد بن الفضل أنه قال: صراط من أنعمت عليهم بقبول ما فرضت.

وحكى عن مالك بن أنس أنه سئل عن قوله: ﴿**صراط الذين أنعمت عليهم**﴾ فقال: الذين أنعمت عليهم بمتابعة محمد صلى الله عليه وآله(١٤٠).

وقيل: صراط الذين أنعمت عليهم بمشاهدة المنعم دون النعمة.

وقيل: بالإسلام ظاهراً والإيمان باطناً قال الله تعالى: ﴿**وأَسْبَغَ عليْكُمْ نِعَمَهُ ظاهرَةَ وباطِنَةَ**﴾(١٤١).

﴿غيرَ المغضُوب عليهِمْ ولا الضالين﴾: قال ابن عطا: غير المخذولين ولا المطرودين ولا المهانين ولا الضالين الذين ضلّوا عن طريق هدايتك ومعرفتك وسبيل ولايتك.

وقيل: غير المغضوب عليهم بطلب الأعواض على أعمالهم ولا الضالين عن طريق الشكر بتيسير الخدمة عليهم.

وقيل: غير المغضوب عليهم بترك حسن الأدب في وقت القيام لخدمتك ولا الضالين عن رؤية ذلك منك ـ انتهى[١٤٢].

فصل: وفي مشارق الأنوار[١٤٣] في تفسير السورة المباركة: اعلم أنّ سر الكتب الإلهية وسرّ النبوة والولاية والاسم الأكبر، وأسرار الغيب في فاتحة الكتاب وسر الفاتحة في مفتاحها، وهو **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾** وفيها إشارات ثلاث:

الأولى، قوله سبحانه: **﴿وإذا ذَكَرْتَ ربَّكَ في القُرآنِ وَحْدَهُ﴾**[١٤٤] والمراد من هذا الذكر والوحدة قوله: **﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لأنّها** ذكر الله وحده؛

الثانية، إنّ عدد حروفها تسعة عشر وعدد اسمه الـ «واحد» تسعة عشر فهي محتوية على الوحدة والتوحيد، والواحد صفة الأحد، فالواحد هو النّور الأول وهذا ذكر الذات بظاهر اسمها الأعظم؛

الثالثة، قوله: بسم الله إشارة إلى باطن السّين وسرّ السين الذي بين الباء والميم الذي قال فيه أمير المؤمنين: «أنا باطن السّين، أنا سرّ السين» وهو الاسم المخزون وهو باطن الاسم الأعظم، أما سر الباء فإنها للنبوّة، والنقطة للولاية لقوله عليه السلام: «أنا النقطة تحت الباء». والـ «سّين» عدد حروفه مائة وعشرون وهي اسم عليّ[١٤٥] وحروف «ميم» عددها اثنان وتسعون وهي اسم محمد صلى الله عليه

وآله وسلم. «الحمد لله رب العالمين» نشهد أنّ جميع المحامد بجوامع الكلم من كلّ مادح وحامد فإنّها لله ربّ العالمين يستحقّها ويستوجبها ويجزي عليها قسطاً وعدلاً «الرحمن الرحيم» الذي طوّق بإحسانه أهل سماواته وأرضه، أخرجهم بلطفه من كتم العدم وأفاض عليهم من سحائب كرمه فرائض النعم ونوافلها. ووسعهم بجوده وإيجاده ومنّه. فهو «مالك يوم الدين» الذي كل شيء ملكه ومملوكه فله الملك للعباد والعدل في المعاد، لكنه يملك من أراد وإن تقطّعت أكباد ذوي العناد. وإذا قلنا: «إياك نعبد وإياك نستعين» نقرّ بأن الموصوف بهذه الصفات هو المعبود الحق فنقول هناك: «إهْدِنا الصراط المستقيم» نسأل بعد الحمد أن يهدينا إلى حبّ عليّ لأنه الصراط المستقيم «صراط الذين أنعمتَ عليهِم» وهم آل محمد الذين لأجلهم خلق الكون والمكان «غير المغضوب عليهم» وهم أعداؤهم الذين يبدل الله صورهم عند الموت «ولا الضالين» وهم شيعة أعدائهم. ـ انتهى.

فصل: ولنذكر بعد ذلك تفسير سورة القدر المباركة لأنّها في شأن الأئمة الطاهرة ولذلك أمر رسول الله (ص) في صلاة المعراج[١٤٦] بقراءتها في الركعة الثانية بعدما أمر في الركعة الأولى بقراءة التوحيد للتلازم الواقعي بين مدلوليهما، بل الولاية كما مر مراراً مندرجة في التوحيد. وسيذكر المصنّف[١٤٧] رحمه الله أخباراً في تفسير سورة التوحيد وهذا الذي نذكره في تفسير سورة القدر مما استفيد من آثار الأئمة واقتبس من أنوارهم المقدسة[١٤٨]:

قال الله عزّ من قائل: ﴿بِسمِ الله الرَّحْمنِ الرَّحيم إنَّا أنْزَلْنَاهُ﴾ أي أمرنا بنزول عليّ عليه السلام من عالم الغيب الذي هو مدلول الضمير. «في لَيْلَةِ القَدْرِ»: بسبب ليلة الله التي هي فاطمة[١٤٩] عليها

السلام لآنه لو لم ينزل من السماء لم يكن لها كفو أبداً وما طلعت أنوار أئمة الهدى ولا بدّ في المشيّة من طلوعها لأنّه لولاهم ما نزل أمر من السماء.

﴿وما أدْراكَ ما لَيْلَةُ القَدْرِ﴾ كرّر الليلة المباركة لتعدد مظاهرها:

فإحديها، إشارة إلى مرتبة فاطمة عليها السلام بحسب نفسها.

والثانية، بأنّ تلك الليلة إنّما هي من زمان غروب شمس النبوّة من حين فوت النبي إلى صبح ظهور القائم عليه السلام؛

والثالثة، أنّها ظهرت بإجمالها في واحدة أو ثلاث ليال من شهر رمضان. «ليلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ من ألفِ شهْرٍ» هذه الليلة المباركة خير من ألف مؤمن(١٥٠) لأنّها لولاها ما آمن أحد بالله وما عرف الله وما عبد الله: وكذا السنون التي من زمان غيبة النبي إلى ظهور القائم خير من السنين التي قبل بعثته؛ وكذا الليلة التي في شهر رمضان من ظهور سلطان آل محمد خير من ألف شهر ملك في بنو أمية. **﴿تَنَزَّلُ الملائكَةُ والرُوحُ فيها﴾** أي بسبب هذه الليلة ونزول هذا النور فيها تنزّلت الجواهر العقلية والأنوار الإلهية التي بمنزلة القوى والأرواح للنفس الكلية الإلهية في عالم الشهادة؛ وتنزل الروح التي هي بعبارة أخرى نفس هذه الليلة المباركة في تلك الليلة الطويلة التي غابت فيها شمس النبوّة؛ وتنزل الملائكة والروح جميعاً في الليلة القصيرة من شهر رمضان من كلّ أمر من الأمور الإلهية وإلقاء الجواهر العقلية المتلّبسة بالألبسة الكونية على قائم آل محمد صلى الله عليهم أجمعين. «سلامٌ» ورحمة للعالمين. هذه الليالي الثلاث من زمان فقدان جمعيّة النبي صلى الله عليه وآله «حتّى مطلَعِ الفَجْرِ» فجر يوم القيامة بظهور قائم الأئمة الطاهرة صلى الله عليهم أجمعين وعجّل فرجهم ونصرتهم للدين.

فصل في الركوع: لمّا[١٥١] كان المصلّي في وقوفه بين يدي ربّه له نسبة إلى القيوميّة وذلك مما يوهم التشبيه وإن كان في الاسم عند أهل الحق والمعرفة، فبالحريّ أن يتنقل من هذه الحالة إلى حالة مختصّة بالعبد من الخضوع، فلذلك أمر بالركوع لأنّه لما نظر ـ في قيامه وفي ما قرأ فيه ـ إلى عظمة الله وتنزّهه عن الافتقار إلى الغير في فعل أو صفة فيسبّحه باسم «الرب» ـ الذي هو من الأمهات ومن الأسماء الكثيرة الدور في الآيات، مضافاً إلى المربوب، إذ العلماء يتفاضلون في مراتب المعرفة: فمنهم من يسبّحه عما يعتقد فيه الآخر (ومنهم من يسبّحه من وجوه آخر) ـ متعقباً بالاسم «العظيم» لكون الركوع متسبباً من رؤية عظمته تعالى وعدم شركة غيره معه في شيء من الأشياء. فإذا فرغ من التسبيح عقّبه بالتحميد مشيراً إلى أنّ التسبيح متلبّس بالتحميد، لا يخلو منه، لضرورة إضافة التسبيح إلى اسم من الأسماء وذكر الاسم تحميد بل التسبيح نفسه تحميد كما لا يخفى وفي الخبر: لمّا نزل قوله عزّ وجلّ: **﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾**[١٥٢] قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اجعلوها في ركوعكم»[١٥٣] هذا ما قالوا في الركوع مع زيادات منّا لطيفة.

وصل: الركوع على ما أرى إشارة إلى توحيد الأسماء والصّفات وقد عرفت أنّ القيام مقام توحيد الأفعال، وذلك لأنّ المصلّي لما تحقّق بالتوحيد الفعلي ولا ريب أن هذه الأفعال إنّما هي آثار الأسماء فيرى أنّ الأسماء مع كثرتها إنّما جمعت تحت اسم واحد جامع لحقائقها فيدخل تحت سلطان ذلك الاسم ويفنى عن استقلاله بالفعل بل على الفعل رأساً، ويكتفي بكونه في الحقيقة من الحقايق المندرجة تحت ذلك الاسم الأسنى فيخضع له بالانحناء مشيراً إلى نفي الفعل عن

نفسه واكتفائه من آثاره ببقاء اسمه في الأسماء، فإذا رأى سلطان الاسم وعظمته فيذكر بعد الاسم «الربّ» ما اختار الله لنفسه أولاً من الأسماء وهو «العظيم» إذ العظمة بالنسبة إلى الأسماء وباعتبار الصفات الحسنى كما أنّ الأعلى باعتبار الذات من دون اعتبار النعوت والصفات.

فصل في آداب الركوع: في مصباح الشريعة[١٥٤] لمولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في باب الركوع: لا يركع عبد للّه تعالى ركوعاً على الحقيقة إلاّ زيّنه الله بنور بهائه وأظلّه في ظلال كبريائه وكساه كسوة أصفيائه. والركوع أول والسجود ثان فمن أتى بمعنى الأول صلح للثاني وفي الركوع أدب وفي السجود قرب ومن لا يحسن الأدب لا يصلح للقرب؛ فاركع ركوع خاشع لله بقلبه متذلّل وجلٍ تحت سلطانه، خافض له بجوارحه خفض خائف حزن على ما يفوته من فائدة الراكعين. وحكي أنّ ربيع بن خيثم[١٥٥] كان يسهر بالليل إلى الفجر في ركعة واحدة، فإذا أصبح يزفر وقال سبق المخلصون وقطع بنا. واستوف ركوعك باستواء ظهرك وانحطّ عن همتك في القيام بخدمته إلاّ بعونه وفرّ بالقلب من وساوس الشيطان وخدائعه ومكائده. فإنّ الله يرفع بقدر تواضعهم له ويهديهم إلى أصول التواضع والخضوع الخشوع بقدر اطلاع عظمته على سرائرهم.

بيان إجمالي: الركوع الحقيقي إشارة إلى الفناء عن الصفات وعن التشريك فيها مع الله تعالى بقرينة تفريع التزيين بنور البهاء والإظلال تحت ظلّ الكبرياء، إذ بعدما فنى العابد من الأسماء والصفات يبقى ببقاء الله المعبر عنه بظلّ الكبرياء، إذ الكبرياء إنّما هي بحسب الذات

وقوله: «الركوع أول والسجود ثان»، يؤيّد ذلك إذ ما لم يصر فانياً عن الأوّل لم يتحقق بالثاني.

وأمّا قوله: فاركع ـ إلى آخر الباب، فإشارات إلى لطايف أحوال الركوع:

أحديها، أنّ الركوع إنما هو خشوع لله وتذلّل وإقرار بأنه ما أدّى في قيامه بخدمته حقّها فيلجأ إليه كأنّه يتحسّر على ما يفوته ويجتمع ما يعطيه الله من فوائد الراكعين بفضله.

والثانية، استواء الظهر المستحب في الركوع، إشارة إلى أنه وإن قصر في القيام بالخدمة لكن أتى بالخضوع والذلّة من دون اعوجاج من افتقار إلى أحد سوى الله.

والثالثة، إنّ الانحناء هو الانحطاط من المرتبة التي حسبها لنفسه حالة القيام من المشاركين في الصفة، فأزاله بإظهار الخضوع والذلّة واعتقاد أنّ القيام بالخدمة ليس إلاّ بعون الله إذ لا قوة إلاّ بالله.

والرابعة، إن هذا الانحناء هو فرار بالقلب عن وساوس الشيطان حيث يخطر في القيام الاستقلال والمدخليّة في شيء، فأزالها بالركوع وإظهار الذلّة والخشوع.

و «الاطلاع» على صيغة الإفعال بمعنى الإشراف والاستيلاء.

فصل في رفع الرأس من الركوع، لمّا كان الركوع هو الخضوع لأجل ما رأى المصلي في قيامه أنه قام بنفسه فيركع بجميع أعضائه ويخفض بتمام جوارحه لإزالة ذلك، فجازاه الله بأن يظهر له أنّ الله هو الذي قوّاه وأقام نشأته فيرفع رأسه ويقول نيابة عن الله فإن الله يقول على لسان عبده: «سمِعَ اللهُ لِمَنْ حمِدَهُ» في ركوعه حيث نسب الكلّ إليه واعتقد أنه القيّوم والقائم على كلِّ نفس بما كسبت.

وصل في صلاة المعراج: إن رسـول الله صلى الله عليـه وآله لمّا تَطَأْطَأَ رأسَه للركوع، رأى عرشه العظيم فقال: «سُبْحانَ ربِّيَ العظيمِ وبحَمْدِه» ولمّا رفع رأسـه رأى نوراً أدهشـه، فخرّ مغشيّاً عليه وسجد[١٥٦]. ولعلّ هذا العرش هو عرش الوحدانية إذ الوحدانية هي مرتبة الأسماء ومجمع قاطبة الصفات والأنوار. ففي تلك الرؤية، رأى الوجود مظاهر تلك الأنوار بل لم يرَ صلّى الله عليه وآله إلاّ تلك الأنوار والأضواء. فقد عرفت أنّ الركوع مقام توحيد الصفات والأسماء.

فصل في السجود: المصلّي[١٥٧] في سجوده يطلب أصل نشأته وهو التراب ولذا استحبّ السجود به وينزّه الله عن ذلك. فالركوع حالة وجوده المستفاد من ربّه، والقيام طلب أصل روحه، والسجود حالة إمكانه وعدمه الذاتي؛ فالركوع حالة برزخية بين القيام والسجود فله نسبة إلى الله والعالم الإلهي الذي منه نوره، ونسبة إلى الأشياء بالفناء والفقر الذاتي الذي هو أصله. وذكر الاسم «الرب» لما قلنا. والتعقيب بـ «الأعلى» لأنه لما طلب بقيامه روحه التي هي من العالم العلويّ، نفى في السجود علوّ نفسه رأساً وأثبته لله تعالى وفي الخبر: إنّه لما نزل قوله سبحانه: ﴿**سبِّح اسمَ ربِّكَ الأعلى**﴾[١٥٨]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اجعلوها في سجودكم»[١٥٩]. هكذا قالوا.

وصل: السجود عندنا إشارة إلى مقام توحيد الذات والحكم باستهلاك الأشياء والصفات في هذه المرتبة وفناء كلّ شيء سوى الذات الأحدية التي لها البقاء سرمداً. وذكر الاسم «الربّ» فيه لما سبق. و «الأعلى» لكون العلوّ باعتبار الذات فله العلوّ الأعلى فوق كلّ عال بفناء كل شيء وهلاكه إلاّ وجه ربك ذي الجلال.

وصل آخر: في مصباح الشريعة[١٦٠] قال الصادق عليه السلام: «ما خسر والله من أتى بحقيقة السجود! ولو كان في العمر مرّة واحدة؛ وما أفلح من خلا بربّه في مثل ذلك الحال تشبيهاً بمخادع نفسه! غافل عمّا أعدّ الله للساجدين من البشر العاجل وراحة الآجل؛ ولا بُعد عن الله أبداً من أحسن تقرُّبَه في السجود؛ ولا قَرُب إليه أبداً من أساء أدبه وضيّع حرمته بتعلق قلبه بسواه في حال سجوده، فاسجدْ سجودَ متواضع لله ذليل علم أنه خُلِقَ من تراب يطأه الخلق، وأنه رُكِّب من نطفة يستقذرها كلٌّ أحد. وقد جعل الله معنى السجود سبب التقرب إليه بالقلب والسرّ والروح، فمن قرب منه بعد من غيره إلاّ يرى في الظاهر أنه لا يستوي حال السجود إلا بالتواري عن جميع الأشياء والاحتجاب عن كلّ ما تراه العيون، كذلك أمر الباطن، فمن كان قلبه متعلقاً في صلاته بشيء دون الله فهو قريب من ذلك الشيء بعيد عن حقيقة ما أراد الله منه في صلاته قال الله عز وجل: «ما جَعَلَ الله لِرَجُلٍ من قَلْبَيْنِ في جوْفِهِ»[١٦١] وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله تعالى: لا أطلع على قلب أحد فأعلمُ فيه حبّ الإخلاص لطاعة وجهي وابتغاء مرضاتي إلاّ تولَّيْتُ تقويمه وسياسته، ومن اشتغل بغيري فهو من المستهزئين بنفسه مكتوبٌ اسمه في ديوان الخاسرين.

بيان: حقيقة السجود هو الذي ذكره عليه السلام بقوله: «ما أفلح من خلا بربه» إذ الخلوة مع الله لا يتيسّر إلاّ بالفناء عن كلّ شيء حتى عن نفسه وعن كونه فانياً، لأنّ الله لا يخلو مع من يشرك به شيئاً، «وبُشر العاجل» هو أنّ الله معه ويتولى أمره وتقويمه، «وراحة الآجل» هي كونه «في مَقْعَده صِدق عِنْدَ مليكٍ مقتدر»[١٦٢] وقوله: «علم أنه خلق» إشارة إلى الوجه الذي ذكر في الفصل وقوله: «وقد جعل الله معنى السجود» إلى آخره، إشارة إلى ما ذكرنا في الوصل.

والتقرب بالقلب أوّلٌ، وبالروح ثانٍ، وبالسرّ ثالثٌ. والأوّل هو الفناء عن كلّ شيء والتعلّق بالله ولا ريب أنه يستدعي متعلقاً ومتعلقاً به، والثاني هو الفناء عن نفسه، والثالث هو الفناء عن الفناء وهو مقام محو المحو «ألا إلى الله تصيرُ الأمُورُ».

فصل في رفع الرأس من السجود: لمّا اخترق عالم الخلق في نظر الساجد من أجل الدعاوي التي كانت من أوّل الصلاة إلى حين السجود وفيه يرتفع الحجب والأستار ويحترق، ويُحرق سبحاتُ وجهه سبحانه وهي عالم الأنوار، ما أدركه البصرُ من عالم الخلق والآثار، فحينئذٍ يستغرق المصلّي العارف[١٦٣] في نور الله تعالى، ويتقلّب فيه بحيث يشاء، فيرفع رأسَه من السجود إشارةً إلى أن المحترق منه هو الدعوى، ووصل إلى عالم الأنوار الذي ليس فيه دعوى أصلاً: فيستغفر من الدعوى ويتوب إلى ربّه الأعلى برجوعه إلى عالم النّور والضياء.

وصل في صلاة المعراج على ما في الرواية السابقة: ثم لمّا رفع رأسه من السجدة الأولى، رأى ذلك النور، أي النّور الذي رآه حين الرفع من الركوع، فأدهشه، فسجد، فلما رفع رأسه ثانيةً لم ير ذلك النور فالذي رآه هو نور الله المنبسط على هياكل الموجودات بحيث لم يلتفت إلى الأشياء إذ السجود مقام فنائها والتكرار لأجل كون الأولى مشوبة بإدراك الأشياء، وإن كان على وجه النفي والسلب، ففي الثانية خلصت عن هذه الشائبة. وعدم رؤيته بعد السجدة الثانية، لأنّه لا مقام بعد ذلك المحو إلاّ الرجوع إلى نفسه.

فصل في الطمأنينة في المواضع المستحبة: المراد بها الثبات لتحقيق ما يتجلى له في المقامات السابقة عليها أو الملابسة لها من الأنوار المختصّة بكلّ مقام من المقامات. فإذا أسرع وأتى بقدر ما يطلق عليه الاسم فقد فاته علم كثير. ومن ثبت واستقر بالاطمينان فيتمكن من أن يناله شأن من الشأن.

فصل في التشهد: حقيقة[١٦٤] «التشهّد» هو الاستحضار فإنّه تفعُّل من الشهود وهو الحضور. والإنسان مأمور في صلاته بالحضور. والحاضر إنّما يخاطب بالعلم. فمن النّاس من يكون علمه بالله على ما ينتجه النظر الفكري، والعارف يترك ذلك وإن كان حاصلاً له ويرجع في ذلك إلى ما قالته الأنبياء وما نطق به القرآن، وإلى ما عقل عن الله وأخذ منه، فيشهد له تعالى بالألوهية، ولنبيّه بالرسالة، ولأوصيائه بالخلافة على النحو الذي أفاضه الله عليه.

وصل: لمّا كان التشهُّد بعد كمال الركعتين وتمام السجدتين، وقد علمت أن السجدة عبارةٌ عن مقام فناء الفناء ومحو المحو، وفي فضل الله[١٦٥] تعالى حيث وعد أن يلبس الفاني بقاءً من بقائه ويخلع عليه صحواً من خُلَع أصفيائه، فالتشهد هي حالة بقاء العبد ببقاء الله ورؤية أنّ الأمر بيد الله وأنّ الملك لله الواحد القهّار.

وصل آخر: في مصباح الشريعة[١٦٦] قال الصادق عليه السلام: التشهد ثناء على الله، فكُنْ عبداً له في السرّ خاضعاً له في الفعل، كما أنّك عبدٌ له بالقول والدعوى، وصِلْ صدق لسانك بصفاء صدق سرك، فإنه خلقك عبداً وأمرك أن تعبده بقلبك ولسانك وجوارحك، وأن

تُحقّق عبوديتك له بربوبيته لك، وتعلم أن نواصي الخلق بيده فليس لهم نَفَس ولا لحظة إلا بقدرته ومشيّته وهم عاجزون عن إتيان أقل شيء في مملكته إلاّ بإذنه وإرادته قال عز وجل: «وربُّك يخلُقُ ما يشاءُ ويختارُ ما كان لهُمُ الخيرَةُ منْ أمرِهِمْ سُبحانَ الله وتعالى عمّا يشركُونَ»(١٦٧) فكُنْ لله عبداً ذاكراً بالقول والدعوى، وصِلْ صدق لسانك بصفاء سرك فإنه خلقك، فعزّ وجل أن تكون إرادةٌ ومشيةٌ لأحدٍ إلا بسابق إرادته ومشيّته. واستعملِ العبودية والرضا بحكمه وبالعبادة في أداء أوامره وقد أمرك بالصلاة على نبيه محمد صلى الله عليه وآله(١٦٨) فأوصِلْ صلاتَه بصلاتِه وطاعته بطاعتَه وشهادتَه بشهادته، وانظر أن لا يفوتك بركات معرفة حرمته فتحرم عن فائدة صلاته، وأمَرَه بالاستغفار(١٦٩) والشفاعة فيك إن أتيت بالواجب في الأمر والنهي والسنن والأدب وتعلم جليل مرتبته عند الله.

بيان: قوله عليه السلام: «وإن تحقق عبوديتك» إلى قوله: «أداء أوامره»، إشارةٌ إلى حقيقة التشهد كما قلنا، وإلى سرّ ما يذكر فيه من الشهادة بالألوهية. وقوله: «قد أمرك»، إشارةٌ إلى سرّ ذكر الشهادة بالرسالة والصلاة على الرسول. وقول: «وأمره»، عطفٌ على «أمرك» أي أمر الرسول لمجازاتك بالشفاعة. وقوله: «تعلم»، إمّا عطفٌ على قوله «أتيت»، لكون الماضي في الشرط بمعنى المضراع أو عطفٌ على علّة مقدرة للصلاة على النبي؛ والله أعلم.

فصل في التسليم: في مصباح الشريعة(١٧٠) قال الصادق عليه السلام: «معنى السلام في دبر كلّ صلاة الأمان أي من أدى أمر الله وسنة نبيه خاضعاً له خاشعاً منه فله الأمان من بلاء الدنيا وبراءة من عذاب الآخرة. «والسلام» اسم من أسماء الله أودعه خلقه ليستعملوا

معناه في المعاملات والأمانات والانصافات، وتصديق مصاحبتهم فيما بينهم، وصحّة معاشرتهم. وإن أردتَ أن تضع السلام موضعه وتؤدّي معناه، فاتّق الله، ليسلم منك دينُك وقلبُك وعقلُكَ ولا تدنّسهُما بظلم المعاصي ولتسلم حفظتك ألاّ تبرمَهم وتملَّهم وتوحشهم منك بسوء معاملتك معهم، ثم صديقك، ثم عدوك فإن لم يسلم منه من هو الأقرب إليه، فالأبعد أولى! ومن لا يضع السلام موضعه، فلا سلام ولا تسليم وكان كاذباً في سلامه وإن فشاه في الخلق».

وصل: قيل[١٧١]: إنّ التسليم لا يصح من المصلّي إلا أن يكون حال الصلاة مناجياً ربّه غائباً عن كل ما سواه من الأكوان والحضار. فإذا أراد الخروج[١٧٢] منها ومن أفعالها إلى حالة مشاهدة الأكوان والجماعة سلّم عليهم سلام القادم لغيبته في صلاته عن الأكوان وعنهم لكونه عند ربّه؛ فإن كان المصلي لم يزل مع الأكوان والجماعة ووساوس النفس ومناجاة الأبالسة، فكيف يسلّم عليهم فإنّه ما برح من عندهم! فهلاّ يستحيي هذا المصلّي حيث يُشعِر بسلامه أنّه كان في صلاته عند ربّه خارجاً عن مجلس الجماعة ولم يكن كذلك! وأمّا سلام العارف، فلإنتقاله من حالة إلى حالة، فله تسليمه على من ينتقل عنه، وتسليمه على من ينتقل إليه» أقول: فالتسليمات التي على النبي صلى الله عليه وآله وعلى سائر الأنبياء وعلى عباد الله الصالحين إنّما هي للخروج من عندهم والتسليمة الأخيرة التي للحاضرين إنّما هي للدخول عليهم.

فصل في تكبيرات الاختتام: هي نتائج التوحيدات الثلاثة المشتملة عليها الصلاة وهي تذكار لتكبيرات الافتتاح أعيدت لتذكر الحكم بفناء الكل:

فالأولى، الله أكبر من أن يكون معه شيء.

والثانية، الله أكبر من أن يوصف.

والثالثة، الله أكبر من أن يجري في ملكه إلاّ ما يشاء وبعبارة أخرى ليس في العالم الأعلى ولا الأوسط ولا الأسفل إلاّ الله «فَأَيْنَما تولُّوا فثمَّ وجهُ الله»(١٧٣) والحمد لله.

فصل: قد صدر عن بعض الأولياء في حالته التي له مع الله إشارات إجمالية إلى أسرار الصلاة.

فقال: صلاةُ العارفين طيران الأرواح في فضاء السرمديّة وصفاء الديمومية وحركاتهم رَوَغانُ الطلب في عالم الطرب: فاستقبالهم الكعبة استقبالهم في الحال ونُفيُ الجهات ونياتهم تمكُّن القلوب في مشاهدة الغيوب، واستفناحهم هو التقوى من كلّ شيء سوى الله، وقراءتهم ألحانُ الأرواح في قفص الأشباح، وركوعهم خفضُ أجنحة الهمة في بحار المنّة، وسجودهم زوائدُ الحبِّ في مدارج القُرب، ورفعُ أيديهم الخلوّ في مربع السموّ وتشهُّدَهم استخضارُ الخيرات وإدراك المشاهدات في المكاشفات، وتكبيرهم تهذيب الإدراك من الإمساك، وتسبيحهم ازدحام الذكر عن الفكر، وتسليمهم خروج الروح عن ضيق الرسومات في الانبساط.

كتاب أسرار الزكاة

كتاب أسرار الزكاة

إعلم أنّ الزكـاة ـ في اللغـة: النّمـاء والزيادة والقـرب والصـلاح والطهارة. سمّيت بها الصّدقة الواجبة الشرعية:

لأنّها الموجب لزيادة الثواب حيث يكون الواحد بعشرة فصاعداً أو لزيادة المال ونمائه.

ولكونها مما يُتقرَّبُ بها إلى الله: بالإطاعة والامتثال لأمره أو بالتخلّق باسمه المعطي والمغني والجواد إلى غير ذلك من الأسماء المناسبة.

ولتطهيره المال من حقوق الله ـ ذي الجلال ـ ومن حقوق الآدميين وتطهير القلوب من أوساخ حبّ المال والميل إلى جمعه.

ولكونها ممّا يصلح بإعطائها شأنُ الفقير أو أموال الأغنياء لأنّ الله كلّف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة وحقيق على الله أن يمنع رحمته مَنْ منع حق الله.

وإن فيه من أداء شكر نعم الله والطمع في الزيادة مع ما فيه من الرأفة والرحمة لأهل الضعف وتقوية الفقراء والمعونة لهم على أمر الدين.

وهو عظة لأهل الدنيا وعبرة لهم ليستدلّوا على فقر الآخرة والخوف من أن تصير الأغنياء أمثال الفقراء.

ولو أنّ الناس أدّوا زكاة أموالهم ما بقي مسلم فقيراً محتاجاً وأنّ الناس ما افتقروا ولا احتاجوا ولا جاعوا إلاّ بذنوب الأغنياء كذا ورد

في الأخبار[١٧٤]. وقد سبق وجه تأخير الزكاة عن الصلاة وتقديمها على سائر العبادات.

وأقول ها هنا أنّه قد ورد في الخبر في تفسير دين القيّمة: إنّ الحنفية هو الإسلام والإقرار برسالة سيد المرسلين صلى الله عليه وآله، وإقامة الصلاة هي الإقرار بولاية أمير المؤمنين عليه السلام لأنّه صلاة المؤمنين وبه يصلون إلى الله، وإيتاء الزكاة ولاية أهل البيت لأنّ الإنفاق الواجب هو الذي تحيى به القلوب وتنجو به الأرواح من العذاب وهو معرفة آل محمد الذي بمعرفتهم يحصّل الحياة الأبدية.

ثم اعلم أنّ الزكاة زكاتان: زكاة الأموال والأعيان، وزكاة الرؤوس والأبدان: أما الثاني فقسمان: زكاة الفطر، وزكاة الأعضاء والقوى؛ والأولى تكون في النقدين والأنعام الثلاث والغلاّت الأربع[١٧٥]، ففي الأوّلين رُبع العُشر[١٧٦] لكن نصابها يختلف، وفي الثاني أيضاً ربع العشر: أما في الغَنَم فظاهر، وأما في البقر فلأنّ نصابه الأول وإن كان ثلاثين لكن الكمال والاستقرار على الأربعين، وأما في الإبل فلأنه وإن كان النصاب الأول فيها خمسة لكن الظاهر أنها توازي الأربعين من الغنم ولهذا تكون فيها شاة: وفي الثوالث العُشر أو نصفه. ويظهر من ذلك كلّه أنّ بناء الزكاة إنّما هو على الكسر العُشري من بين الكسور النسبيّة وإنّ الأغلب فيها رُبع العُشر في ما سوى الغلاّت.

ونحن نذكر في أسرارها بعون الله تعالى مفاتيح:

أحدها، لسرّ اختصاص الكسر العشري من بين الكسور بالزكاة مطلقاً واستقرار ذلك الكسر نفسه في الغلات؛

والثاني سرّ اختصاص ربع العشر بما سوى الغلات؛

والثالث، بيان زكاة القوى والأعضاء وما يتعلّق بها ومن الله المعونة في البدو والخاتمة:

المفتاح الأول: في بيان السر الذي اختصّت به نسبة العشر من بين النّسب بالزكاة مطلقاً، وأنها جرتْ في الغلاّت. وذلك لأن توافق النسبة والأضعافية التي للحسنات لكون الحسنة تجازى[١٧٧] بعشر أمثالها فيكون هذا الكسر في نمائه عشرة أمثاله في المجازاة يعدل الواحد فكأنّه أعطى الكلّ لله وبرأ نفسه من نسبة الملك إليها فيثاب حينئذٍ بالسبعين والسبعمائة والله يضاعف لمن يشاء.

وأمّا سر جريانها في الغلاّت فهو أنّ الإنسان فيه جزء من النبات فقد ورد عن النبي صلى الله عليه وآله: «أكرِموا عمّتكم[١٧٨] النخلة» بل هو نبات سماوي كما قال عز من قائل: **﴿واللهُ أنبَتَكُمْ منَ الأرضِ نباتاً﴾** وفي الخبر: إنّما الكرْم الرجل المؤمن. وهذا الجزء واحد من عشرة لأنّ له من العقل حصّته وكذا من النفس والهيولي والصورة والجسم والأعراض والمعدن والنبات والحيوان والصورة الإنسانية، فله من النبات نصيب العُشر بالوضع الأهلي، وأما نصف العشر فهو تفضُّل من الله على الأغنياء حيث كثرت عليهم المؤنة فيما يسقى بالدَّلاء.

المفتاح الثاني: في بيان سر اختصاص رُبع العُشر بما سوى الغلات: أمّا أصل العشر فلما ذكرنا من الوجهين، وأمّا ربع العُشر فلما روى عن أبي عبد الله مولانا الصادق عليه السلام قال[١٧٩]: «إنّما جعل الله الزكاة في كلّ ألفٍ خمسة وعشرين درهماً لأنّه خلقَ الخَلْقَ، فعلم غنيّهم وفقيرهم وقويّهم وضعيفهم، فجعل من كلّ ألفٍ خمسة وعشرين مسكيناً: لولا ذلك، لزادهم الله لأنّه خالقُهم وهو أعلم بهم».

أقول: فعلى هذا يكون في كل أربعين إنساناً مسكين واحد على قياس رُبع العُشر، كما الأمر في الزكاة التي نحن بصددها كذلك. وأما سرّ هذا الخبر الشريف، فأنْ تعلم أوّلاً أنه كما الأعمال التي تصعد من

الخلق إلى الله، يزيد الواحد منها عشرة إلى السبعين والسبعمائة فصاعداً لقوله تعالى: **﴿مَنْ جاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عشرُ أمثالِها﴾**[١٨٠] وقوله سبحانه **«مثل الذين يُنْفِقُونَ أمواهم في سبيل الله كَمَثَلِ حبَّةٍ أنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مائَةُ حبَّةٍ والله يُضاعِفُ لِمَنْ يشاءُ﴾**[١٨١] كذلك الأنوارُ التي تنزل من السماء والحقائقُ التي تُقْبِل إلى النشأة الدنيا، ينتشر نورُها إلى حدٍّ يمكن أن يستضيء بنورها من الحقائق الأرضيّة المناسبة لها، وكما أنّ تلك الأعمال الخلقيّة كانت فاقرة ضعيفة النور في عالمها وكلَّما صعدت ازدادت نوراً وبهاءً إلى ما شاء الله، كذلك هذه الحقائق النورية النازلة، كلّما تفرقت من معدن ظهورها الذي هو أكمل أشخاص ذلك الزمان ضعفتْ نوريّتها إلى حد يغلب عليها جهة ظلمة هذه الدار. فكلما غلبَتْ النوريّة، قويت النّسبةُ إلى المبدأ الأعلى وضعفت الرغبة إلى الدار الدنيا؛ فلا يهمّ بجمع زخارفها فيغلبُ عليه الفقرُ والمسكنة، وكلما ضعفت النوريّةُ غلبت الجهةُ الدنيوية فيركن إليها وإلى تحصيل متاعها وجمع كلّ ما هو زينة الحياة الدنيا والجملة، فالواحدة من جهة الخلق، إذا صعدت إلى الله، ارتاشت وكلَّما قربت من عالم الأمر اشتدّتْ نوريّتُها، فصارت عشرة أو سبعين أو سبعمائة إلى غير ذلك من الأعداد التي نطق الشارع بتعيينها في كل واحد من العبادات. والواحدة من عالم الأمر، إذا تنزّلت إلى عالم الخلق انتشرت وتفرّقت نوريّتُها وضوءُها وصارت بحيث يستضيء ببعض تلك الأنوار كلّ العوالم الوجودية وببعض منها أمّةٌ من الأمم وببعضها جماعةُ قلّت أو كثُرَتْ إلى أن انتهى النور إلى مرتبة يستضيء به الأربعون، لا أقلَّ من ذلك، كما ستعرف إن شاء الله.

أما سرّ الأعمال فإنّها للمرور على كلّ سماء من السّبع وعلى العرش والكرسي إذا صارت مقبولة فيها غير مردودة إلى صاحبها، يستزيد

بها شرفاً وبهاءً ويكتسب ضياءً ونماءً كما هو المصرّح به في خبر صعود الأعمال وذلك: لأن السماوات خلقتْ من أنوار مختلفة في الإضاءة والنورية، فما لم تصرْ هذه الأعمال في النورية من جنسها، لم يمكن أن تصعد إليها كما لا يخفى، أو لأنه لما صارت مقبولة في كلّ سماء جُوزِيَت بما يناسب تلك المرتبة فيزيد نوراً على نور، أو لأنّه يصير بسبب قبول الملائكة الموكلة مكتوبة في كلّ سماء فيلتذُّ صاحبها برؤيتها مقبولة في نفسها وفي السماوات مع العرش والكرسي وهي عشر مراتب، فلذلك ورد عشرة أمثالها. ثم إنّ لجماعة لم يبلغ مرتبتهم وعلومهم إلى ما سوى هذه التسع؛ وأما السبعون والسبعمائة فما زاد، فهي لجماعة يقتدرون على خرق الحجب السبعين والسبعمائة وغيرهما؛ فتبصّر.

وأمّا سرّ الأنوار فهو وإن كان قد قرع سمعك فيما أفدناك من خلق الأصفياء من تنفُّس الأنبياء والأولياء، لكنّي أظنّك تحتاج ها هنا إلى تثقيف عصاك بضرب آخر من الكلام في الخبايا التي في الزوايا:

اعلم أنّ من المستبين في القواعد العقلية والشواهد النقلية أنّ السماوات والأرض وما بينهما وما تحتهما والعرش والكرسي وما فيهما وما فوقهما إنما تقوم بوجود خليفه الله كما يدل عليه خبر المعراج(١٨٢): من أن في كل سماء وفي ما فوقها صورة علي عليه السلام، والملائكة يزورونها ويتبركون بها ويستفيدون منها؛ ومن أنّ الإمام لو لم يكن في الأرض ساعةً لسختْ بأهلها ومارت موراً(١٨٣)، إلى غير ذلك من الأخبار. ثم إنّ خلفاء الله وأولياءه، يتفاوتون بحسب مراتبهم وتفاوت درجاتهم إلى ما لا أكمل منه لانتهاء الحدود الخلقّية بالضرورة وهو الذي يقوم به وجود جميع الأنبياء والأولياء، وكذلك النشآت الوجودية من الأولى إلى الأخرى وهو الكامل الذي لا أكمل ولا أقرب منه إلى الله

جلّ وعلا وهو نبيُّنا سيد الكونين: وأمّا العالمين بحكم النص والكشف بل العقل الصريح الصرف فكما استنارت بنوره الذي هو نور الأنوار جميعُ عوالم الوجود ولبسوا من ضوئه الذي هو نورٌ على نور حِليةَ الظهور والشهود، فكذا استنارت بنور كلٍّ من اكتسب من نوره وصح نسبة القرب إليه وإلى خلفائه من الأنبياء والأولياء والأصفياء والمؤمنين والأتقياء طائفةٌ من شيعتهم وأمّتهم فبعضهم بالنسبة إلى أمة وبعضهم بالنظر إلى طائفة مخصوصةٍ وبعضهم بالقياس إلى أهل محلّته وبعضهم بالاعتبار إلى أهل بيته على اختلاف مراتب نوريّتهم وتفاوت درجات أشعتهم وتلك سنّة الله التي جرتْ لعباده وعلى ذلك بعثوا حيث بعثوا من الله برسالاته. وأقلُّ تلك الإضاءة وما لا يمكن أن يكون بعده مرتبة، هو أن يستنير بذلك النّور أربعون بيتاً من بيوت الأبدان العنصرية مع كون عنصر ذلك الوليّ من جملة الأربعين.

وسرّ ذلك السرّ، إنّ الجهات الخلقيّة أربع، كما ورد وسيجيء في هذا الكتاب إن شاء الله إنّ الاسم الذي هو المخلوق الأول له أربعة حدود سيما عالم الأجسام الذي هو عالم الجهات والكميات، فالجهات المستنيرة للمؤمن المسكين الأقلّي النور من كل جهة، عشرة أبدان مع ذلك المؤمن الذي بمنزلة المركز فيصير أربعين. وأمّا خصوصية العشرة من كل جهة سوى اليسار فإنه تسعة ومع ذلك المؤمن عشرة، فهو أنّ النور الذي من عالم الأمر واللطيفة الغيبية التي هي الروح لمّا صدرت من القلم الأعلى، وقعتْ على اللوح ثم تنزّلتْ إلى العرش والكرسي فمرت على السماوات السبع فاكتسبت في كل واحد من المنازل العشرة التي من اللوح إلى فلك القمر، قوةً بها يقوى على إضاءة ما حولها: فلذلك أفادتْ من كل جهة من جهات الأربع عشرة سوى جهة الشمال فإنها جهة ضعيفة غلبتْ عليها الخَلقيّة. وهذه الجهات وإن كانت

مستنيرةً بذلك النور إلاّ أنّ الغالب عليها الظّلمةُ بحسب كدورة ذواتها، فلذلك يكون رُكونُها إلى الزخارف الدنيوية واكتساب منافع تلك الدّار الفانية أكثرَ. والسعيُ في عمارتها واكتساب نقودها وحبوبها وأنعامها أغلبَ. والمؤمن الذي هو صاحب النور، إنما الغالب عليه جهة الفقر والفاقة إلى الله والإقبال إلى المبدأ الأعلى والتجافي عن دار الغرور والانقطاع إلى دار السرور ورفض الشهوات الدنيوية من حب النساء والبنين والقناطير المقنطرة(١٨٤)، فلذلك صار - في العناية الإلهية والحكمة الربانية - وجودٌ واحد فقير في الأربعين، سنّةً جارية **﴿ولنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللهَ تَبْديلاً﴾**(١٨٥) فالمؤمن بالنسبة إلى غيره كالقلب بالقياس إلى الأعضاء والقوى، يصل فيضه إليها ويحيى بحياته وهي تُوصل إليه ما اكتسبتْ من خالص الغذاء. وعسى أن يكون النصيب القلبي أيضاً على هذه النّسبة من الأعضاء أي نسبة رُبع العُشر، إذا تصفحنا تشريح الأعضاء وتتبّعنا قسطَ كلٍّ واحد منها؛ والله أعلم.

تذييل: ولنتكلّم على طرز آخر من الكلام لبيان سرّ هذا المرام فنقول:

لا شكّ أنّه إذا شرع نور متأصّل في النوريّة من أنوار عالم الأمر في الهبوط من العالم الأعلى إلى العالم الأسفل الأدنى، لمصلحةٍ يراها خالقُ الأنوار أو ذنبٍ صدر من هذا النور في مجلس الأبرار، فسقط بذلك جناحه الذي طار بها في عالم الأنوار، فهبط حتى ارتاش، فطار إلى مقام الأسرار أو غير ذلك من العلل المذكورة في محلّها المرموزة عند أهلها؛ فمن المستبين أنّ هذا الهبوط والظهور حركةٌ نزوليّة من ذلك النّور تدريجية لظهوره في مشهد الظهور. وذلك لضيق العالم السفلي من ظهور النور فيه دفعةً، وعدم سعة أعيُن أهله من أن تُطيق

لشـروق ضـوء هذه الشـمس فـجـأة، ولأن النـزول إنّمـا يلزمـه التـدريج خصوصاً إذا كان من عـالم رفيـع المكان إلى عـالم آخر حضيض البُنيان، فـمن الضّـرورة أن تكون المادة المتعـينة لشـروق ذلك النّور القـابلة لهـذا الظهور، متحـركةً حركة صعودية بإزاء الحركة النزولية وعلى محاذاتها بالحقيقـة، حتى تستعد لموافـاة ذلك النور في منتهى مسافتيهمـا بحيث يكون عُليـا درجـات تلك المادة يوافي قُـصـيـا طبـقـات نزول ذلك النور فيحصل قاب قوسين أو دائرة من خطّين.

وأيضـاً، لأنّ تلك الحـركـة من هذا النـور إنما هـي بروزه من مكـامن هذه المادة وظهـوره مـن بواطن تلك الحـامـلة القـابلة فكلّمـا يقطـع هذا النور منزلاً من منازل المادة، تحـرّكت هـي اللاستعـداد لظهور نور أتمّ من الأول والقبـول لفعل أكمل؛ فيجب من ذلك أن تـكون الحـركـة الصـعـودية للمادة على موازاة الحـركة النزولية لهذه اللطيفة الإلهية. ثم إنه ممّا قد كـان من المعلوم عند ذوي البـصـائر الصـافـيـة، أنّ للـمخلوق أربـع جـهـات محيطة ـ سواء كـان من الأمور العـالية أو السافلة ـ وأنّ الأمـر النـازل من القلم الأعلى، إنّمـا ينـزلُ أوّلاً في اللوح الـذي هو الكتـاب المبين، ثم إلى العـرش المجيد والكرسـي الـكريم، ثم إلى السـماوات السـبع كمـا قـال عـز من قـائل: ﴿يَتَنَزَّلُ الأمرُ بينَهُنَّ﴾(١٨٦) إلى أن انتهى إلى عـالمنا هـذا، الذي هو منتهى الحـركة من وجه، فـإذا أُنْزِل منزل اللوح، استـتـار ذلـك «الأمر» بأربع جـهـاته التـي له، فـيظهـر في تلك المـادة أربع أنوار، يحيـى بكل نورٍ شخص من أنواع ذلك النور المتأصّل بالتبعية، لا أقلَّ من ذلك، وإلاّ فمن الأنوار مَنْ يستضيء به جماعة أو أمّة أو عـالمٌ من العوالم الوجودية لأنّ الأرواح مما يلزمه إحياء المواد في كل موطن وقعت وسريان الحياة أينما ظهرت كما سـمعت في خبـر السـامري من أنّ خوار العجل من فيض ما قُبِضَت من أثر الرسـول حيث مـشى جبـرئيل عليـه السـلام على ذلك

التراب وأنّ من أثر الروح سريان الحياة كما في الخبر. وكذلك لذلك النور في كل نزول في مادة من المواد العرشية والكرسوية والسماوية، أربعُ ظهورات في مادّتها موجبة لإضاءة أربع جهات من جهاتها، تحصل من كل منها حياة لما حولها من الأشخاص وما يناسبها من أفراد الناس إلى أن ينتهي إلى الأربعين الذي هو المظهر الأصلي لذلك النور. فأقلُّ ما يكون للأنوار النازلة إلى هذا العالم، تسعةٌ وثلاثون شعاعاً على معنى أنه إذا قدّر الله ظهور نورٍ من الأنوار وقضى أن يُظهر آثاره في هذه الدار، فأدنى مراتب النور في الإضاءة لما حوله وأقلها في الإفادة هو الذي يستضيء بنوره ويستفيد من ضوئه هذا العدد من أشخاص نوعه. فهذا العدد من توابع ذلك النور وفروعه ومما يحيى بحياته ويوجد بنور وجوده. وقِسْ على ذلك الذي قلنا حكمَ النّور الذي هذا النور من أضوائه وأتباعه، ثم تدرَّجْ إلى أن تنتهي إلى نور الأنوار والسيّد المختار الذي خُلِقَتْ العوالم الوجودية بتبعيته، صلى الله عليه وآله(١٨٧).

وبالجملة لذلك وجب على السنّة الإلهية والحكمة الربانية أن تكون هذه الأجناس الزكوية إنما يخرج منها ربع العُشر الذي هو أقل نسب الأشعّة إلى النور الأصلي وأدنى مراتب تبعية الأشخاص الإنسانية للكامل منها. ومما يدل على أنّ الأربعين عددٌ ينزل فيه الروح من أعلى علّيين إلى قرار مكين، أنّ تخمير طينة آدم عليه السلام كان في أربعين صباحاً وفي اليوم الأربعين نُفِخَ فيه الروحُ واستضاءَ جسده المبارك بنور هذا الفتوح وكذا النطفة تصير بعد الأربعين علقة(١٨٨)، وهكذا في مراتبها المتواردة عليها ومنازلها التي يتفق في حركتها، وأنّ بعثة نبينا الذي هو سيّد الخلق وأكمل أهل الغرب والشرق كان في الأربعين(١٨٩) والبعثة لكلّ نبي إنّما يكون بعد العروج إلى أقصى معارج كماله المتصوَّر

في حقه ولنبينا إلى الصعود إلى قصيا الدرجات الممكنة في الواقع، وإنّ إخلاص العبادة لله تعالى في أربعين صباحاً موجب لظهور الأنوار الإلهية والحكمة الربانية(١٩٠)؛ والله أعلم وأحكم.

تذنيب: ويخطر بالبال سرّ آخر لبيان أنّه جَرْي في العناية الإلهية، أن يكون في الأربعين من الأشخاص الإنسانية واحدٌ فقيرٌ ولعلَّ هذا البيان قريب من عكس البيانات السابقة فنقول:

إعلم أنّ من الواضح أنّ الخلق إنما يكون مظاهر للأسماء الجلالية والجمالية ومجالي للأنوار الإلهية وأنّ هذه الأسماء من حيث أنها أسماء الله ومن حيث أنها حقائق من عالم الأنوار يلزمها النورية والغناء والتملك والتصرّف في الأشياء، فيجب أن يكون آثارها المترتبة عليها ممّا يغلب فيها هذه الصفات، إذ المعلول إنما هو أثر ما في العلة. ثم من المستبين أنه جرى في الحكمة الربانية أن يكون وجود الخلق في عالم العناصر بعد الأربعين سواء تعدّد الأربعون أم لا كما يظهر من تخمير طينة آدم عليه السلام ومن تنقلات نُطَفِ بنيه في الأربعين إلى أن تظهر الولادة بعد سبعة أربعينيات في الأغلب إلى غير ذلك ممّا قد ذكرنا سابقاً، وما لم نذكر أكثر. ولما كانت الطبيعة الواحدة لا تتخلّف مقتضاها في أية مادة وجدت وأية مرتبة تحقّقت وأية نشأة نشأتْ، فينبغي أن يكون ظهور هذه الطبيعة في الأربعين سواء كان من حيث الوجود أو من حيث ظهور الأحكام. ثم إنّ للمخلوق آثاراً بعضها هي آثار عللها التي هي الأسماء النورية وبعضها من جهة أنفسها القابلة فامتزجت الآثار واختلطت الظلاَّم بالأنوار. فكما أنّ للأسماء الإلهية ظهورات مختلفة بحسب غلبة بعض الأسماء على بعض وظهور آثار الغالب هنا واختفاء أحكام المغلوب منها بحسب الأزمان والأماكن

والأوضاع وغير ذلك مما ليس ها هنا محلّ ذكرها، فكذا آثار الأسماء الفاعلة وأحكام الموادّ القابلة، مما قد يختلف بالغالبية والمغلوبية. ولمّا كان من المقرر أنّ وجود الخلق إنّما يكون في الأربعين، فيجب من ذلك أن يكون ظهور جهة الخلقية وغلبة أحكام المادّة القابلة من الفقر والفاقة والضعف والاستكانة في واحد من الأربعين وذلك بحسب النشأة الدنيوية والباقون يغلب عليهم عالمُ الأسماء من الغنى والثروة بحسب ظاهر هذه النشأة. وهذا الحكمُ جارٍ في الباطن على مطابقة الظاهر حيث لا يتخلّف وجودُ ولي الله الذي هو أفقر الخلق إلى الله تعالى في جملة الأربعين سواء كان غنياً بحسب الظاهر أم لا فقد ورد كثيراً من الأخبار: أنّ الدعاء لا يردّ من أربعين مؤمناً لضرورة وجود ولي الله فيهم يقيناً وذلك لأنّ الظاهر عنوان الباطن، وأمّا سرّ الأربعين فقد مضى وكذلك مضت سنة الأوّلين.

المفتاح الثالث في زكاة الأعضاء والقوى وبيان أسرارها:

ولنقتدي في ذلك بمولانا الصادق جعفر بن محمد صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه - حسب ما ذكر في كتاب مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة[١٩١] ولنشرحه على ما استفدناه من فوائده الوافية - قال عليه السلام في هذا الكتاب.: «على كلّ جزء من أجزائك زكاة واجبة له، بل على كل مَنْبتِ شَعْر بل على كلّ لحظة من لحظاتك: فزكاةُ العين النظرُ بالعبرة والغضُّ عن الشهوات وما يضاهيها؛ وزكاةُ الأُذُن استماعُ العلم والحكمة والقرآن وفوائد الدين من الموعظة والنصيحة وما فيه نجاتك بالإعراض عمّا هو ضده من الكذب والغيبة وأشباهها؛ وزكاة اللسان النصحُ للمسلمين والتيقيظ للغافلين وكثرةُ التسبيح والذكر وغيره؛ وزكاةُ اليد البذلُ والسخاءُ بما أنعم اللّه به عليك وتحريكُها بكَتْبَه العلوم

ومنافع ينتفع بها المسلمون في طاعة الله والقبضُ عن الشرور؛ وزكاةُ الرجل السعيُ في حقوق الله من زيارة الصالحين ومجالس الذكر وإصلاح الناس وصلة الرحم والجهاد وما فيه صلاحُ قلبك وسلامة دينك؛ هذا ما يحتمل القلوب فهمه والنفوس استعماله. وما لا يشرف عليه إلا عبادهُ الخلصون أكثر من أن يحصى وهم أربابه وهو شعارهم دون غيرهم صدق وليُّ الله وابن رسوله.

أقول: قد بيّنا لك، بل ومن المستبين عندك: أن في الإنسان سنخاً من المعدنيات وهو جسمه لما ورد: من أن المؤمن أعزُّ من الكبريت الأحمر بل هو الكبريت الأحمر، وكذا فيه سنخاً من النبات كما قال النبي صلى الله عليه وآله: «أكرموا عمّتكم النخلة فإنّها من بقية طينة آدم»، وسنخاً من الحيوان كما ورد في وصف المؤمن: أنه الجَمَل الأنف إنْ قيد انقاد. فقوله عليه السلام: «على كل جزء من أجزائك» إشارة إلى جزئه المعدنيّ وقوله: «بل على كلّ منبت شعر»، إيماءٌ إلى جزئه النباتي وقوله: «بل على كلّ لحظة من لحظاتك» إشعارٌ إلى جزئه الحيواني وأمّا قوله: «واجبة لله» فالمراد بالوجوب:

إمّا العقلي المحضّ فإنّ العقل يحكم بأنّ شكر المنعم واجبٌ وأنّ شكر كل نعمة، إنما يكون بما يناسبها مثلاً شكرُ العلم هو بذلُه للمتعلمين المستحقين، وشكر الجاه هو إغاثة المظلومين ومُداركة الملهوفين، وشكر المال إنّما هو البذل إلى الفقراء والمساكين. ولأنّ المولى إذا أعطى عبداً من عبيده بل شخصاً من أمثاله شيئاً من ماله ليصرفه في مصارف معينة فإنّ العقل يستقبح صرف ذلك في غير المأمور به، ولا شك أنّ كلّ ما هو في الإنسان فإنّما هو ملك الله عظيم الشأن وهو سبحانه أعطى كلّ عضوٍ لعمل خاص من أمور المعاش والمعاد، فصرّفُهُ في غير ذلك، ممّا لا يجوز لأرباب الرَّشاد؛

وإمّا أن يكون المراد الوجوب الشرعي فحينئذٍ يكون مختصاً بعباده المخلصين لا جميع المكلفين، كما يشعر بذلك قوله عليه السلام في آخر الخبر: «وهو شعارهم دون غيرهم» وذلك لأنّ لطوائف العباد أحكاماً مختلفة حسب ما تقتضيه الأزمنة والأمزجة بل لكلّ موجودٍ تكليفاً يناسب مرتبته ويوافق درجاته، أما سمعت أنّ «حسنات الأبرار سيئات المقرّبين» وقد كان وجب لرسول الله صلى الله عليه وآله ما لا يجب على غيره من السابقين واللاحقين.

ثم إنّه عليه السلام لما ذكر أولاً أنّ لكلّ جزء زكاةً، بيّن ثانياً أحكام القوى والأعضاء الظاهرة ليكون أنموذجاً للقوى والأعضاء الباطنة فيقيس منها لها مَنْ هو من أهل البصيرة.

فقال: فزكاة العين كذا، وذلك لأنّ الله تعالى جعل للعين اقتداراً على القبض والبسط وهما نعمتان عظيمتان بل هما «عَيْنان نضاخَتانِ»[١٩٢] «فَبِأَيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكَذِّبان»[١٩٣] فذكر للبسط زكاة وهي النظر بالعبرة أي لأن ينظر في السماوات والأرض والآفاق والأنفس ويسلك بذلك ملكوت السماوات والأرض فتتدرج إلى أن يصير متحقّقاً بأن لا يرى سوى الله تعالى كما ورد: «ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله»، وذكر للقبض زكاةً وهي الغضُّ عن الشهوات بأن لا يطمح إليها ولا يطمع فيها فيترقى إلى أن يغمض النظر عن نفسه وعمّا سوى الله بأن لا يرى الغيرَ والسِّوى؛ والله يؤيد بنصره من يشاء.

قوله عليه السلام: «وزكاة الأذن الاستماع» إلى آخره، لما كانت الأذن يجري فيها البسط والقبض المذكوران بل هما «جَنّتان فبِأيّ آلاء ربِّكُما تُكَذِّبان» ذكر عليه السلام لكلّ من القبض والبسط حقوقاً: فبسط الأذن، أن يستمع إلى العلم أي علم الدين من الأحكام والأوامر والنواهي، والحكمة أي العلم بحقائق الأشياء المترتبة ترتيب السببيّ

والمسببي إلى مسبّب الأسباب، وفوائد الدين من الموعظة والنصحية من الأمور التي يتنفّل بها ويتأدَّبُ بها ويُستحبٌّ فعلها فيترقى بقرب الفرائض والنوافل إلى أن يصير محبوباً لله فيكون هو سبحانه سَمْعَ ذلك العبد فلا يسمع إلاّ من الله ويصل إلى مرتبة يقول: «الخَلْق خاضع لك حتى لا يُرى نورٌ إلاّ نورك ولا يُسمَعُ صوتٌ إلاّ صوتك» وأمّا قبض الأذن، فمن استماع الكذب والغيبة وأشباهما إلى أن يصل إلى حدّ لا يسمع صوت أحد سوى الله لأنّ كلّ ما سواه مدّع لما ليس له فيكون كاذباً وهو لا يسمع الكذب فيسمع من الله وحده لا شريك له.

ـ قوله عليه السلام: «وزكاة اللسان النصح للمسلمين» ـ إلى آخره، كما كان للعين والأذن جهتان كذلك الأمر في اللسان ومن دونهما «جنّتان فبأيِّ آلاءِ ربِّكُما تُكَذِّبان» فبسط اللسان هو النصح للمسلمين بأن يرشدهم إلى مصالح دينهم ودنياهم، والتيقيظ للغافلين» بأن يوقظهم من رقدة غفلتهم ويذكّرهم مراشد أمورهم في أولاهم وأخراهم هذا ما يتعدَّى فائدته. وأمّا ما يخصّ بنفسه فكثرة التسبيح والذكر على موافقة اللسان للقلب إلى أن يتأصل الذكر في القلب، بل يتأحّد مع الذكر اللسان، فيترقى إلى أن يتحد الذاكر والذكر والمذكور. وأمّا قبضه فبأن يمنع اللسان من الفحش والخناء وذكر غيره بالسوء، فيتدرج إلى أن لا يتنطّق بالأمور المباحة ثم إلى أن يصمت عن غير الضرورة ثم إلى أن يصمت عن ذكر غير الله مطلقاً.

قوله عليه السلام: «وزكاة اليد البذل والسخاء» ـ إلى آخره، في اليد أيضاً جهتان ولذلك صارت اثنتان: إحديهما، للبسط، والأخرى، للقبض ـ واليد العليا خيرمن اليد السفلى ـ أمّا الباسط فهو اليد اليمنى وحقها أن يبسط بالبذل والسخاء بالصدقات الواجبة والمستحبة وتحريكها بكتبه العلوم والأعمال المتعلقة باليد لمنافع الناس في طاعة الله، وأما

القبض فمظهره اليد اليسرى وإن كان الحكم يشملها وهو القبض عن الشرور المتعدية إلى الغير وغير المتعدية، فيترقى بهذا البسط والقبض إلى أن يليق به أن يقول: أنا يد الله المبسوطة على عباده وبالرحمة والنعمة.

قوله عليه السلام: «وزكاة الرجل السعي في حقوق الله» - إلى آخره، البسط في الرّجل أن يسعى في حقوق الله من زيارة الصالحين لفائدتين: إحداهما، لنفسه من إحراز الثواب واكتساب معالم الدين والرغبة في أن يصير منهم بل في أن يفوقهم والثانية، إدخال السرور في قلب المزور بل خير الزيارة فقدانه ليكون الله وحده هو المنظور.

ومن جملة حقوق الله السعي إلى مجالس الذكر وهي: إمّا مواضع العبادة أو مدارس أهل العلم والحكمة أو ما يذكر الله فيها بالتهليل والتسبيح كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «روحوا إلى رياض الجنة، فقيل: وما رياض الجنة؟ قال حلق الذكر»[١٩٤] إلى غير ذلك من الأخبار التي دلت على أن مجالس الذكر غير مواقع الصلاة والعلم.

ومن حقوق الله تعالى، السعي إلى إصلاح الناس وقضاء حوائجهم وكذا صلة الرحم والسعي إلى الجهاد سواء كان الأكبر منه أو الأصغر.

وأما القبض في الرِّجل، فعن ما فيه صلاح قلبك وسلامة دينك من عدم السعي إلى محافل الفسق ومواضع التهمة، وعن كلّ ما كره الله السعي إليه ثم إنّ العبد يترقى بهذا القبض والبسط والعمل بالعدل والوسط إلى أن لا يضع قدمه على شيء إلاّ ينزل عليه البركة بل وتسري الحياة ببركته في التربة المسلوكية.

قوله عليه السلام: «هذا ما يحتمل القلوب فهمه» - إلى آخره، إشارةٌ إلى ما ذكره من زكوات القوى الظاهرة.

قوله: «وما لا يشرف» - إلى آخره، إشارةٌ إلى زكاة القوى الباطنة من

الخيال والفكر والقلب والعقل والسرّ وبالجملة بأن يكون همّه واحداً وفكره في واحد وينظر عقله في واحد ويرى واحداً ولا يرى غيره «ألا كل شيء ما سوى الله باطل» وقال آخر:

إنّما الكون نقوش أو خيال   أو عكوس في مرايا أو ظلال

هذا ما خطر بالبال في هذا المقام والله المفضل المنعام، وهو آخر كتاب أسرار الزكاة ويتلوه إن شاء الله كتاب أسرار الصيام، ونسأل الله الإعانة على ذلك كما أعاننا في أخويه، إنّه وليّ الرشاد والهادي إلى السداد والحمد لله أولاً وآخراً.

كتاب أسرار الصيام

كتاب أسرار الصيام

ولنكتف في ذلك الأخبار التي وصلت إلينا عن أهل بيت الحكمة والتأويل ومعادن الوحي والتنزيل فإنّها الكافية بها شهيداً والوافية بكشف الأسرار خبيراً.

فعن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: أصل الإسلام الصلاة وفرعه الزكاة وذروته الصيام وسنامه الجهاد. وعنه صلى الله عليه وآله: «زكاة الأبدان الصيام»(١٩٥) وقال صلى الله عليه وآله «والصوم يسوِّد وجه الشيطان»(١٩٦). وجاء(١٩٧) نفر من اليهود إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فسأله أعلمهم: لأيّ شيء فرض الله الصوم على أمتك بالنهار ثلاثين يوماً؟ فقال صلى الله عليه وآله أنّ آدم لما أكل من الشجرة بقي في طينته ثلاثين يوماً ففرض الله على ذرّيته ثلاثين يوماً الجوع والعطش، والذي يأكلونه بالليل تفضّل من الله، وكذلك كان على آدم ففرض الله على أمتي، ثمّ تلا صلّى الله عليه وآله: «كُتِبَ عليكُمُ الصِّيامُ كما كُتِبَ على الذين مِنْ قبلِكُمْ»(١٩٨). وفي ما كتب مولانا الرضا عليه السلام إلى محمد بن سنان: علّة الصوم العرفان مس الجوع والعطش ليكون ذليلاً مسكيناً، ويكون دليلاً له على شدائد الآخرة مع ما فيه من الإنكسار عن الشهوات، وليعلم شدة مبلغ(١٩٩) ذلك من أهل الفقر والمسكنة(٢٠٠) وفي مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة(٢٠١) قال الصادق عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الصوم

جُنّةٌ، أي ستر من آفات الدنيا وحجاب من عذاب الآخرة فإذا صمت فَانْوِ بصومك كف النفس عن الشهوات، وقطع الهمّة عن خطرات الشيطان، وانزل نفسك منزلة المرضى لا تشتهي طعاماً ولا شراباً متوقعاً في كلّ لحظة شفاءك من مرض الذنوب، وطهّر باطنك من كلّ كدر وغفلة وظلمة تقطعك عن معنى الإخلاص لوجه الله. قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال الله عز وجل: «الصوم لي وأنا أجزي به»(٢٠٢) فالصوم يميت مواد النفس وشهوة الطبع وفيه صفاوة القلب، وطهارة الجوارح وعمارة الظاهر والباطن، والشكر على النعم والإحسان إلى الفقراء، وزيادة التضرع والخشوع والبكاء، وحبل الالتجاء إلى الله وسبب انكسار الهمّة وتخفيف الحساب وتضعيف الحسنات؛ وفيه من الفوائد ما لا يحصى وكفى بما ذكرنا منه لمن عقل ووفق(٢٠٣).

بيان ما يمكن أن يستنير من هذه الأنوار وما ينبغي أن يكون من الأسرار حسب ما وصل إليه فهمي القاصر وفكري الفاتر والله المستعان وعليه التكلان، فأقول:

الاستعارة في حديث الذروة والسّنام إما من الحيوان خصوصاً الإبل فيكون الذروة والسنام تخييلاً ويكون المراد بالأصل البدن، وبالفرع الشعر التام، ووجه الشبه ما قد يمكن أن تكون تعرّفت في تضاعيف السوالف من الحقائق واللطائف أنّ الأمور العالية لمّا كانت من عالم الحياة والبهجة، فلها من الصّور التي ينبغي أن تكون عليها في عالمها صورةٌ من الصور الحيوانية طبق ما تقتضيه المشابهة؛ وإما أن يكون الاستعارة من الأشجار فيكون ذكر الأصل والفرع تخييلاً والمراد بـ «الذروة» (بالكسر والضمّ) وكذا بـ «السّنام» عوالي الشجر وأعاليه، ووجه الشبه أنّ العبد يصعد بهذه العبادات إلى أعلى علّيين وتنمو أعماله إلى أن تجعله من المقرّبين وعلى التقديرين فكون الصلاة أصلاً

وعماداً لأنها كما عرفت إشارة إلى التوحيد الذي هو أصل الأصول والمعرفة التي هي مدار الفَرْق والوصول: وأما فرعية الزكاة فلكونها أداء حق الله. فهي فرع الصلاة التي هي معرفة الله، وقدمت على الصيام لما قلنا في السوابق ومضى ها هنا أنّ الصيام زكاة الأبدان فهو إخراج حق من حقوق الله فبقي أن يكون على الذروة وهي ما يتصل بالفرع من جهة العلو وهكذا الحكم في الجهاد وقد عرفته في أسرار الصلاة.

ثمّ أن خبر «تسويد الصوم للشيطان» لعلّ الوجه فيه أنّ عمدة مداخل الشيطان في الإنسان الفرج واللسان وهذان الطريقان في الصوم مسدودان فسواد الوجه كناية عن الخيبة والخسران. وأيضاً أنّ طينة الشيطان إنّما يناسب المرتبة الحيوانية من الإنسان ولذلك يجري من ابن آدم مجرى الدم(٢٠٤) الذي هو السلطان في الحيوان، ولا ريب أنّ الإنسان بالصوم الذي يمنع القوة الشهوية من مقتضاها وممّا يقويها يُضعف تلك القوة ويُوهنها لا محالة، والضعف في الأمور الجسمانية النباتية منها و الحيوانية يستلزم سواد البشرة كما لا يخفى.

وأمّا خبر «سؤال اليهود» فإنّه سؤالان: أحدهما، عن كون الصيام في ثلاثين يوماً والثاني، إنّ ذلك وجب في النهار دون الليل ونحن نضيف إلى ذلك سؤالاً آخر يتمّ به المقصود وهو وقوع ذلك في شهر رمضان فها هنا فواتح:

الفاتحة الأولى: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله في المقام الأول أنّ آدم لمّا أكل من الشجرة بقي في بطنه ثلاثين يوماً ففرض الله على ذريته الجوع والعطش ثلاثين يوماً، وكذلك كان على آدم عليه السلام: فاعلم، أنّه صلى الله عليه وآله أجمل فاعل «البقاء» فإمّا أن

يكون المسند إليه ضميراً راجعاً إلى المأكول الذي هو الثمرة حيث يفهم من فحوى الكلام بمعنى أنه يبقى ذلك المأكول، أو راجعاً إليه باعتبار تقدير الأثر أي يبقى أثر المأكول.

أمّا على الأول، فلأنّ الغذاء إذا ورد البدن فبالضرورة تفعل القوى الفعّالة التي في المادة الغذائية فعلاً ويكسيها صورة فصورة لكن تلك المادّة المتصرفة فيها تبقى ثلاثين أو أربعين يوماً وعند انقضاء تلك المدة لا يبقى من هذه المادة شيء وهذا احتمال لا تنفيها الأصول الطبيعية.

وأمّا على الثاني، فإنّ ذلك الغذاء يبقى أثرها أي الآثار المترتبة عليه من المنافع والمضار من صيرورته بَدَلاً لما يتحلّل وقواماً للبدن في تلك المدة.

وأمّا سرّ الأربعين، فقد وقفت سابقاً على القدر الذي تطمئن به.

وأمّا الثلاثون، فلعلّ بقاء الأثر أو الشيء نفسه في الأمزجة القوية حسب ما تقتضيها طباع مبادىء أشخاص هذا النوع كان في ثلاثين يوماً.

وأمّا سريان الحكم في الأبناء، فلأنّ الذريّة كانت في صلبها فتشارك أبيها في الاغتذاء فيجب عليها التخلّص منها في المدة التي اغتذت بها.

وأمّا سرّ كون الذريّة في الصلب، فقد عرفت أنها باعتبار المادّة القابلة للصورة الإنسانية وأنّها هي التي لَبِسَتْ أولاً صورة الأب ثم تفرقت في الأبناء وأنها ليس لها بذاتها مقدار خاص ولا يستبعد اشتمالها على تلك الكثرة المقدارية التي في الأبناء نظير ذلك تكون بيدر أو بيادر من مادّة حبة واحدة هذا في البدن وأمّا إذا كان باعتبار الروح فالأمر أوضح عند أهله.

الفاتحة الثانية: ذكر صلى الله عليه وآله في جواب السؤال الثاني أنّ «الذي يأكلونه باللّيل تفضّل من الله» والمعنى أنّ الوضع الطبيعيّ يقتضي الإمساك في هذه المدّة ليلاً ونهاراً لكن الله تعالى لمّا علم أنّ ذلك غير مقدور لأمزجة أبناء النوع تفضّل عليهم بإعطاء الرّخصة في الأكل باللّيل لأنّه سبحانه لا يكلّف نفساً إلاّ وسعها.

فإنْ قيل: إذا كان الأمر على التفضيل والتسهيل فينبغي أن يكون ذلك في اللّيل لأنه أسهل والشريعة المقدسة سهلة سمحاء.

فنقول: قد سبق أن آدم عليه السلام فعل ذلك في اليوم وقبلت توبته وقت المغرب وخلص من الذنب في ذلك الوقت فجرت هذه السنة في كلّ يوم من أيام الصيام بأن يتخلّصوا في هذا الوقت ويترخّصوا لأكل الطعام.

الفاتحة الثالثة: في بيان وجوب ذلك في شهر رمضان المبارك وهو أن الله تعالى يقول: **﴿شَهْرُ رَمَضانَ الَّذي أُنْزِلَ فيه القرآنُ هُدىً للنّاسِ وبيِّنات من الهُدى والفُرقانِ﴾**(٢٠٥) وفي الخبر، غُرّة الشهور شهر رمضان وقلب شهر رمضان ليلة القدر نزل القرآن في أول ليلة منه وتكامل في ليلة القدر(٢٠٦):

فاعلم، أن الموجودات التي عندنا، هي تفاصيل موجودات عالم الأمر وقد سبق مراراً أنّ القرآن هو جملة الحقائق العلمية وأنّ قوام هذا العالم الذي نحن فيه إنّما هو بتنزّل الأمر من سماء عالم القدس والمقام المكين إلى أرض التكوين والتلوين، فيجب من ذلك أن يكون ابتداء عمارة هذا العالم في ليلة القدر التي جرت السنّة الإلهية بنزول الأمر فيها، ولأجل بركة تلك الليلة المباركة اكتسبت منها البركة ليال تتقدّمها وليال تتأخر عنها بحيث يكون المجموع ثلاثين يوماً وهو

المسمّى بشهر رمضان. وأمّا أكثرية عدد ما قبلها من اللّيالي بالنظر إلى ما بعدها حتى أنّ الأولى يقرب من عشرين بخلاف الأخيرة، فلأنّ النور إذا شرع في الظهور يتنوّر بضوئه ما يقبل لشروق ذلك النور وطلوعه حتى يطلع بكله فإذا طلع بتمامه فاجأه الانغمار في المواد الكونية الظلمانية فيختفي نوره سريعاً بخلاف شروقه، فإنّه من عند نفسه وبأمرٍ من ربّه. وقد نقل أنّ صحف ابراهيم عليه السلام نزلت في أول ليلة من شهر رمضان وهو مبدأ طلوع النور الفرقاني وصبيحة اليوم الجمعي المحمّدي ونزلت التوراة في الليلة الثالثة منه وهو وقت شروق ذلك النور، وفي الليلة الثانية عشر نزل الزبور وهو وقت ارتفاع هذا النور، وفي الليلة الثامنة عشر نزل الإنجيل وهو كمال ارتفاع ذلك النور وفي الليلة الثالثة والعشرين نزل الفرقان وهو استواء هذه الشمس. وفي الوحي القديم[٢٠٧]: جاء النور من طور سيناء وأشرق من ساعير واستعلت في جبل فاران. وهذا صريح في وحدة النور وتفاوت إشراقاته. وسرّ ذلك أنّ نبيّنا سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله كما هو مجمع أنوار الأنبياء ومنتهى معارج كمالها، كذلك القرآن هو جملة الحقائق الإلهية المنزَّلة في الكتب السماوية فهو كصاحبه على مستوى الكمال وفي قُصْيا درجات الجمعية والاشتمال؛ فاحتفظ بذلك الوميض الساطع فإنه مما لا تجده في كتب البوارع والحمد لله الواهب النافع.

فصل: وأمّا حديث مصباح الشريعة[٢٠٨] فالإمام الصادق عليه السلام فسّر أولاً الخبر المنقول عن جدّه سيّد الأنبياء صلوات الله عليه وآله وعليهم: بأن المراد من كون الصوم جنّة هو أنه سترٌ من آفات الدنيا حيث أنّ الارتياض البدني يحفظ الشخص من الأمراض والأسقام فكأنّه حِمْيَة من مضار الأغذية والأشربة التي وقعت في

عرض العام المولّدة للمواد الغليظة التي لا تتحلل إلاّ بالارتياض التام.

وكذا، هو حجاب من عذاب الآخرة حيث امتثل أمر الله واستسلم حكم الله فوجد مسّ الجوع والعطش وزكت نفسه وذلّت وأطاعت لله وحده فيثاب بكل ذلك ويبعد عن النار وأهوال يوم القيامة.

وأيضاً، يكون دليلاً على شدائد الآخرة فيحترز بذلك الخوف الحاصل من الصيام، عن ارتكاب ما يوجب الجوع والعطش في دار المقام.

وأيضاً، تنكسر بسبب الصوم شهوته فلا يقرب من المحرّمات كلّ القرب، ويعلم حال الفقير من شدّة الجوع والمسكنة فينفق في سبيل الله تعالى ويكتسب الثواب والزلفى والحجاب من شدائد الدار الأخرى، إلى غير ذلك من منافع الدنيا والعقبى.

قوله عليه السلام: «فإذا صُمتَ» أي إذا صمت الصيام الظاهر ـ من الإمساك عن المطاعم والمشارب والمناكح فانو الصوم الباطن، بأن تكفَّ نفسك عن كلّ ما تشتهي نفسُك مما ليس يُقرِّبك إلى الله فـ ﴿إنَّ النَّفْسَ لأمّارةٌ بالسُّوءِ﴾[٢٠٩]؛ وكذا تقطع همّتك أي ما هو مقصودك أو قصدك عن خطرات ما سوى الله، فإنّها خطرات الشيطان؛ وانْزِلْ نفسك أي باطنك مريضاً من رذايل الأخلاق وفواسد الأخلاط بحيث لا تشتهي طعاماً ولا شراباً كما عليه المرضى متوقعاً في كلّ لحظة شفاءك من مرض الذنوب؛ وطهِّر بهذه الحِمْية باطنك من كلّ كدر يحصل من أغذية الآراء الباطلة والخطرات الشيطانية ومن كلّ غفلة عن ذكر الله وعن كلّ ظلمة جهل بقطعك هذه كلّها عن معنى الإخلاص لوجه الله أي عن أن تكون بكليتك بسبب صومك مخلصاً له عزّ وشأنه.

ثم ذكر عليه السلام شاهداً على ذلك من قول رسول الله صلى الله عليه وآله نقلاً عن الله تعالى أنه قال: «الصوم لي وأنا أجزي به»

والمعنى أن غير الصوم من العبادات إنّما هي طلب فعل يشعر بالأنانية والغيرية ويُنبىء عن الرغبة والبغية، بخلاف الصوم فإنه تركٌ للمطلوبات وقطع للنفس عن المشتهيات وكفٌّ عن كل ما يُرغَب إليه ويُبْتَغى، وفي ذلك إفناء للنفس عن مُشتهاها بل عن أصلها وكليّتها بأن يفنى عن نفسها وعن بقائها بعد الفناء، فالصوم عبارة عن «الفناء في الفناء» فلا يبقى إلاّ الله، لا أنّها تبقى ببقاء الله، فإنّ ذلك يشعر عن الغيرية والأثنوة فيكون جزاؤه هو الله وحده، لا بقاؤه عزّ شأنه.

وقد قيل(٢١٠) في معناه: أنّ سائر العبادات إنّما تتحقق بحركات قلّما تخلو عن شبهة الرياء بخلاف الصوم، فإنه مما حقيقته أن لا يطلع عليه إلا الله، فيكون الله سبحانه يتفرد بإعطاء جزائه من النظر إلى وجهه الكريم، والكرامة بلقاء الله الملك العظيم.

وأيضاً، بالصّوم يتشبّه الإنسان بالملائكة المقرّبين والأنوار القدّيسين وهم لله، ووجودهم وهويتهم هو كونهم لله، فيصير العبد بهذا التشبّه لله فالصوم لله من هذه الجهة. وقد قلتُ في سوالف الزمان ووجدته في كرّاسة في معناه: إنّ سائر العبادات إنّما هي للوصول إلى مرتبة الإنسان النّوري: كما الصلاة لمقامات توحيده ودرجات معرفته، والحج لتذكر عهوده وأخذ مواثيق في عوالمه السّابقة على هذا الوجود العنصري، بخلاف الصوم فإنّه للإمساك عن الكلّ وقطع الأصول والفروع للانقطاع إلى مبدأ المبادىء وعلّة كلّ معلول. وما ذكرناه أوّلاً أعلى وأصفى.

ثم إنّه عليه السلام فرّع على ذلك الحكم الذي قد قلنا في بياننا، قوله: «فالصّوم يميت مواد النفس» إشارةً إلى فنائها بكليّتها، «ويميت شهوة الطبع»، إشارة إلى الفناء عن مشتهياتها الدنيوية والأخروية. وفيه صفاوة القلب الذي هو اللطيفة الإلهية أي صفاء الروح العلويّة

عن الميل إلى غير وجه الله والقرب منه، وطهارة الجوارح الظاهرة عن الأدناس الدنيوية، ونظافة القوى الباطنة عن الخيالات الشيطانية والهوسات النفسانية، وعمارة الظاهر والباطن بتخريب بنيان الإنيّة بالفناء عن الكل بالكلية لأنّ توهم الوجود لشيء يقتضي السّكنى في هذا الخراب والوقوف تحت الحجاب.

وفيه، أي في الصوم، الشكر على النعم لأنّ حقيقة الشكر هو رؤية المنعم لا النعم وذلك يستلزم الحكم بفناء الغير على الحقيقة.

وفيه، الإحسان إلى الفقراء لما قد مسّه من الجوع والعطش وعدم الوصول إلى المشتهيات مع الرّغبة إليها.

وفيه، زيادة التضرع والخشوع والبكاء لما قد يشاهد من أن تقليل الغذاء إنّما هو تقوية الروح وتحريكه إلى الجنبة العالية والمبدأ الأعلى بالخضوع والخشوع والبكاء.

وهو، حبل الالتجاء إلى الله تعالى وسبب انكسار الهمة حيث قلنا: إنّ الصوم عبارة عن فناء العبد عند المولى فهو سبب انكسار الهمّة عن غير الله وموجب لتخفيف الحساب، إذ الحساب إنّما هو على شيء والصائم قد فنى عن نفسه وعن كل شيء، وكذا تضعيف الحسنات لأنّه إذا أفنى عن الكلّ يقوم مقامه من يكفي عن القُلّ والجُلّ وكفى بالله وكيلاً والله المستعان. هذا آخر ما أردنا إيراده في بيان أسرار الصيام حسب ما يحضرنا الوقت ويصل إليه الفهم ويتلوه «كتاب أسرار الحج» إن شاء الله والحمد لله.

كتاب أسرار الحج

كتاب أسرار الحج

والوصول إلى شاهق هذا الطّور إنّما يتيسر بسير ثلاثة طرق من النور: فبالنور الأول، يصل السالك إلى أسرار تسمية المناسك وبالثاني، يطّلع على سر هذه الأوضاع وأنَّها لِما صارت كذلك وبالثالث، يتحقق بحقائق المقامات من هو بقدم العرفان سالك.

المنهج الأول في بيان أسرار التسمية: إعلم أنه قد قيل(٢١١): أنّ بكّة بالباء موضع البيت وبالميم سائر البلد..

وقيل: هما (أي بكّة ومكّة) اسم هذه البلدة المباركة إذ الباء والميم يتعاقبان على الكلمة وعن الرضا عليه السلام: «سمّيت مكّة لأنّ الناس كانوا يمكّون فيها، ويقال لمن قصدها: قد مكا وذلك قوله تعالى: **﴿وما كان صلاتُهُمْ عِنْدَ البَيْتِ إلاّ مُكاءً وَتَصْدِيةً﴾**(٢١٢) فالمكاء: التصفير، والتصدية: صفق اليدين»(٢١٣).

أقول: بناء هذا إمّا على الاشتقاق الكبير أو على أن أصل المكاء، الملكّ فقلبت إحدى الكافين حرف علّة، كما في أملت وأمليت وفي القاموس مكّة على صيغة الفعل: أهلكه ونقصه، فقوله عليه السلام؛ «ويقال لمن قصدها قد مكا» أي قصد مكة أو قصد نقصان ماله أو إهلاك ماله أو نقصان ذنوبه وفسّر «المُكا»، بالتقصير لأنّه نقصان في الشَّعر، وفسر «التصديّة» بضعف البدن وكأنّه مأخوذ مما في القاموس،

الصَّدي: الرجل اللطيف الجسد.

وسميت بكّة، لأنّ الرجال والنساء تبكّ بها[٢١٤] أي تراكموا وتزاحموا، أو تبكّ أعناق الجبابرة أي تدقّها ولأنّ الناس يتباكون فيها: إمّا بالتشديد بمعنى يزدحمون كما في خبر أو التخفيف بمعنى يبكون لما في خبر آخر، لبكاء الناس حولها وفيها.

وسميت كعبة، لأنّها وسط الدنيا[٢١٥] (كما) عن النبي صلى الله عليه وآله، وفي خبر آخر[٢١٦]: «لأنها مربعة لكونها بحذاء البيت المعمور في السماء الدنيا وهو بحذاء الضراح في السماء الرابعة وهو بحذاء العرش وهو مربّع لأنّ الكلمات التي بني عليها الإسلام أربع»[٢١٧].

وقيل: كل شيء علا وارتفع فهو كعب ومنه سمّيت «الكعبة» ـ انتهى.

وسمّيت بيتُ الله الحرام، لحرمته أو لكونه حراماً على المشركين أن يدخلوه.

وسمّيت البيت العتيق[٢١٨]، لأنه أعتق من الغرق قوم نوح عليه السلام؛ ولأنّه ليس من بيت إلاّ وله ربّ يسكنه بخلافه فإنّه لا يسكنه ولا ربّ له إلا الله فهو بيت حرّ عتق من الناس حيث لا يملكه أحد.

وسمّي الحطيم[٢١٩] ـ وهو ما بين الحجر الأسود وباب البيت ـ لأنّ الناس يحطم بعضهم بعضاً هناك ويزدحمون وقيل: سمي بذلك لأنّ البيت رفع وترك هو محطوماً يدوسه الناس.

وسميت منى لأنّ جبرئيل قال لآدم، وفي خبر آخر قال لإبراهيم[٢٢٠]: «تمنّ»، فكانت تسمى منى وفي آخر: تمنّى أن يجعل الله مكان ابنه كبشاً[٢٢١].

وسمّيت عرفات لأن جبرئيل خرج بآدم وفي خبر آخر: بابراهيم[٢٢٢] في يوم عرفة إليها، فلمّا زالت الشمس قال[٢٢٣] له: اعترف بذنوبك واعرف مناسكك.

وسمّي المشعر الحرام، مزدلفة لأنّ جبرئيل قال لآدم وفي خبر آخر لابراهيم: «إزدلفْ إلى المشعر» أي اقْتَرِبْ. وسمّي أيضاً جمعاً لأنّ آدم جمع فيها بين الصلاتين. وسيأتي تسمية بواقي المناسك في ضمن عللها ونذكر هناك ما يليق أن يكون شرحاً لما ذكر ها هنا.

المنهج الثاني في بيان سر هذه الأوضاع والمقامات: قال الله عز من قائل: ﴿إنّ أوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنّاسِ للّذي بِبَكّةَ مُباركاً﴾[٢٢٤] وقال جلّ مجده: ﴿جَعَلَ اللهُ الكَعْبَةَ البَيْتَ الحرامِ قِياماً للنّاس﴾[٢٢٥] وقال عزّ برهانه: ﴿ولِلّهِ على الناسِ حجُّ البَيْتِ﴾[٢٢٦]. وقال جل جلاله: ﴿ولْيَطوّفُوا بِالبَيْتِ العَتِيق﴾[٢٢٧] وعن الرضا[٢٢٨] عليه السلام: «وضع البيت وسط الأرض التي دحيت من تحتها الأرض وكلّ ريح تهب في الدنيا، فإنّها تخرج من تحت الركن الشامي وهي أول بقعة وقعت في الأرض لأنها الوسط ليكون الفرض لأهل الشرق والغرب سواء». الخبر.

شرح ذلك على ما وصل إليه فهمي: إنّه لمّا تعلقت الإرادةُ الإلهية طبق ما اقتضاه سرُّ المحبوبية[٢٢٩] بخلق النشأة الإنسانية، وكانت هذه اللطيفة الربانيّة ترابية الموطن، وقع التقدير بعمارة الأرض لأجل أداء ذلك الفرض، ولا ريب أنّ هذا إنّما يتأتّى بنشف الرطوبة المائية عن ظهر الأرض ولذا صار - بسابق عنايته جلّ مجده - مركزُ الشمس خارجاً عن مركز الكلّ حتى قربت من ناحية الجنوب فجذبت الرطوبات إلى ما هناك، فحصل البحر في هذه الناحية وانجرّ الماء من الشمال حيثما تمّت بالعمارة في الأرض، ونشأت فيها الحيوانات وابتدأ ذلك فيما يقرب خطّ الاستواء لاستيلاء الحرارة الشمسيّة على تلك الآفاق في أكثر الفصول على النسبة الواحدة تقريباً؛ فلمّا طلعتْ شمسُ تلك الإرادة من سماء إطلاق مستوى الجسم الكلي الذي هو من وجه عرش

الله العليّ، وافى لشروقها وطلوع نورها هذا الأفق الاعتدالي لهذه الجهة. ولقد عرفت من سوابق بياناتنا أن هذه الطبيعة مظهرُ الإرادة الإلهية، وأنّ «تكعُّب العرش» عبارةٌ عن الجهات الأربع التي لهذه الطبيعة فصار البيت مكعّباً لمحاذاته العرش الذي قلنا، فانطبعت النقوش العالية والصور النورية في مرايا الحقائق السافلة وسمّي كعبة لذلك الشكل وتلك المحاذاة، ولأنها وسط الدنيا كما في الخبر النبوي ونزيد ذلك بياناً ونقول:

قد عرفت أنّ الجهات الأربع للطّبيعة التي هي مظهر الإرادة الإلهية:

منها، ما يحاذي بها شطر العقل الكلّ؛

ومنها، ما لها بالنظر إلى النفس؛

ومنها، الجهة التي بالنظر إلى نفسها؛

ومنها، ما لها بالقياس إلى الهيولي؛

فلمّا انعكست تلك الجهات النورية العلوية في مرآة أرض القابلية لظهور الأنوار الإلهية، تحقّقت الأركان الأربعة للكعبة المباركة؛

ثمّ من اتصالات هذه النظرات ومناسبات تلك الجهات ـ على ما سبق ـ رفعت قواعد البيت وأضلاعها؛

ثم إنّ هذه الحقائق الأربع المتأصلة الإلهية: إثنتان منها، وقعتا في جهة مشرق الحقيقة وهما: العقل والنفس لكونهما من أفق عالم الأنوار ومنهما ابتدأت في الشروق شمس الأسرار، وإثنتان منها غربيتان وهما: الطبيعة والهيولى الكليّة لأنّ النور الفائض من المبدأ الأعلى ابتدأ من الأولَيْنِ وأتمّ رُبعَي الدورة بهما في اليوم الإلهي حتى شرع في الأفول بالأخيرَيْنِ، وأكمل الرُّبعَيْنِ الآخريْن بتمام الدائرة في تلك الليلة ثم يطلع ـ إن شاء الله العزيز ـ من هذا الأفق الغربي عند تمام الأمر الإلهي في آخر الزمان. وإلى ما قلنا من الأفقَيْن الشّرقييْن والغربييْن، أُشيرَ في

التنزيل الكريم بقوله عزّ من قائل: ﴿ربُّ المشْرِقَيْن وربُّ المغربَيْن﴾(٢٣٠).

فمن ضرورة المضاهاة، وقعت هذه الأركانُ والقواعد من البيت على هذه الصورة:

فإثنان منها شرقيّان وهما: «الركن» الذي فيه «الحجر» حيث يلي القطب الشمالي من جهة المشرق، و «الركن اليماني» الذي يلي القطب الجنوبي من هذه الجهة أيضاً؛

واثنان منها غربيان: أحدهما، «الركن الشامي» الذي يلي القطب الشمالي من جهة المغرب والآخر، «الركن المغربي» الذي يلي القطب الشمالي من تلك الجهة:

فالركن الذي فيه «الحجر» يحاذي الجهة التي للطبيعة إلى العقل فلذا وقع في السّمت الأسفل الشرقي الذي هو قدّام البيت من جهة اليمين حين ما فرض كأنّه شخص إنساني أو لُوحِظَ صاحب البيت مواجهاً إلى الشمال حيث تكون المعمورة في هذه الجهة أكثر، فالمواجه إلينا من البيت هو جهة الحق؛ وقد عبّر في القدسيات عن ذلك حيث ورد في التوجه إلى الكعبة: «واستقبل وجهي يعني الكعبة». الخبر. والمواجه منّا الى البيت هو جهة الخلق ولذا ورد: أنّ الحجر يمين الله في أرضه يصافح بها خلقه(٢٣١).

ثم قد علمت أنّ الركن «المائي» من العناصر إنّما حدث في هذا العالم من الجهة التي للطبيعة إلى العقل فلذا كان منبع الماء العذب من «زمزم» إنّما هو من تحت هذا الركن وهو أيضاً يسامت أهل العراق ومن أجله سمّي «بالعراقي» وذلك لغلبة القوة العقلية عليهم وفي الخبر: لو كان الدين بالثريّا لناولتْه رجال من فارس»(٢٣٢).

وأما الركن الشامي الذي هو عن يسار البيت حين ما فرض مواجهاً لنا وعن يمين المواجه إليه، فهو يحاذي الجهة التي للطبيعة

إلى الهيولى لأنّ الهيولى صدرت عن العقل من جهة خلقيته وهي اليسار.

وقد علمت أنّ الركن «الترابي» إنما حدث في هذا العالم من الجهة التي للطبيعة إلى الهيولى وهي أشبهُ شيء بالتراب لتماميّة استعداد ظهور الحقائق في هذه النشأة الترابية.

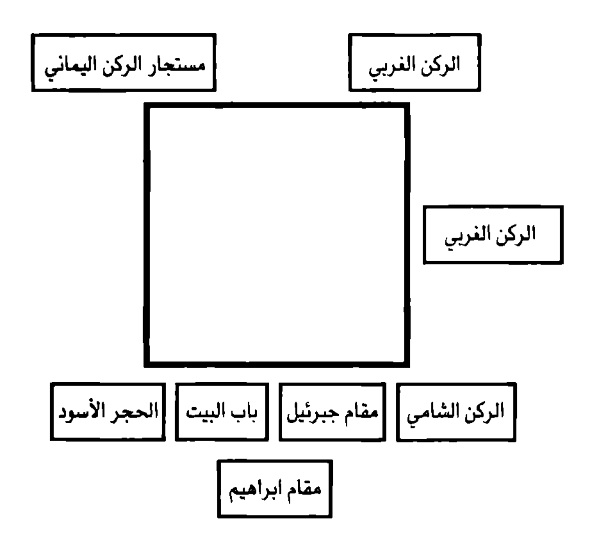
وأما الركن اليمانيّ الذي هو يمين البيت من جهة الجنوب التي هي الخلف حين ما فرض مواجهاً لنا، فهو يحاذي الجهة التي للطبيعة إلى النفس أي «الروح الكلي» فلذا وقع في الجنب الآخر من «الحجر» إذ النفس صادرة عن العقل من «الجهة الحقيّة» ولذا وقع في الجنب الشرقي من البيت وفي الخبر أيضاً: أنه «يمين الله في أرضه» كما كان الحجر كذلك وفي آخر: «الحجر الأسود والركن اليماني عن يمين العرش»(٢٣٣).

وقد علمت أنّ الركن «الناري» إنّما حدث في هذا العالم من الجهة التي للطبيعة إلى النفس فلذا ورد: الاستعاذة من النّار حين استلام ذلك الركن.

وأما الركن المغربي الواقع عن يسار البيت من جهة الخلف على ما بيّناه فهو يحاذي الجهة التي للطبيعة إلى نفسها، ولذا وقع بين الركن المحاذي للجهة التي إلى الهيولى أي «الشامي» والركن الذي يحاذي للجهة التي إلى النفس أي «اليماني» لأنّ الطبيعة هي الحاصلة من نفخ «الروح الكلي» في الهيولي.

وقد علمت أنّ الركن «الهوائي» في هذا العالم إنّما حدث من هذه الجهة للطبيعة ولما كان ظهور الطبيعة وآثارها إنّما هو في المادة، فلذلك كان أثر هذا الركن إنّما ظهر في الركن الشامي كما ورد: أن الريح تهبّ من الركن الشامي جنوباً وشمالاً ودبوراً وصباءً،

ولذلك كان يتحرك ذلك الركن في الشتاء والصيف والليل والنهار وذلك لأنّ الريح إنما هي من نَفَس الرحمن وهذه الطبيعة إنّما هي مظهر هذا الاسم ولا يظهر فعلها إلاّ في الهيولى وهذه هي صورة البيت:



وبهذا الذي حقّقنا صحّ كون البيت مكعّباً لمحاذاته عرش الله الأعظم الذي هو من وجهٍ عبارة عن الطبيعة الكلية للجسم الكلي وفي خبر آخر: لمحاذاته البيت المعمور الذي في السماء الدنيا وهو بحذاء الضراح الذي في السماء الرابعة وهو بحذاء العرش وهو مربع لأنّ الكلمات التي بني الإسلام عليها أربع وهي «التسبيحات الأربع» ويظهر ذلك مما ذكرنا مع أخذ مقدمة شريفة مبيّنة في تضاعيف ما ذكر في سوالف المقامات: من أن الأمر إنّما يتنزّل من سماءٍ سماءٍ إلى أن انتهى إلى أرض الشهود وإنّ كل ما في هذا العالم الحسّي فإنّما هو صورة للعوالم الفوقية إلى أن انتهى إلى صورة الصور.

وأمّا التعليل بأنّ الكلمات التي بني الإسلام عليها أربع فلذلك جعل العرش مكعباً، فلعل المراد أن هذا العرش الجسماني على محاذاة عرش الوحدانية وبناء الوحدانية الحقيقية على التوحيدات الثلاثة أي «الفعلي» الذي هو مفاد التحميد و «الصفاتي» الذي هو مفاد التهليل «والذاتي» الذي هو مفاد التكبير، ثم التنزيه عن جميع هذه التوحيدات الذي هو مفاد التسبيح. وقد سبق ما يليق به أن يكون شرحاً لهذا المقام وسيجيء ما يوضح بعض ذلك المرام إن شاء الله تعالى.

وصل: ولنتكلم على طرز آخر من الكلام غريب عن الأفهام ـ وأظنّه لم يقرع أسماع أرباب العقول ولم تَخْطُب أبكارَ هذه الأفكار هؤلاء العجول ـ فاعلم أنه قد ورد عن أبي جعفر باقر علوم الأوّلين عن آبائه معادن علوم سيد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين(٢٣٤):

«أنّ آدم عليه السلام بعد هبوطه شكى إلى الله الوحشة فأهبط الله عليه بخيمة من خيم الجنة، فضرب جبرئيل الخيمة على الترعة التي هي مكان البيت وقواعده التي رفعتها الملائكة، وهي على مقدار أركان البيت وقواعده، وكان عمود الخيمة قضيباً من ياقوت أحمر فأضاء نورُه جبال مكّة وما حولها وهي مواضع الحرم، وكانت أوتادها صخرةً من عقيان الجنة وأطنابُها من ظفائر الأرجوان، ثم أمر الله أن ينحّى آدم وحواء من الخيمة ويبنى مكانها بيتاً على موضع الترعة حيال البيت المعمور ليطوف الملائكة السبعون ألف ـ الذين أمرهم الله بموآنسة آدم ـ كما يطوفون بالبيت المعمور. فرفع قواعد البيت بحجر من الصفا وحجر من طور سينا وحجر من جبال السلام وهو الكوفة وأتمّه من حجر أبي قبيس وجعل له باباً إلى المشرق وباباً إلى المغرب. فلمّا فرغَ طافتْ الملائكة وطاف آدم وحواء سبعة» ـ الخبر.

أقول: ولعلّ المراد بما في هذا الخبر الشريف هو الذي ورد في أخبار أُخر:

منها: ما روي عن الصادق عليه السلام في سرّ مكان البيت لما جاء جبرئيل آدم عليه السلام للتوبة بأمر الله تعالى، فأنطق به حتى أتى البيت فنزلت غمامةٌ أظلّتهم، فأمره جبرئيل بأن يخط برجله حيث أظلّت الغمامة[٢٣٥]. وفي خبر آخر لبيان سرّ الحجر الأسود[٢٣٦]: أنه كان ملكاً من عظماء الملائكة وهو أوّل من أقرّ من الملائكة عند أخذ الميثاق وكان مع آدم في الجنّة تذكرةً للعهد، فلمّا تاب الله على آدم حُوّل ذلك الملك حجراً في صورة درّةٍ بيضاء، فرماه من الجنة إلى آدم. وفي آخر: للحجر الأسود عينان وأذنان وفم ولسان. وكان إذا مرّ عليها آدم[٢٣٧] في الجنة ضربها برجله فلمّا هبط وهي ياقوتة حمراء بادر فلثمها ولذلك صار الناس يلثمون الحجر[٢٣٨]. وفي آخر: لما هبط آدم إلى أبي قبيس شكى إلى الله الوحشة وأنه لا يسمع ما يسمع في الجنة، فأهبط الله ياقوتة حمراء فوضعتْ موضع البيت يطوف بها آدم وضوءها يبلغ موضع الأعلام فعملت الأعلام على صورتها وصار حرماً[٢٣٩].

فهذه الأسرار ممّا لا يحوم حول حماها العقول المرتاضة فضلاً عن الأوهام المترفّهة، ونحن بفضل الله نشير إلى لمعة من هذا النور لمن أراد الارتقاء إلى شاهق ذلك الطّور فنقول ـ وبالله التوفيق ـ:

قد تكرّر فيما سلف ـ من أصول الحكم التي أحكمناها لك ومن أبواب المعارف التي فتحناها لك ـ أنّ الموجودات كلها مع تباينها، على قسمين: جسماني وروحاني وأنّ أفضل الأشكال وأوسعها وأبعدها عن قبول الآفات هو الكرة فلذلك صارت البسائط على هذا الشكل. ثم يجب أن تكون تلك الكرات بعضها محيطاً ببعض، إذ لو لم يكن كذلك

لكان بينها جسم أو خلاء: أمّا الخلاء، فيمتنع وجوده بالبيانات المذكورة في مقامها والجسم الواقع بين الكرات البسيطة يستحيل أن يكون كُرياً وذلك واضح وقد قلنا أنّ الأجسام البسيطة البدويّة كلها كرات فتعيّن أن يكون بعضها محيطاً ببعض. ثم إنّ كلّ واحدة من هذه الكرات بالقياس إلى ما فوقها كدرٌ غليظ مثل أن الأرض بالإضافة إلى الماء كذلك وهو بالقياس إلى الهواء وهو بالنسبة إلى النار وهي بالنظر إلى فلك القمر وهكذا يتصاعد الأمر في السماويات بالغلظة واللطافة إلى أن انتهى إلى الفلك الأطلسي الذي هو عرش الجسمانيات حيث يصفو عن كلية الكدورات الواقعة فيما تحته حتى عن الكواكب؛ فهو والذي يليه بالنظر إلى السماوات السبع كالمعقول بين المحسوس ولهذا لم يطلق عليهما صاحب الشرع وخاتم النبوة صلى الله عليه وآله اسم «السماء» لذلك الامتياز.

وهذا الذي قلناه إنّما هو في الموجودات الجسمانية، وأمّا الموجودات الروحانية فلوجوب المضاهاة والمطابقة بين العالمين على ما تقرّر، وجَبَت الاستدارة فيها، بل هذه التي تلينا إنّما اكتسبت الاستدارة منها، ففي العالم الأعلى كراتٌ حقيقيّة بعضها محيط ببعض إحاطة العلّة بالمعلول من جميع جهاته والسافل هناك أيضاً كالكدر بالإضافة إلى العالي لكن السافل عندنا كالمركز للعالي المحيط بخلاف ما هناك، فإنّ العالي مركز ومع ذلك له الإحاطة والسّافل كالمحيط وله المحاطيّة، وهكذا حتى ينتهي الأمر إلى مركز دائرة الوجود وأصل الأصول؛ فمن ذلك، تحاذى مركز الكرات الجسمانية ومركز الكرات العقلية واختص المركز الجسماني بسعادة ظهور بيت الله فيه على محاذاة عرش الوحدانية الكبرى الذي هو البيت العقلي، لِتطّواف طوائف العقول القادسة،وصحّ أنه يحاذي عرش الله المجيد في العالم النفساني وهو الجسم المحيط

بالكلّ الذي ابتدأ اثر النفس الكلية فيه، وهذه المحاذاة هي محاذاة المركز للمحيط وأنه يحاذي عرش الله الأعظم الذي هو «عرش الوحدانية» المعبّر عنه في الشرع الأقدس بـ «العقل الكلي» الذي هو مركز الكرات العقلية وإن كان الله سبحانه هو المحيط بجميع الدوائر والمراكز العقلية والجسمانية. وهذه المحاذاة هي محاذاة المركز للمركز حيث انتهى الأمر من جهة العلوّ منعكساً منعطفاً إلى حيث انطبق على المركز السفلي ولهذا سرٌّ لم أرَ أحداً تكلم به أكثر مما ذكرنا.

وبالجملة(٢٤٠) فكما أنّ العرش - أي هذه الطبيعة العرشيّة في أية مادة تحقّقت مجرّدة كانت أو جسمانية - إنّما تقوم بسقف وعمود وأوتاد وأطناب ولا يضرّ ذلك بساحة استدارته كما أومأنا إليه فيما سلف - كذلك «عرش الوحدانية»، والعرش المجيد والكعبة المشرفة التي بحذائهما لا بدّ لها من هذه فعرش الوحدانية إنّما قامت أيضاً بها:

فـ «العمود»، هي الألوهية الكبرى التي بها قامت السماوات والأرض - عواليها وسوافِلها التي هي شواهد الوحدانية - وهي بمنزلة «الياقوتة الحمراء» لجامعيّتها جهتَي الحقّ الذي هو النور المطلق والخَلقِ الذي هو الظُّلمة، لأن الإله يقتضي مألوهاً ولا ريب أنّ «الحمرة» حادثة من اختلاط البياض الذي هو جهة النور والسواد الذي هو جهة الظلمة؛

و «الأوتاد» هي الطبيعة الكلية الممسكة لنظام العالم الجسماني بجهاتها الأربع. «واصفرارُها الذهبي» لأجل كونها قريبة من الأنوار العقلية لكن اطمأنّت إلى الأرض الهيولانية واستحكمت فيها وانطبعت بآثارها وانصبغتْ بأحكامها؛

«والإطناب» وهي أشعة نور النفس المنبثّة في آفاق العالم الجسماني وهي بحسب مرتبتها في شرفات العالم العلوي. «وأرجوانيتها» لتوسّطها بين عالم الأمر المحض وهو العالم العقلي وبين عالم الخلق أي الهيولى

والطبيعة والأرجوانية ـ أي البنفسجية ـ إنّما يحدث من اختلاط الصفرة والحمرة.

وأمّا «الخيمة» فهي المرتبة العقلية التي مع كونها مركزاً للكلّ فهي محيطة بالدوائر العقلية والجسمية، هذا هو «عرش الوحدانية» وبيت الله في المرتبة العقلية وهو أوّل بيت وضع للأناس العقليين والملائكة المُهَيّمين. لضرورة المضاهاة بين العوالم، وقع على محاذاته في المرتبة النفسية ومرتبة الطبيعة والأرض الهيولانية بيوتات إلهية **﴿ومساجِدَ يُذْكَرُ فيها اسمه﴾**(٢٤١) سبحانه.

فالعرش المجيد الذي هو أول مظاهر الروح الكلي، هو بيت الله في العالم النفسي لتطواف الملائكة المقربين:

والضرّاح في السماء الرابعة ـ التي هي كشمس القلادة لعالم الطبيعة الجسمانية ـ بيت الله في عالم الطبيعة لأجل تطواف الملائكة المدبِّرة.

والكعبة التي في وسط الكل هو بيت الله في عالم الشهادة وأرض الهيولى. وهي على محاذاة الكل لأجل كونها محاذية للمركز الأصلي ففي الخبر النبويّ المعراجي(٢٤٢): «وكأنّي أنظر إلى بيتكم هذا».

ثم قال صلى الله عليه وآله: «ولكل مثل مثال» فالغمامة، مثال «الخيمة» التي في الجنة العقلية والحجر الأسود، هي «الياقوتة» وأستار الكعبة وجدرانها بمنزلة «ضفائر الأرجوان» إذ الحجب في العالم الكبير هي مراتب النفوس. والأحجار التي من جبل الصفا ومن طور سينا ومن جبل السلام ومن جبل أبي قبيس، بإزاء «الأوتاد الذهبية» وهي إشارة إلى أنوار الولاية التي كانت لإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد وعلي صلوات الله عليهم ففي التوراة: «جاء النور» وفي رواية: «جاء الله من طور سيناء وأشرق في ساعير وأضاء في جبل

فاران»[٢٤٣]. فالأولى[٢٤٤] إشارة إلى ظهور موسى عليه السلام؛ والثاني إلى سفارة عيسى عليه السلام؛ والثالث إلى بعثة نبينا محمد صلى الله عليه وآله. لكن النور واحد وهو «النور المصطفويّ» وهؤلاء حوامله. وهذا النور ابتداء كمال الظهور من إبراهيم عليه السلام وإن كان بَدو ظهوره من آدم عليه السلام.

فالحجر الذي من الصفا، هو مرتبة إبراهيم في إعلاء كلمة الله وإظهار الدين الحنيف: والحجر الذي من طور سيناء إشارة إلى مرتبة موسى عليه السلام من بناء الدين واستحكام الشريعة؛ والحجر الذي من جبل السلام إشارة إلى مرتبة عيسى وإن كان هو مقام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إذ كما أن ختم ولاية آدم كان بعيسى، كذلك كان ختم الولاية الكلية بمولانا علي عليه السلام فهو قائم مقام عيسى عليهما السلام.

فهذه الإشارات لأجل أنّ الدين الذي هو العرش من وجه كما سيأتي، إنّما قام بهؤلاء الذين هم عظماء أولي العزم، فكذا الكعبة التي هي بإزاء العرش من كلّ وجه قامت بتلك الأحجار ولهذا قال الرضا عليه السلام: «لا يزال الدين ما دامت الكعبة»[٢٤٥] وهذا معنى قوله تعالى على ما في هذا الخبر: ﴿جَعَلَ الله الكَعْبَةَ البَيْتَ الحرامَ قِياماً للنّاس﴾ وعلى هذا الذي حقّقنا، «فالركن الشامي» لعلّه من حجر الصفاء لأنّ آدم الصفي إنما ظهر لحواء في هذا المقام، وإبراهيم الذي كان من الأرض المقدسة إنما نزل إلى هذا المكان لقوله تعالى حكاية عنه: ﴿إنّي أسكَنْتُ منْ ذُرّيّتي بوادٍ غيرَ ذي زرْع﴾[٢٤٦]؛ «والركن المغربي» من حجر طور سيناء لأنّ هذه الجهة كانت لموسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وما كُنتَ بجانبِ الغَربِي إذْ قَضَيْنا إلى موسى الأمْرَ﴾[٢٤٧]؛ والركن العراقي من حجر الجنة وهو الحجر الأسود وهو الجهة التي

لكلّ شيء إلى العالم العلوي: والركن اليماني من جبل السلام لأن لعيسى عليه السلام جهة الشرق والذي قام مقامه وهو مولانا عليّ عليه السلام كان مولى المؤمنين وأميرهم وفي الخبر: «الإيمان يمان والحكمة يمانية»(٢٤٨): وتمام البيت من حجر أبي قبيس لأنّ تمامية النعمة وكمالية الدين وختمية الرسالة كانت بسيدنا وسيد الكونين صلى الله عليه وآله. وكأنّا قد جاوزنا الحد الذي لا ينبغي أن يذاع في العالمين وكأنّك ما سمعت بهذا في زبر السابقين فخذهُ واشكر الله ربَّ العالمين.

فصل: وجُعِلَ مقامُ إبراهيم عليه السلام قبالة الكعبة عن يسار البيت. لما في الخبر: أنّ مقام إبراهيم عن يسار العرش(٢٤٩) وقد عرفت أنّ الكعبة على محاذاة عرش الله المجيد، ولأنّ الأنبياء عليهم السلام وجه الله الذي يتوجه بهم إلى الله.

وجُعِلَ مقامُ جبرئيل عند الباب عن جانب اليسار، لأنّه الذي يُوصِل الوافدين إلى الله إلى جوار بيت الله العقلي والمنزِل القدسيّ ويدخل الملتجئين إلى فنائه ظلاً ظليلاً ومقاماً أميناً ويفتح لهم أبواب العلوم الإلهية ويؤيّدهم بالتأييدات الربّانية. وبالجملة، هو مُفيض العلم على المستعدين من المبدأ الفيّاض ويورد عطاشى المعارف الحقيقية إلى عذبة من المناهل وكوثر من الحياض.

وجُعِلَ حجرُ إسماعيل عليه السلام عن يسار البيت، لِعلّة كون مقام إبراهيم عليه السلام كذلك لأنّ «الولد سر أبيه» فالتياسر فيه أوضح.

وأمّا سرّ كون مقام إبراهيم عن يسار العرش فلأنّ العرش الذي هو المُلك (بضم الميم) من وجه، محصور في جسم وروح وغذاء ومرتبة فآدم وإسرافيل للصُّور، ومحمد صلى الله عليه وآله وجبرئيل عليه

السلام للأرواح وابراهيم وميكائيل للأرزاق، ومالك ورضوان للوعد والوعيد، كذا قيل[٢٥٠] في تعيين المقامات.

وتفصيل ذلك: أنّ «العرش» كما سيأتي[٢٥١] على وجوه: فمنه: «عرش الوحدانية» و «عرش العلم» و «عرش الدين» و «عرش الملك» وهو جملة العالم الجسماني بأرواحه وقواه وأجسامه، و «عرش السرير» الذي هو واحد من الكرات المحيطة بالسماوات والأرض. وقد عرفت بعض أحكام الثلاثة الأوّل بل الأربعة:

فأمّا عرش السرير، فحوامله أربعة أملاك[٢٥٢]: واحدُها على صورة الإنسان يسترزق الله لبني آدم، وآخر على صورة الأسد يسترزق الله للسبّاع، وثالثها على صورة النسر يسترزق الله للطيور، ورابعها على صورة الثور يسترزق الله للبهائم؛

وأما عرش الملك الذي هو جملة الخلق فهو محصور في جسم وروح وغذاء ومرتبة لكل أحد: فآدم من الأنبياء وإسرافيل من الملائكة للصور إلى نفخ الحياة، ومحمد صلى الله عليه وآله وجبرئيل عليه السلام للأرواح واستكمالاتها، وإبراهيم وميكائيل عليهما السلام للأرزاق، وعليّ عليه السلام ومالك ورضوان للوعد والوعيد وتعيين مقام كلّ أحد من الجنة والنار؛

وأما عرش الوحدانية، فحوامله أربعة: هو العقل والنفس والطبيعة والمادة وقد عرفت غير مرة؛

وأما عرش العلم والدين، فحوامله أربعة من الأولين: هم نوح وابراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام وأربعة من الآخرين: هم محمّد وعليّ والحسن والحسين عليهم السلام.

فعرش السرير على محاذاة عرش الوحدانية ولذلك صار حواملهما أربعة، وعرش الملك على محاذاة عرش العلم والدين ولذلك صار

حواملهما ثمانية وإن كان كلٌّ على محاذاة كلٍّ من وجه.

فالكعبة التي بإزاء العرش مطلقاً ومن كل وجهٍ ينبغي أن يكون فيها مقام جبرئيل عند الباب ليعرج بالأرواح الكاملة إلى عالم الأنوار ويوصلها إلى ربّ الدار.

وينبغي أن يكون مقام ابراهيم عليه السلام عن يسار البيت محاذياً للركن الشامي الذي قد سبق أنه من الحجر المنسوب إلى دياره عليه السلام، لأنّ مقامه في عرش الملك عن اليسار، لأنه قد ورد: أنه مؤكّل بأرزاق أولاد المؤمنين، كما أنّ ميكائيل موكل بالأرزاق مطلقاً، والغذاء له جهة اليسار لاغترابه في المغتذى، ولأنه عليه السلام سمّي «خليلاً» لتخلّله محبة الله وتخلّل محبة الله إياه كما يتخلّل الغذاء بدن المغتذى أي يصير في خُلَله فهو من هذه الجهة صاحب اليسار الذي هو مغرب البيت والعرش، لأنّه إذا اعتبر تخلّله محبة الله فهو غاربٌ في الأفق المبين، فانٍ عن نفسه وعن العالمين، فيكون به يسمع الله وبه يبصر الله وبه يبطش وبه يمشي، ففي الخبر في شأن أنبياء الله عليهم السلام: «بهم ينظر الله إلى عباده» وهذه نتيجة قرب الفرائض وإذا اعتبر تخلّل محبة الله إياه فهو مغرب نور الله جلّ برهانه، فيكون الله سمعه وبصره ويده ورجله كما ورد: «بي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي» وهذه نتيجة قرب النوافل فتبصّر.

فصل في علة الوفادة إلى الحج: روي عن مولانا الإمام باقر علوم الأولين محمد بن علي بن الحسين عليهم السلام في علّة فرض الحج قال عليه السلام(٢٥٣): «لما أراد الله أن يجعل في الأرض خليفة ضجّت الملائكة فقالوا: «إجْعَله منا» فردّ عليهم: بـ ﴿**إنّي أعلَمُ ما لا تَعلَمُون**﴾(٢٥٤) فظنّوا: أنّ ذلك سخط حيث حجب عنهم نوره الظاهر

لهم: فلاذوا بالعرش يطوفون، فأَمَرَ الله عز وجل لهم ببيتٍ من مرمر، سقفُه ياقوتةٌ حمراء، وأساطينه الزَّبرجد يدخله كل يوم سبعون ألف ملَك للزيارة: فأحبّ الله ذلك، فخلق الله البيت في الأرض وجعل للعباد الطواف حوله» وفي رواية: «يطوفون سبعة آلاف سنة فصار الطواف سبعة أشواط لكل ألف شوط»[٢٥٥].

أقول ـ وبالله التوفيق ـ: هذا بيان جهة الفاعلية والذي ذكرنا آنفاً بيان للعلّة المادية والصُّورية مع بعض جهات العلة الفاعليّة، وأمّا بيان العلّة الغائية فسيجيء في كلام مولانا الصادق عليه السلام.

ثم بيان العلة الفاعلة مع شرح للرواية المذكورة هو ما وفقني الله لفهمه والحمد لله:

فاعلم، أنّه قد سبق أنّ كل عال في العالم الأعلى فهو كالمركز، والسافل كالمحيط إلاّ أنه المحاط وذلك بعكس الدوائر الجسمانية. ولا ريب أنّ المركز من حيث هو مركز يقتضي أن يطوف المحيط حوله سواء كان في الدوائر العقلية أو الجسمية وعن هذا المعنى عبّر بـ «الكنز المخفي» و «المُحبّية»[٢٥٦]. وقد سبق أيضاً أنّ المركز الأرضيّ يحاذي المركز الأصلي فكما أنّ حول المركز الأصلي أناس عقليّون وبشر نوريّون، يطوفون حوله على ولَهٍ وهيمان، ويجولون حول حريم العظمة كما يليق بهذا الشأن، كذلك جرت السنّةُ الإلهية وسبقت العناية الربانية بوقوع ذلك في أرض البعد والفراق لتتذكّر هؤلاء الأناسيّ حالات أولئك البشر العوّالي. وكانت هذه الإرادة في خفايا الأسرار ومكامن حُجُب الأستار إلى أن نزل الأمر في مقامات الصفات وتنزّل حسب تنزّل الدرجات حتى بلغ مقام ظهور الإرادة التي مظهرها الطبيعةُ الممسكة لنظام العالم، واطّلعت الملائكة على ظهور آدم، فهناك اتّضح هذا السرّ كمال الوضوح وظهرت هذه الإرادة الخفية في موطن

الظهور والسّنوح، فالتمست تلك الخلافة لأنفسهم بأن نظرت في صفاء الطينة وخلوص الطويّة فما وجدوا أشرف منهم ولا أليق بذلك من أنفسهم، فردّوا بنقصان علمهم وأنّ هناك نشأةٌ أعلى درجة وأشرف منزلة منهم، فعلموا هناك بقصور رتبتهم ونقصان علمهم، وأنّهم ليسوا كما ظنّوا ولا في قوّتهم ما راموا، فلاذُوا بالعرش الذي هو بالنظر إلى مرتبتهم كالمركز لهم وإن كان محيطاً بهم لأنهم ملائكة طبيعيون، فأمرهم الله بأن هداهم إلى التطواف حول بيت «النفس الكلية» الذي هو «العرش» وهو من مرمر الجسمية الصافية عن كدورات الكيفيّات الجسمانية و «سقفه» هي النفس الإلهية التي هي «ياقوتة حمراء» كما قد عرفت فيما سبق لأنّ النفس مكلّلة على الجسم كالسقف للبيت «وأساطينه» هي آثارها الفائضة لها إلى الجسم الكلي وهي «زبرجدة» لتوسطها بين الحمرة والمرمرية تقريباً، ثم وضع هذا البيت بحذائه على التفصيل الذي سبق.

فصل: في الكافي[٢٥٧]، قال أبو عبد الله عليه السلام لبكير بن أعين: «فهل تدري ما كان «الحجر» قال: «لا». قال: كان ملكاً من عظماء الملائكة عند الله فلما أخذ الله من الملائكة الميثاق، كان أوّل من آمن به وأقرّ ذلك الملك؛ فاتخذه الله أميناً على جميع خلقه فألقَمَه الميثاق وأودعه عنده واستعبد الخلق أن يُجَدِّدوا عنده في كل سنة الإقرار بالميثاق والعهد الذي أخذ الله عز وجل عليهم. ثم جعله الله مع آدم في الجنة يذكّره الميثاق ويجدّد عنده الإقرار في كلّ سنة فلما عصى آدم وأخرج من الجنة، أنساه الله العهد والميثاق الذي أخذ الله عليه وعلى وُلده لمحمد ووصيه عليهما السلام، فلمّا تاب على آدم حُوِّل ذلك الملكُ في صورة «درة بيضاء» فرماه من الجنة إلى آدم وهو بأرض الهند فلما

نظر إليه آنس إليه وهو لا يعرفه بأكثر من أنه جوهرة وأنطقه الله فقال: «يا آدم أتعرفني؟» قال: «لا» قال: «أجل! استحوذ عليك الشيطان فأنساك ذكر ربك ثم تحول إلى صورته التي كان مع آدم في الجنة فقال لآدم: «أين العهد والميثاق؟!» فوثب إليه آدم وذكر الميثاق وبكى وخضع له وقبّله وجدّد الإقرار بالعهد والميثاق، ثم حوله الله عزّ وجلّ إلى جوهرة الحجر درّة بيضاء صافية تضيء، فحمله آدم على عاتقه إجلالاً له وتعظيماً فكان إذا أعيى، حَمَلَه عنه جبرئيل حتى وافى به مكة فما زال يأنَسُ به بمكّة، ويجدّد الإقرار له كلّ يوم وليلة ثم إن الله عزّ وجلّ لما بنى «الكعبة» وضع «الحجر» في ذلك المكان، لأنّه تبارك وتعالى حيث أخذ الميثاق من ولد آدم أخذه في ذلك المكان. وفي ذلك المكان، ألقم الملك الميثاق ولذلك وضع في ذلك الركن. ويجيء آدم من مكان البيت إلى «الصفا»، وحواء إلى «المروة»، ووضع الحجر في ذلك الركن. فلمّا نظر آدم من الصفا وقد وضع الحجر في الركن كبّر الله وهلّله ومجده، فلذلك جرَتْ السنّة بالتكبير واستقبال الركن الذي فيه الحجر من الصفا، فإنّ الله أودعه العهد والميثاق دون غيره من الملائكة؛ لأنّ الله عز وجل لما أخذ الميثاق له بالربوبية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوّة ولعلي عليه السلام بالوصاية اصطكت فرائص الملائكة: فأوّل من أسرع إلى الإقرار ذلك الملك ولم يكن فيهم أشد حباً لمحمد وآل محمد صلى الله عليه وآله، ولذلك اختاره الله من بينهم وألقمه الميثاق وهو يجيء يوم القيامة وله لسان ناطق وعين ناظرة يشهد لكلّ من وافاه في ذلك المكان وحفظَ الميثاق».

أقول: ما خطر البال في بيان هذا الذي هو خير المقال: أن «أخذ الميثاق» كما يظهر من الأخبار إنما وقع في مواطن كثيرة ومن تلك المواطن، مرتبة الجسمية التي يعبّر عنها في بعض الروايات بـ «الياقوتة

الحمراء» و «الدرة البيضاء» وهو «العرش» من وجه، ولا ريب أنه تعين المحيط والمركز في الجسم الكلي وكذا قدّرت مقادير القُلّ والجُلّ عند تحقق هذه المرتبة. ولمّا كان الغرض من هذا النظام هو الإنسان على ما عرفت مراراً وقع التقدير بوجود أشخاص هذا النوع الشريف في تلك المرتبة بأن خلق هذه المرتبة لأجل قرارها ومعاشها، وقدّر آجالها وأعمارها ومقادير أوضاعها، كما وقعت المشيّة في المرتبة المتقدمة على الإرادة، وهكذا. وبالجملة في كلّ مرتبة وقع حكم من هذه الأحكام بوجود هذه اللطيفة، أخذَ الميثاق عن أبناء النوع بالألوهية والرسالة والولاية المطلقتين بأنْ نظرَ الربُّ إلى حقائقها، فنطقوا بألسنتهم المناسبة لعالمهم بالإقرار والشهادة، فعند تعيّن المركز والمحيط في الجسم الكلي الذي هو أحد المواطن، قدّر خلْقُ بني آدم من الأجزاء التي تلي المركز أي مركز العالم، لأنّ هذا البنيان ترابي الحدوث طينيّ الهيكل، فأخذ الميثاق من ذرات الطينة الترابية القريبة من المركز، المجموعة كلّها بالنحو الجُمَلّي في طينة آدم، فقبلتْ تلك الأجزاء الصافية بمحض لطافة طينتها النورية وصرافة صفائها الأصلي فأُلْقِم ذلك الميثاق في الجوهرة القريبة من المركز حيث استوتْ نسبتُها إلى جميع الأجزاء لأنّ الشاهد ينبغي أن يكون عدلاً غير مائل إلى طرف من الأطراف على معنى أن هذا الجزء لما كان متعيّناً قبل تعيُّن ساير الأجزاء وكان من جنس طينة آدم وتلك الطينة هي القابلة لحمل الأمانة وقبول التكليف بالألوهية والنبوّة والولاية، صار هذا الجزء الشاهد والمُلْقَم فيه الميثاق وعُبِّر عنه بـ «المَلَك» (بفتحتين) لأنّ هذه المرتبة هي باطن عالم المُلك (بالضم) الذي هو عالمنا هذا. ولكلّ باطن سلطنة على الظاهر بالتربية والتدبير، ولا نعني بالملك إلاّ من له هذا السلطان والتقدّم حيث تعيّن بالمركزية قبل تعيّن الأجزاء الأخر بأحكامها، لست

أعني بالمركز ما اصطلح عليه القوم بل على معنى يقال للأرض مركز وبالجملة، الحجر الأسود هو الجزء القريب من الوسط من الأرضية النورية المصاحبة لطينة آدم من حيث وقوعه في أفق حكم فيه بحدوث آدم ولم يخالطه الإزدواجات التركيبية والاختلاطات المزاجية بل بقي على صرافة الجسمية النورية فلذا ورد: أنه «كان ياقوتة حمراء أو دُرّة بيضاء»(٢٥٨) كما ورد في شأن العرش كذلك.

والرمي من الجنة، هو تلبّسه بلباس النشأة العنصرية وهبوطه من العالم الشريف العرشي والجسم النوري إلى هذا العالم الظلماني. «ثم وقوعه في الهند»، هو ظهوره في هذه المرتبة التي هي مغرب الأرواح. «وعدم معرفة آدم به»، لأجل تغيّر اللباس وإحاطة ظلمة ذنوب بني آدم به حيث ظهرت هذه المرتبة بسبب تعيّشهم وتزوّدهم وهبط هو حيث هبطوا من أجل سقوط ريشهم وعصيانهم. «ثم تحوّله ثانياً إلى صورته الأصلية إلى أن عرفه آدم»، هو قبوله لتقشير آدم إياه عن هذا اللّباس كتقشير المحسوس لرؤية المعقول. «وحمل آدم وجبرئيل إيّاه على العاتق»، عبارة عن مجيئه إلى هذه النشأة بتوسط وجود آدم مع إعانة جبرئيل في هذا النظام الأتم إذ لولا وجود هذا النوع وكذا توسط جبرئيل لم يتحرك من مكانه ومقامه. «ثم وضع الحجر في هذا المكان» الذي هو الوسط لكون مقامه حيث الميثاق على هذا النمط كما أشرنا إليه وذلك للإشعار برجوع الكل إلى ما بدأ منه.

فصل في الإحرام والتلبية: أمّا الإحرام، فلما قد عرفت أن «الأعلام» إنّما وضعت على ضوء الياقوتة؛ فالحَرَمُ، باب الله، والأعلام بمنزلة الجدران، والمواقيت أُسكُفّة الباب حيث وقتها الشارع العالم من الله من لدنه بمقادير اتصالات المراتب والمقامات المحسوسة على

محاذاة المراتب العقلية بالنسبة إلى حرم الكبرياء. فالوافد إلى الله ينبغي له أوّل مرة، إذا أراد دخول الباب، أن يقف على الأُسكُفَّة، ويقيم على العتبة، فيستأذن من صاحب الباب: بأن يتأهَّب للدخول بالطهارة عن الأوساخ المكتسبة في دار البُعد والغرور، والنظافة عن الألواث الموجبة للطرد والحرمات عن دار السرور وبالتشبّه بمن جاور الحضرة وأقام نفسه بالخدمة بالموت عن كل شيء ورفض ما سوى المحبوب من كلّ ضوءٍ وفيء. فكذلك جرت السنة هناك بالغسل ولبس ثياب الإحرام الذي يشبه الأكفان فعن الصادق عليه السلام: الإحرام لعلّة التحريم، وتحريم الحرم لعلّة المسجد، وحرمة المسجد لعلّة الكعبة»[٢٥٩] والمراد بالتحريم حرمة الحرم أو إرادة دخول الحرم.

وأمّا التلبية، فإنّما هي إجابة لربّ الأرباب إذ نادى العباد حين الإحرام ففي الخبر: إنّ النّاس إذا أحرموا ناداهم الله: عبادي لأحرمنّكم على النّار فيقولون: «لبيك» لهذه الإجابة[٢٦٠]. يعني لمّا استأذنوا في الميقات بالغسل وثَوْبَي الإحرام واستعدّوا للوفود إلى الله في هذا المقام، أذن لهم بالنداء فينبغي لهم الإجابة بالتلبية والشكر على هذه النعمة. وعن الصادق عليه السلام: «موسى مرّ بصفائح الروّحا ـ موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلاً من المدينة ـ فقال: لبّيك كشّاف الكَرْبِ العظيم، لبَّيك؛ ومر عيسى بهذا الموضع فقال: لبَّيك، عبدُك وابن أمتك، لبّيك؛ ومرّ نبينا صلى الله عليه وآله بهذا الموضع وهو يقول: لبَّيك ذا المعارج، لبّيك»[٢٦١] أقول: وذلك لأنّه أجاب كل واحد من هؤلاء المرسلين من أولي العزم المكرمين بالنعمة العظيمة التي عنده من الله: أما موسى، فكشف الله كربته من الرجوع إلى أمّه، ثم إلى وطنه، ثم إهلاك فرعون وقومه وإنجاء بني إسرائيل من أيديهم، وخلوص الدين لله بعدما أهلك الله طوائف الظلم والعدوان

وأحزاب الشيطان لأجله؛ وأما عيسى، فالنعمة العظيمة التي عنده هو أن الله أنشأه من دون أب من طينة صدِّيقة اصطفاها الله لنفخ روحه فيها وأمّا نبينا صلى الله عليه وآله، فلا نعمة عنده أعظم من عروجه إلى الله الصمد، وصعوده إلى حيث لم يكن بينه وبين الله أحد.

وجه آخر للتلبية: إنها إجابة لدعوة أبيهم ابراهيم عليه السلام حيث نادى مَنْ في الأصلاب، فأجابه من أجاب. فهذه تذكرةٌ للإجابة السابقة وتجديد للعهود المتقدمة: قال الله تعالى لابراهيم: ﴿**وأذِّن في الناس بالحجِّ يأتُوكَ رِجالاً**﴾[٢٦٢] وعن الصادق عليه السلام[٢٦٣]: لما تمّ بناء البيت نادى إبراهيم في الناس، فأسمعَ من في الأصلاب وقال: «هَلُمَّ الحجّ» فلو نادى «هلمّوا» لم يحجّ إلاّ مَنْ كان يومئذ مخلوقاً، فلبّى الناس في أصلاب الرجال: لبيك داعي الله فمن لبّى مرة يحج مرةً ومن لبّى أكثر يحج بعدده. وفي رواية: أن إبراهيم قام في المقام أو على أبي قُبيس ووضع اصبَعَيْه في أُذُنَيْه فقال: «أيها الناس أجيبوا ربّكم» فأجابوه بالتّلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء[٢٦٤]. وفي رواية ثالثة: إنّ الحجر الذي في مقام إبراهيم فيه أثرُ قَدَمِه لأنّه حين أذّن في الناس، قام على هذا الحجر بأعلى صوته فلم يحتملهُ الحجرُ فغرقَتْ رِجلاه فيه[٢٦٥].

أقول: وها هنا فوائد:

الفائدة الأولى، أنّ الفرق بين «هَلُمَّ» و «هَلُمُّوا»، إنّ صيغة الجمع يختص بالمذكر فلا عموم له بالنظر إلى غيره بخلاف «هلمّ» فإنه لا اختصاص له بشيء فإنه قد يستعمل في غير المفرد فهو أنسب بأن يراد منه العموم بالنسبة إلى ما يصدق عليه الإنسان بالفعل أو بالقوة.

وأيضاً لما كان هذا الخطاب ليس لمعيّن فلا يليق الإتيان بصيغة الجمع المفهوم منه تعيين المخاطب؛ كذا قيلٍ[٢٦٦]. وفيه نظرٌ: لأنّ هذا

القائل يزعم أنّ المجيب هو الأرواح المخلوقة قبل الأبدان ولا ريب أنها موجودات متعينة يناسبها صيغة الجمع، على أن يناقض ذلك ما ورد في الخبر الثاني أنّ ابراهيم قال: أيها الناس أجيبوا بصيغة الجمع.

وعندي: أنّ الوجه في الخبر الأول أنّ استعمال «هَلُمَّ» لمجرّد الأمر وطلب الحضور مع تجريد من خصوصية المخاطب بالإفراد والجمعية والتذكير والتأنيث، والمعنى: ليَكُنْ إتيانٌ بالحج وليَصْدر قصدٌ إلى البيت ممن يتأتّى منه هذا القصد من أفراد البشر وهذا إنّما يصح في صيغة المفرد حيث لم يكن فيه علامة الزيادة لأجل التأنيث والتثنية والجمع بخلاف صيغة الجمع فإنّ الزيادة فيه مانعة عن ذلك كما لا يخفى على المتدرب في العلوم العربية.

والوجه في الخبر الثاني، أنّ النداء والطلب إنّما وقع أولاً بقوله «يا أيها الناس» أي الذين يصدق على كلّ منهم أنه إذا وُجِدَ كان إنساناً. فلما آتى بهذا الوجه لزم أن يعقّبه صيغة الجمع للأمر وذلك لا يضرّ بالمقصود إذ العموم إنّما استفيد من الأول دون الثاني ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يا أيُها النَاس إنَي رسولُ الله إليْكُمْ جميعاً﴾[٢٦٧] ولا ريب أن قوله «جميعاً» تأكيد والتأكيد إنما يصح يُفْهَمُ المقصود بدونه وهو ها هنا من عموم الناس.

الفائدة الثانية: قد قيل: أنّ هذه الإجابة وقعت من الأرواح التي من شأنها أن تقع في الأصلاب والأرحام لما قد ورد: «إنّ الله خلق الأرواح قبل الأجساد بألفي عام»[٢٦٨].

أقول: إنّما يصح ذلك على أحد معنيي الخبر وهو أن تكون القبلية لجملة هذا القبيل على جملة ذلك القبيل بأن يتقدّم كل الأرواح على مبدأ هذا النوع، وأما إذا تقدّم روح كلّ شخص بالنسبة إلى بدنه وهو المعنى الآخر للخبر وهو الأظهر فلا يصحّ كما لا يخفى.

وعندي أنّ هذا التقدم ليس بحسب الزمان بأن تتقدّم الأرواح ألفَيْ عام زمانيٍّ على خلق بدن آدم أو بدن كلّ شخص، إذ ليس لها من حيث نفسها وجودٌ في الزمان حتى يتقدر به، وأمّا من حيث كونها مع أبدانها فهي حادثة معها بالضرورة؛ بل تلك القبلية بحسب وجودها الدهري المقدَّس عن الزمان، لكن بحيث إذا قدّر بهذا الزمان، كان بهذا المقدار؛ إذ المراتب متحاذية حسب تحاذي الحقائق السافلة والعالية؛ فعلى هذا، لا يتخالف حكم المعنَيَين إذ لا تفاوت حينئذ بين أن نعتبر التقدم بالنسبة إلى مبدأ النوع وبين أن نعتبره بالقياس إلى الأبناء؛ لأنّ هذا التقدم لمّا كان متعالياً عن الزمان فالنسبة إلى كلّ الزمانيات ـ المتقدمة والمتأخرة ـ بحسب مراتبها سواسيّة. وهذا دقيق جداً غاية الدقّة، لا يعرفه إلاّ من له قدم صدق في المعرفة:

فاعلم، أنّ الإجابة ليست من الأرواح مجرّدة فحسب، بل مع ملابسة كلّ روح مع طينته الأصلية التي هي كالذرّ في صلب آدم حين تخمير طينة آدم الذي روحه بمنزلة جملة أرواح بنيه وكذا جسده بمنزلة جملة أجسادهم على ما هو طريقتنا: من أنّ النفس من حيث هي نفس لا تخلو عن مادة ما وإلاّ لم تكن نفساً وبالجملة لكلّ أحد طينة كالذرّة تعلقت بها نفسه عند تخمير طينة آدم عليه السلام بمعنى أنّ هذه النفوس تعيّنت نحواً من التعيّن في هذه المرتبة وتشعبت الذرّات في الأصلاب والأرحام وتفرّقت في الأراضي والأثمار والأنعام حيث مات الحامل لطائفة من الذرات قبل أن يبذرها في محال الأمّهات فانبثّت في أطراف الأرض فتحركت ثانية إلى أن انتهت إلى الإنسان وهكذا إلى ما شاء الله وإلى أن يرث الله الأرض ومرح عليها.

الفائدة الثالثة: قوله عليه السلام في الخبر الثاني: «فأجابوه بالتلبية في أصلاب الرجال وأرحام النساء» مُشعر بأن منيّ الأم له

دخل في تحمل الطينة، فربّما يكون هو الحامل بناءً على انبثاث الذرات في المحال المختلفة إلى أن حان ظهور المولود، فاتفق أن تحملها الأمّ لأسباب أوجبت ذلك مثل أن تأكل غذاء هو حاملها أو ينتقل من صلب أب الأم إلى الأم حيث لم يقدّر له أولاد ذكور إلى غير ذلك، وحينئذٍ يحتاج إلى منِّي الوالد لأجل العاقدية، وقد لا يحتاج كما وقع في مريم الصِّديقة؛ فالنفخ هنا لأجل ظهور الآثار النفسية وسيجيء لذلك زيادة بسط في الموضع اللايق إنشاء الله.

الفائدة الرابعة: قوله عليه السلام في الخبر الثالث: «فغرقَتْ رجلاه فيه» لعلّ ذلك إشارة إلى قبول الذريّة ـ التي أصل نشأتهم التراب ـ للإتيان إلى الحجّ وإجابتهم للدعوة إليه. وتأثُّرُ حصةٍ من الحجر، للإشارة إلى أن هذا القبول إنّما يتأتى من طائفة سبقتْ لهم من الله العنايةُ، وهكذا يقع الكلمات النافعة في النفوس الشريفة ومثل هذا يفعل المواعظ البالغة في القلوب القابلة وإن كانت في مرتبة الحجارة: **﴿وإنَّ مِنَ الحجارةِ لما يَتَفجَّرُ منهُ الأنْهارُ وإنَّ منها لما يشقَّقُ فيخرُجُ منهُ الماءُ وإنَّ منها لما يهبِطُ من خشْيَةِ الله﴾**(٢٦٩).

الفائدة الخامسة: القائل بأن المجيب هو الأرواح منع أولاً شرطيّة توسط الهواء المتكيِّف، وأسند بأنّ الملائكة السماوية مع كونها أجساماً يتكلّمون ويسمعون من دون توسّط الهواء ثم منع اشتراطه في إسماع الأرواح؛ وهو كما ترى.

وأقول: الحقّ في هذا المقام أنّ الكلام من أيّ موطن صدر، فإنه يسلك في الطريق الذي يشبه ذلك الموطنِ ويقع على المُدرِك الذي من جنس هذا الموطنِ وتفصيل ذلك: أنّ الكلام إذا صدر من اللِّسان فإنه لا يتجاوز السمع الذي هو من جنس مُدرِك اللسان، وحينئذٍ يشترط توسط هذا الهواء المحسوس الذي من جنسهما؛ وإذا صدر من الخيال

واكتسى لباس اللفظ فإنه يرد بعدما يقرع السمع في مدرك الخيال فيتوسط هناك أولاً الهواء المحسوس للإدراك السمعي ثم الهواء الذي من جنس الأرواح البخارية في فضاء الدماغ للإدراك الخيالي؛ وإذا صدر من القلب متلبساً بلباس اللفظ، فإنه يسلك هذين الفضائين الحسيّيَيْن أولاً ثمّ يسير في الهواء الذي يُحار فيه القلوب من حيث يبتدي في السير من تخوم أرض الدماغ إلى حيث ينتهي إلى فضاء العقل، حسبما يأخذ النفس من هذه القوى الدماغية بالتقشير من هذا الطريق وإن لم يكن متلبّساً بالتلفظ فقد يتوسط في إسماعه، هواءُ واحد، ومنه: «إنّ روح القدس نفثتْ في روعي» ويسمّى بـ «القذف في القلب» وقد يتوسط هواءان ويسمى بـ «النقّر في الأسماع».

وأما الكلام السريّ العقلي فله طرق: فإن كان مع اللفظ فيتوسط حينئذٍ الأهوية الثلاثة مع توسط الهواء العقلي حيث لا حسّ ولا محسوس، وإن لم يكن مع اللفظ فقد يتوسط الثلاثة التي دون الهواء الحسي، وقد يتوسط إثنان وقد يكون واحداً وذلك إذا لم يكن بين المتخاطبَيْن أحد، وقد يكون فوق ذلك حيث يكون القائل والسامع واحداً، وأنت إذا تأملت بعين الاستبصار في أخبار النبوات، وجدت لما حقَّقنا ايماضات وإشارات وناهيك هذه الوميضة ها هنا.

ثم اعلم أنّ نداء إبراهيم لا محالة إنّما كان بلسانه العقلي حيث كان ذلك بإذن الله وأمره سبحانه فإمّا مع مصاحبة اللفظ أو بدونها.

فعلى الأول، يكون من قبيل إسماع الملائكة صيحتهم لأهل الأرض كما وقع لقوم صالح وغيرهم، فيكون المخاطبون يسمعون بأذان آبائهم الموجودين ويكون وصول الصوت من قبيل ما وقع من مولانا علي عليه السلام حيث ضرب برجله معاوية بالشام.

وعلى الثاني، فإمّا من قبيل الوقر في الأسماع حيث يكون

المخاطبون في أصلاب الآباء، وإما من قبيل القذف في القلوب حيث يكونون ممن وقع على قلوبهم الكامنة في الأصلاب، وإما بعقولهم حيث يسمعون بعقولهم المندمجة في عقل أبيهم إبراهيم عليه السلام. وهذا أيضاً هي اتحاد العقل والعاقل والمعقول وذلك لأنّه عليه السلام كان أباً لجميع المسلمين؛ فتبصّرْ.

ثم اعلم، أنّ هذا الذي قلنا يعرفه من يعرف أنّ للنطفة نصيباً من جميع قوى الآباء، وأنّ الأولاد هي تفاصيل الآباء، وأنّ الولد سرّ أبيه مما يشعر إلى هذا المرام؛ والحمد لله المفضل المِنْعام.

فصل: نذكر فيه أسرار المناسك على الترتيب، حسبما ورد في الخبر مع توضيح في خلال ما ذكر:

«لما جاء جبرئيل آدم (ع) للتوبة بأمر الله» أي لأن يرجع إلى الله من جناية التوجه إلى غيره، وتوقُّع الخير من شيء من دون إذنه، وطلب ما ليس تحمُّله في وسعه، مما يوجب حصوله التبرز إلى موطن أسفل مما كان فيه، حتى يظهر في ذلك الموطن آثار الشيء المطلوب كالعلم مثلاً مطابقاً لما ورد من أن الشجرة المنهية هو علم آل محمد صلى الله عليه وآله، إذ لا ريب أنّ الجواهر العقلية يستدعي ظهور معلوماتها وشهود الآثار المترتبة عليها حسب مراتبها في عالم الشهادة. وإذا حصلت للعالم بأن يصير جزءاً من ذاته، كما يصير الغذاء جزءاً للمغتذي على ما هو الحق عندنا، يصير هذا العالِمُ الذي هو الآكل كالحامل لها، وهي تقتضي الظهور - كما قلنا - وذلك يتوقّف على أن يتنزّل العالم معها حسب تنزلّها في مواطن ظهوراتها. ولأجل هذا الأكل وذلك الظهور، أُمِر آدم عليه السلام بالهبوط إلى دار الغرور ليُظهر الجواهر العلمية التي أكَلَها ويُبرز الحقائق النورية التي تضمنها. ولمّا هبط من جنان

القرب إلى مسكن البعد بكى من مفارقة هذا العالم النوري والموطن الأصلي، فنزل جبرئيل الذي هو مغيثُ النفوس ومربيها وحامل رسالات الله إلى أربابها ليرشده طريق الإنابة ويوصله إلى ما كان فيه من الجنة والنعمة. ولما كان هذا العالم السفلي آثارَ الحقائق النورية وأصنامَ الأشباح العقلية ولا يمكن الوصول إلى الأصول إلاّ بالتمسك بالفروع، «فانطلق به» أي جبرئيل بآدم عليه السلام «حتى أتى البيت» إذ التقرب إلى الله والتوجه إلى وجهه، إنما هو بالتطواف حول حريمه واللّياذ إلى فناء داره.

وحرَمُ الله في كل عالم من العوالم يجب أن يكون من جنس ذلك العالم، لكن بحيث يضاهي بل يحاكي ما في المرتبة السابقة، فإنّ الظاهر عنوان الباطن وبيتُ الله تعالى في العالم العنصري لضرورة الأرضية، هي الكعبة. وهذا الإتيانُ في مقام السلوك، يحاذي التصوّر في مقام المعرفة لأنّ الشيء ما لم يتصوَّر - وإن كان بوجه ما - لم يمكن التوجّه والحركة إليه، ويضاهي أيضاً السير من الله إلى الله في مقام التحقق. «فنزل غمامةٌ أظلَّتْهم» هذه الغمامة مما يحاذي الضرّاح والبيت المعمور والعرش وهي غمامة الرحمة وعلامةُ قبول التوبة بأنه سينزل من سماء القدس غيثاً مغيثاً لإنشاء النشأة الآخرة وإنبات حقيقة الإنسان من أرض القابلية. «فأمره جبرئيل بأن يخطّ برجله حيث أظلّت الغمامة» فانطبعت صورة بيت الله العقلي في العالم الأرضي والخطّ بالرِّجل لأجل وقوعه في العالم السفلي «فخطّ مكان البيت» على المحاذاة التي يقتضيها الظِّلية والصنمية، بحيث لم يشذ من العالم النوري شيء إلاّ وقد صوّره أحسن صورة «وخطّ الحرم بعده» حيث وصل نور الياقوتة التي سبق بيانها غير مرّة إشارة إلى وصول فيض الإنسان إلى سائر الأكوان وأنها استنارت بنور هذا الشأن، ولأجل

هذا الخط الأولى الذي بمنزلة العلم التصوري جرت السنّة بأن يأتي المُحرِمِ أول مرة إلى البيت ويطوف به ثم يأتي المناسك إلى أن يعود إلى البيت أخيراً. «ثم انطلق به حتى أتى منى» وهي أول المناسك لأنّ كلّ حركة مسبوقة بشوق طبيعي أو إرادي يتسبّب عن تمني الوصول إلى المقصد، ولا ريب أن رؤية آثار الإجابة من تظليل الغمامة وتعيين موضع البيت من الكعبة والأمر بالتطواف حول حريم العظمة يوجب تمنّي القربة والزلفة «فأراه موضع مسجد منى» دون أن يأمره بالعمل بما يوجب حصول المتمنّي، لأن أول ما يظهر في القلب الذي هو بيت الله في طريق السلوك إليه هو التمني ثم يظهر ثانياً في الأسباب والأعمال الموصلة إليه. «ثم أتيا العرفات» هذا شروع في العلم وهو أوّل خطوة من خطوات السلوك لأنّ التوجه إلى السبيل لا يتأتّى إلاّ بالهرب عن المكان الذي هو فيه وإلاّ لم تتحقق الحركة. فالاعتراف بالذنب ـ الذي يلزم العبودية بل نفسها ـ أوّلُ المقامات الموجبة للتوجّه إلى الله والهرب عمّا كان صدر عنه من الخطأ المُقتضي للبُعدِ عن الله واختيار الهبوط إلى أرض الغربة لرفع القاذور وتحصيل الطهارة عمّا كان فيه من ألواث دار الغرور. فأقامه على العرف بأن عرّفه ذلك المقام على التحقيق «وقال له إذا غربت الشمس اعترف بذنبك» لاحتجاب نور شمس الحقيقة عنك بارتكاب المعصية واستتارك بظلمة الذنوب الموبِقة. فوقتك وقت المغرب حيث أحاطتْ بك ظلمةُ الذنوب وأشرقتْ شمسك على الغروب، فاعترف بذنبك واقرًّ بأنّك لا تبعد عن مولاك إلاّ بحسبانك أنك أنت. «ثم أفاض من عرفات» بأن تنزَّل عن رؤية وجوده الذي لا يقاس به ذنب «فمرّ على الجبال السبعة» وهي أصول الحجب السبعة النورية والمقامات النفسية بين العبد والربّ بعدما تخلّص من مقام القلب ومرتبة الطبع. «فأمرَه بالتّكبير على كل جبل أربع تكبيرات»

أي بأن يحكم بفنائها واستهلاكها من حدودها الأربعة فارتفعت الحجب عن نظره وانكشف وجه الرب من وراء أستار غيبه. «ثم انتهى إلى جمع» بعدما كان في مقام الفرق. «فجمع بين الصلاتين»: صلاتي المغرب والعشاء وذلك «في المزدلفة» ولذا سمّي بها وبالجمع، لتوقّع القرب والتحقق بمقام الجمع. وقد عرفت في كتاب أسرار الصلاة أنّ هاتين الصلاتين لترقب طلوع شمس الحقيقة من مشرق القرب والوصلة. «ثم أمره أن ينبطح» أي يقع على وجهه في بطحاء وهي الفضاء الذي في المشعر توقّعاً لشروق النور وترقّباً للحضور، فانبطح حتى انفجر الصُّبحُ عن سُبُحات وجه الحقيقة في ظلمة عالم الطبيعة. «ثم أمره بصعود الجبل، جبل جمع» ليتحقّق به مقام الجمع على الكمال والتمام ويستولي على حقائق هذا المقام «وبالاعتراف بالذنب حين طلوع الشمس سبع مرات» عدد الحجب لأنّ طلوع شمس الحقيقة لا يُبْقي أثراً ولا رسماً للوجودات التي هي الذنوب الموبقة «ويسأل الله التوبة سبعاً» بأن يسأل توجُّه الرب إليه بقبول التوبة عدد الاعتراف ويقرب إليه في كلّ مرة على تجلٍ خاص حتى يرى العبدُ أنَّ المتجلي والمتجلّى له والمتجلّى فيه، أمر واحد فيصعد إليه في كل مسألة درجة من القرب لا يضاهي السابق «وإنّما جُعِلَ اعترافين لأنّ من لم يدرك عرفات وأدرك جمع فقد وفى بحجه» إذ الحجُّ هو القصد إلى الله بشرط التبري عن جميع ما سواه، فإذا وافى القصدُ مع أحد الاعترافين فقد تحقق القصد وذلك في تسهيل الله الأمر على عباده ومن فضل الله على ضعفاء بريته «فأفاض آدم من جمع إلى منى» فوصل إلى مناه واتصل إلى مولاه «فأمر بصلاة ركعتين» لأنّ «الصلاة قربان كل تقي»(٢٧٠) وقد سبق أنها هي التوحيدات الثلاثة «وأن يقرّب إلى الله قرباناً» مشعراً بذبح بُدْنَة عقله أو بقرة نفسه أو شاة قلبه، لكلّ أحدٍ ما يصل إليه

وسعه ويستحضر مقامه. «ولا يكلف الله نفساً إلا وسعَها»[٢٧١]، «وأن لَيْسَ للإنسان إلا ما سعى»[٢٧٢] «وأن يحلق رأسه» من أذى الأنانية ووسخ الكبر «تواضعاً لله» واستهلاكاً لديه، إذْ قُبِلَ قربانُه بأنْ أعطاه لباسَ البقاء في كل مرتبة يحصل عنها الفناء. وقال النبي صلى الله عليه وآله: أنه «يغفر لصاحب الأضحية عند أوّل قطرة من دمها»[٢٧٣] وقال: «استَفْرِهُوا ضحاياكم فإنّها مطاياكم على الصِّراط»[٢٧٤]. «ثم انطلق به إلى البيت» حين ما غُفِر على ذنوبه باستهلاك الكلّ في نظرة وسُتِرَ على جميع جرائمه بِخلعَة البقاء بعد الفناء ورجع هو إلى الله واستحقّ دخول بيت الله والبقاء ببقاء الله، «فعرض له إبليس عند الجَمْرة الثالثة» لأجل أن مرتبة قرب الله والوصول إلى حرم كبريائه، منتهى المراتب التي يمكن أن يتسلّط ابليسُ على السالك بأن يستشعر بهذا الفناء ويبتهج بالبقاء ببقاء الله، فيفوته قرب الكبرياء ولا يخلص سيرُه إلى الله مع الله؛ فوقع لآدم عليه السلام هذا الشعور فعلّمه جبرئيل مغيثُ النفوس بأنّ هذه المرتبة لا تخلص من شوب مغايرة، ولا تخلو من توهُّم منافرة؛ بل ينبغي أن يفنى السالك عن هذا الفناء بأن لا يستشعر بذلك الفناء، «فقال له ارمه بسبع حصيات وكبِّرْ مع كلّ حصاة» للحكم بالفناء على الكل فناءً خالصاً عن شوب الشعور. به وسرّ العدد كون أصول الحجب التي هي الخَلْقُ سبعاً، «فذهب ابليس ثم فعل به في اليوم الثالث والرابع» لتأكُّد هذا الحكم والتحقّق بذلك المقام، «ثم انطلق به إلى البيت فأمره أن يطوف بالبيت سبع مرات» هذه هي مرتبة السير مع الله إلى الخلق والتلبُّس بمقامات الحجب السبعة، وعندها تتحقق النكاحات الخمسة إذ الازدواجات بين السبعة المترتبة خمسة، فقبل الله توبته بالوصول إلى نقطة القرب والطّوف حول حريم القطب المستلزم للإحاطة على جميع الدوائر العقلية والحسية، فصار

كأنّه المتصرّف في العوالم العلوية والسفلية وحلّت زوجته واستباحت النكاحات الواقعة بين الحقائق الأصول المبتدئة من مبدأ المبادي إلى أفق العالم الكوني لاستنتاج الفروع المقصودة في النظام الكليّ؛ والله أعلم وأحكم.

فصل: عن مولانا ومولى الثقلين أمير المؤمنين وإمام المتقين صلوات الله عليه، أنه سُئِل عن الوقوف في الجبل لِمَ لم يكن في الحرم؟ قال: «لأنّ الكعبة بيتُه، والحرم بابه، فلمّا قصدوه وافدين وقفهم بالباب يتضرّعون» قيل: فالمشعر الحرام لِمَ صار في الحرم؟ قال: «لأنّه لمّا أذن لهم بالدخول وقفهم بالحجاب الثاني فلمّا طال تضرّعهم بها أذن لهم بتقريب قربانهم فلمّا قضوا تفثهم، تطهّروا بها من الذنوب التي كانت حجاباً بينهما وبينه أذن لهم بالزيارة على الطهارة» فقيل له: لِمَ حرّم الصيام أيام التشريق؟ قال: «لأنّ القوم زوار الله وهم في ضيافته ولا يجمل لمضيف أن يصوم أضيافه» قيل له: فالتعلُّق بأستار الكعبة لأيّ معنىً هو؟ قال: «مَثَلُه مثَلُ رجل له عند آخر جناية وذنب فهو يتعلّق بثوبه ويتضرّع إليه ويخضع له أن يتجافى عن ذنبه»(٢٧٥).

أقول المراد بـ «الجبل» جبل عرفات وهو خارج الحرم وأما المشعر الحرام فهو المزدلفة وهي مقام القرب فيجب أن يكون في الحرم، وقد سبق ما ينبغي أن يكون شرحاً لهذا الخبر وفي رواية: «الكعبة بيت الله، والمشعر بابه، فلمّا قصده الزائرون، وقفهم بالباب حتى أذن لهم بالدخول، ثم وقفهم في الحجاب الثاني، وهو مزدلفة، فلّما نظر إلى طول تضرّعهم أمر بتقريب قُربانهم»(٢٧٦) ليغفر لهم عند أول قطرة من دمها وذلك بأن يُغْنِيَهم عن أنفسهم وعن كلّ شيء ويوصلهم إلى جواره الذي ليس فوقه مطمح لضوء وفيء. والحمد لله على فضله.

المنهج الثالث: في التحقق بحقائق المقامات: قال الإمام الصادق عليه السلام في مصباح الشريعة[٢٧٧]: إذا أردت الحج فجرِّدْ قلبَك لله من قبل عزمك عن كلّ شاغل وحجاب حاجبٍ وفوِّض أمورك كلّها إلى خالقك وتوكَّلْ عليه في جميع ما يظهر من حركاتك وسكونك وسلِّمْ لقضائه وحكمه وقدره وودِّعْ الدنيا والراحةَ والخلق واخرُجْ من حقوق تلزمك من جهة المخلوقين، ولا تعتمد على زادك وراحلتك وأصحابك وقوتك وشبابك ومالك مخافة أن يصير ذلك عدواً ووبالاً فإنّ من ادّعى رضا الله واعتمد على شيء سواه صيّره عليه عدوّاً ووبالاً ليعلم أنه ليس له قوة ولا حيلة ولا لأحد إلاّ بعصمة الله وتوفيقه واستعدَّ استعدادَ من لا يرجو الرجوع وأحسنِ الصحبة وراعِ أوقات فرائض الله وسنن نبيه صلى الله عليه وآله وما يجب عليك من الأدب والاحتمال والصبر والشكر والشفقة والسخاء وإيثار الزاد على دوام الأوقات ثم اغسل بماء التوبة الخالصة ذنوبك وألبَسْ الصدق والصفاء والخشوع واحرِمْ عن كل شيء يمنعك عن ذكر الله ويحجبك عن طاعته. و «لبِّ» بمعنى إجابة صافية خالصة زاكية لله عز وجلّ في دعوتك له مستمسكاً بعروته الوثقى وطفْ بقلبك مع الملائكة حول العرش كطوافك مع المسلمين بنفسك حول البيت وهَروِلْ هرباً من هواك وتبرّياً من جمع حولك وقوتك واخرج عن غفلتك وزلاّتك بخروجك إلى منى ولا تتمنّ ما لا يحل لك ولا تستحقه واعترفْ بالخطايا بعرفات وجدِّدْ عهدك بوحدانيته وتقرَّبْ إلى الله واتّقه بمزدلفة واصعَدْ بروحك إلى الملأ الأعلى بصعودك إلى الجبل واذبَحْ ضَجَرِ الهوى والطمع عنك عند الذبيحة وارْمِ الشهوات والخساسة والدناء والذميمة عند رمي الجمار واحلقْ العيوب الظاهرة والباطنة بحلق شعرك وادخلْ في أمان الله وكنفه وستره وكلائه من متابعة مرادك بدخولك الحرم وزُرْ البيتَ

متحققاً لتعظيم صاحبه ومعرفة بجلاله وسلطانه واستلِمْ الحجرَ رِضىً بقسمته وخضوعاً لعزته وودِّعْ ما سواه بطواف الوداع وصَفِّ روحك للقاء الله يوم تلقاه بوقوفك على الصفا وكُنْ ذا مُروءةٍ في الله نقياً عند المروة واستقِمْ على شرط حجّك هذا ووفاءِ عهدك الذي عاهدت به مع ربك وأوجبته إلى يوم القيامة واعلمْ بأنّ الله لم يفترض الحجّ ولم يخصَّه من جميع الطاعات بالإضافة إلى نفسه بقوله عز وجل: «ولله على الناس حِجُّ البَيْتِ من استطاعَ إليه سبيلاً»(٢٧٨) ولا شرع لنبيّه سُنّةً في خلال المناسك على ترتيب ما شرَعَهُ، إلا للاستعداد وإشارة الموت والقبر والبعث والقيامة وفضل بيان السابقة من الدخول في الجنّة أهلها ودخول النار أهلها بشاهدِ مناسك الحج من أولها إلى آخرها لأولي الألباب وأولي النهى(٢٧٩).

كتاب أسرار الجهاد

كتاب أسرار الجهاد

اعلم، أنّ الجهادَ جهادان: جهادٌ في الظاهر وجهادٌ في الباطن وقد وقع النصّ بذلك في القرآن الكريم منها ما أشير إلى الأعم وذلك في مواضع كثيرة كما لا يخفى على أهل البصيرة ومنها ما أشير إلى الأول منهما وذلك أيضاً كثير كالأول قال تعالى: **﴿وقاتِلُوا المشركِينَ كافةً﴾**(٢٨٠) وإلى الثاني غير مرّة قال عزّ من قائل: **﴿والذينَ جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنا﴾**(٢٨١) وعن النبي صلى الله عليه وآله حين الرجوع من بعض الغزوات: «رجَعْنا من الجهاد الأصغر بقي لنا الجهاد الأكبر» قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر؟ قال: «مجاهدة النفس»(٢٨٢) وعنه صلى الله عليه وآله: «أعدى عدوّك نفسك التي بين جنبيك». ثم، إنّ الله سبحانه شرّع الجهاد الأصغر لإعزاز دينه، وإعلاء كلمته، وشمول رحمته من يشاء من عباده، وليُحق الحق ويبطل الباطل(٢٨٣)، ويتمّ نوره ولو كره الكافرون(٢٨٤). وأوجب الجهاد الأكبر ليَصْفُوَ الأرواح العالية المحبوسة في أرض الغربة عن شائبة الألواث المادية ويَنْجُوَ النفوس الشريفة . التي اطمأنّتْ في المساكن الهيولانية وانغمستْ بأحكامها وانطبعتْ بها ورضيتْ بالدّون القليل من الدنيا ولتَتَخَلَّصَ العقولُ العالية من هذا المضيق إلى فسحة عالمها الأقصى ووسعة أفقها الأعلى ولا يتيسر ذلك إلا بالتجافي عن دار الغرور ولذّاتها وشهواتها من النساء والبنين والقناطير المُقَنْطَرَةِ من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة

والأنعام(٢٨٥)، وبالإنابة والاستعداد لدار الخلود والسرور، والتهيؤ لِسُكْنى عالم الصفاء والنور. رزقنا الله وإياكم ذلك بفضله ومنّه إنه على ذلك لقدير، وبالإجابة جدير.

ثم إنّ أحكام الجهاد في الظاهر، مما قد فرغ عنه في كتب الفقه فلا كثير فايدة هنا في ذكرها.

وأما الجهاد في الباطن، فقد ورد عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام في مصباح الشريعة(٢٨٦) ما قد استوفى جميع أحكامه ونحن نكتفي هنا بذكره مع ما يسر الله لنا من بيانه:

قال عليه السلام: «طوبى لعبد، جاهد لله نفسه وهواه. ومن هزم جند نفسه هواهُ ظفر برضا الله. ومَنْ جاوَزَ عقلُه نفسَه الأمّارة بالسُّوء وبالجهد والاستكانة والخضوع على بساط خدمة الله فقد فاز فوزاً عظيماً. ولا حجاب أعظم وأوحشُ بين العبد وبين الله من النفس والهوى وليس لقتلهما وقطعهما سلاحٌ وآلةٌ مثل الافتقار إلى الله والخشوع والجوع والظمأ بالنهار والسهر باللّيل: فإنْ مات صاحبُه مات شهيداً وإنْ عاش واستقام أدّى عاقبته إلى الرِّضوان الأكبر قال الله عز وجل: ﴿**والَّذين جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا وإنَّ الله لَمَعَ المُحْسِنِين**﴾(٢٨٧) وإذا رأيتَ مجتهداً أبلغَ في جهاده فوبِّخْ نفسك ولُمْها وعيِّرْها تحثيثاً على الإزدياد عليه؛ واجْعَلْ لها زِماماً من الأمر وعناناً من النَّهي وسقْها كالرائض الفاره الذي لا يذهب عليه من خُطُواتها إلاّ وصحَّ أوّلُها وآخرها. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يصلّي حتى تتورم قدماه ويقول: أفلا أكون عبداً شكوراً. أراد أن تعتبر به أمّته فلا تغفلوا عن الاجتهاد والتعبُّد والرياضة بحالٍ. وإنّك لو وجدت حلاوةَ عبادة الله ورأيت بركاتها واستضأت بنورها. لم تصبرْ عنها ساعةً واحدة ولو قُطِعْتَ إرباً إرباً؛ فما أعرض منْ أعرض عنها، إلاّ بحرمان

فوائد السلف من العصمة والتوفيق. قيل[٢٨٨] لربيع بن خُثَيْم: مالَكَ لا تنام باللّيل؟ قال لأنّي أخاف البيات.

بيان: إعلم أيها السالك إلى الله بقدم المجاهدة والعرفان، أنه قد تضافرت أخبار عن النبي والأئمة الأبرار صلوات الله عليهم على ذكر أن الحجب التي وقعت في طريق سلوك العبد إلى الله ذي المعارج، سبعةٌ، ينبغي للمجاهد في سبيل الله من خرق تلك الحجب وقطعها وهذه هي أمَّهات الحجب وإلا فقد ورد: أنها سبعون وأنها سبعمائة إلى سبعين ألف. وإلى تلك الأصول أشار بعض أهل المعرفة[٢٨٩] بأن السالك إلى الله عز وجل في ارتياضه واجتهاده يمرّ على سبعة ستور، وعن الوصول إلى واحد منها يحسب أنّ ذلك منتهى سلوكه وصعوده، فيُشيره قائد التوفيق إلى مرتبة فوق ذلك وهكذا إلى أن يتدرج فوق الكل. ولعلّ ما حكى العارف الرومي قدّس سرّه من أمر الشيخ الدقوقي ورؤيته ثمانية أشجار ثم صيرورتها واحدة ثم صيرورتها ثمانية رجال ثم صار واحد إماماً يقتدى به في صلاته على ما فصل ذلك في منظومة المثنوي، إشارةٌ إلى ما ذكرنا وأنّ السبعة منها إشارة إلى تلك الحجُب، والواحدة إلى النفس التي هذه الحجب مراتب تنزّلاتها ودركات معاصيها وقال بعض سادة أرباب العرفان أنّ قوله سبحانه: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنا فوقَكُمْ سبْعَ طرائقَ وما كُنّا عنِ الخلْقِ غافلين**﴾[٢٩٠] إشارة إلى تلك المراتب». انتهى.

أقول: لا عجب في أن يعبَّرَ عنها بالسماوات، حيث نزلت النفس من سماء إطلاقها وعرش مرتبتها، مارةً عليها إلى أن انطبعتْ في أرض المادة وتلبَّسَتْ بالغواشي الهيولانية أو لأنها صارت في تلبّسها بواحدة من هذه المراتب السبعة الأنفسيّة، صارت مبدأ لجرم سماوي من

السبعة الآفاقية على حسب مناسبة تلك المرتبة لجوهر هذه السماء وبذلك حاذت الحجب النفسية تلك الأجرام السماوية أو لأن بين هذه الحجب وتلك الجواهر مناسبة لا يعلمها إلا الله والراسخون بحيث يكون السالك إلى الله في مجاهدته كلما خرق واحداً من الحجب النفسية، يصعد إلى سماء يناسب ذلك الحجاب إلى أن انتهى إلى ما شاء الله.

ولنُفصِّل القولَ في بيان الحجُب وتعدادها، ليكون بصيرة لمن سلكها فنقول:

من المستبين مقرّه أنّ النفس العقلية النورية لما صدرت من مُبدعها التامّ وقعتْ رؤيتها أول مرة على نفسها، فحسبت أنّها على شيء لأجل ما رأت في نفسها من جلائل النِّعم التي أودع فيها خالقُها من أحكام الأسماء وأنوارها ومن التي أعطاها البارىء القيوم من الأعوان والقوى لمعارضة الجهل وعساكرها على ما ورد في الخبر المروي لتفصيل جنود العقل والجهل على ما في الكافي(٢٩١) وهذه هي المرتبة الأولى من الحجب.

ثم لمّا نظرتْ في نفسها وعلمت أنها ذات مجملة لتفاصيل حقائق العالم، تسبّبت منها تلك التفاصيل على الترتيب السببي والمسبّبي حسب ما فُصِّلَ في محلّه، فصارت روحاً مدبّراً للكل إلى أن صارتْ منطبعة في المادّة متصوّرة بأحكامها فصارتْ قلباً وهاتان المرتبتان مع السابقة هي ثلاثة حجب؛

ثم توجّهت إلى تدبير العالم والسياسات الموجبة لاتساقه وانتظام مصالحه من تشريع الشرائع والأديان وتأسيس السنن والأحكام المناسبة لكل زمان بإذن بارئها الرحمن وهذه هي المرتبة الرابعة؛

ثم رأتْ نفسَها عاملة على ما اقتضته المصلحة متأدّبةً بالآداب

المحمودة وهذه هي المرتبة الخامسة:

فَرَكَنَتْ إلى هذا العالم كلَّ الركون واطمأنَّت كلّ الاطمئنان وهذه هي المرتبة السادسة: فازدادتْ من الله بعداً لأجل تلبُّسها بأحكام الطبع والعادة وذلك حيث رأت نفسها شيئاً بل سلطاناً مدبّراً بل متفرّداً بالتدبير ولذلك يُرى بعضُ الناس قد ادَّعَوا الألوهية والرسالة وأقل ذلك أنّك لا ترى نفساً إلا ويريد التسلُّط ولو على واحد من الناس ولذلك احتجبت بالسبع عن الوصول إلى خالقها وازدادت بعداً من المواطن النورية التي كانت فيها.

تَبْصِرَة: فالعبد السالك إلى الله بقدم المجاهدة العرفانية، والمجاهد في سلوك سبيله بقطع المسافة المعنوية يجب عليه أن يصعد هذه العقبات المترتبة ويخرق تلك الحجب الواقعة في الواسطة: بأن يبتدىء بسيره إلى الله من منتهى دركات النفس إلى أن ينتهي إلى ما ابتدأت من درجات هذه الشمس:

فأول ما يصنع في السلوك أن يخلع عن نفسه خلافة أمراء الطبع وأحكام حكّام الطبيعة ويحترز عن تقلّد رسوم العرف والعادة ويتجافى عن تقليد آثار السلف الدنياويين ويحترز عن اتباع شهوات القوى الشهوية والغضبية على اليقين؛ فعن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام: «أغلق أبواب جوارحك عما يرجع ضرره إلى قلبك ويذهب بوجاهتك عند الله وتعقب الحسرة والندامة يوم القيامة»(٢٩٢) . الخبر، فالحجاب الأول هو الطبع وآثاره؛

وثانياً، ينبغي له أن يقلع عن نفسه حبّ هذه الدنيا المتزيّنة بالغرور، المتحببة إلى أهلها بالكذب والزور فإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «حبّ الدنيا رأس كلّ خطيئة»(٢٩٣) ولا يجمع هواها مع رضا الله

سبحانه وعن الصادق عليه السلام[٢٩٤]: «الدنيا بمنزلة صورة رأسها الكبر وعَيْنها الحرصُ، وأُذُنها الطمع، ولسانها الرياء، ويدُها الشهوة، ورِجلُها العُجْبُ، وقلبُها الغفلة، وكونها الفناء، وحاصلها الزوال، فمن أحبَّها أورثَتْهُ الكبر ومنِ استحسنها أورثته الحرص ومن طلبها أورثته الطمع، ومن مَدحَها ألبَسَتْهُ الرياء ومن أرادها مكَّنَتْهُ من العَجَبِ ومن اطمأنَّ إليها أورثته الغفلة ومن أعجبه متاعُها افتتنته ولا يبقى، ومن جمعها وبخل بها ردَّته إلى مستقرها، وهي النار»؛ فالحجاب الثاني هي الدنيا. وليعلم أن هذيْن الحجابيْن من مراتب النفس الأمّارة ثم بعد ذلك يظهر للسالك مقامات القلب؛

وثالثاً، يجب أن لا يرى عمله شيئاً بالنظر إلى ما أنعم الله عليه من النعماء بالقياس إلى ما يليق بجناب الكبرياء إذ المخلصون على خطر فضلاً عن غيرهم من البشر. وعن الصادق عليه السلام[٢٩٥]: «الإخلاص يجمع حواصل الأعمال وهو معنى مفتاحه القبول، وتوقيعه الرضا، فمن تقبّل الله منه، ورضى عنه، فهو المخلص وإن قلّ عمله، ومَنْ لا يُتَقَبَّلُ منه فليس بمخلص وإن كثر عمله، اعتباراً بآدم عليه السلام وإبليس. وعلامة القبول وجود الاستقامة ببذل كلّ المحابّ مع إصابة كل حركة وسكون. والمخلص ذائب روحه وباذلٌ مهجته في تقويم ما به العلم والعامل والمعمول بالعمل، لأنّه إذا أدرك ذلك فقد أدرك الكل وإذا فاته ذلك، فاته الكل وهو تصفية معاني التنزيه في التوحيد كما قال الأول[٢٩٦]: هلك العاملون إلاّ العابدون، وهلك العابدون إلاّ العالمون، وهلك العالمون إلاّ الصادقون، وهلك الصادقون إلاّ المخلصون، وهلك المخلصون إلا المتقون، وهلك المتقون إلا الموقنون، وإنّ الموقنين لعلى خطر. قال الله تعالى لنبيّه: ﴿**واعبُدْ ربَّك حتى يأتيكَ اليقين**﴾[٢٩٧] وأدنى الإخلاص بذل العبد طاقته؛ ثم لا يجعل لعمله عند

الله قدراً، فيوجب به على ربّه مكافأة بعمله؛ لأنه لو طالبه بوفاء حقّ العبودية لعجز. وأدنى مقام المخلص في الدنيا، السلامة من جميع الآثام وفي الآخرة، النجاة من النار والفوزُ بالجنة». انتهى الخبر. فالحجاب الثالث هو العمل.

ورابعاً، ينبغي أن لا يتفاوت عنده المدح والذمّ من الأعداء والأحباب بل يحثو على وجوه المداحين التراب[٢٩٨] وأن لا يتأسف على المفقود[٢٩٩] ولا يفرح بالموجود ويكون في ذلك متأسّياً بسيّد الأولياء وأشرف الوصيين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام حيث قال: «ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[٣٠٠] وهذا هو الزهد الحقيقي وعن الصادق عليه السلام: «الزهد مفتاح باب الآخرة والبراءة من النار وهو تركُك كلّ شيء يشغلك عن الله من غير تأسّف على فوتها ولا إعجاب في تركها ولا انتظار فرج منها ولا طلب محمدة عليها ولا عوض لها»[٣٠١] فالحجاب الرابع هو الرغبة إلى الجنة والخوف من النار. وليعلَمَ، أنّ هاتين المرتبتين من مقامات القلب هي مراتب النفس اللوامة. وبعد سلوك هذه العقبات يضع قدمه على القلب ويصعد إلى مقام الروح؛

وخامساً؛ ينبغي أن يجتهد كلّ الاجتهاد ويسعى كلّ السعي في ذوبان قلبه، وبذْل مهجته ورفض التدبير، والرضا بقضاء الملك القدير؛ بل يبذل مجهوده في تضييع النفس وإهلاكها وارتياضها بالجوع والظمأ في النهار والسهر بالليل في ميدان الشوق، حيث يقرب من أفق عالم الروح وعن الصادق عليه السلام: «المشتاق لا يشتهي طعاماً ولا شراباً ولا يأوي عمراناً»[٣٠٢] وعنه عليه السلام في بيان أن السلامة في العزلة أو الصمت، قال عليه السلام: «فإن لم يجد السبيل فالإنقلاب من بلد إلى بلد وطرحُ النفس في براري التلف بسر صافٍ وقلب خاشع

وبدن صابر»[٣٠٣] . الخبر: بل يجتهد في إتلاف نفسه وإهلاكها ويجعلها هدفاً للبلايا فقد روينا: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قبل الهجرة، كثيراً ما يذهب إلى جبل حرا، ويغلب عليه الشوق فيهوى بنفسه إلى السقوط وربما يسقط نفسه من شاهق حتى قيل: عشِقَ محمد ربه؛ فالحجاب الخامس هو القلب. وبعد ذلك يدخل السالك في حريم النفس المطمئنة:

وسادساً، يتمكّن على رَفْرَفِ الأرواح العالية ويجلس في أسِرَّة الأنوار القاهرة. فلمّا كان هذا المقام قريباً من جوار الله يرى كلَّ الأنوار متلاشيةً عنده مضمحلّة لَدَيْهِ سبحانه ويرى الكلّ منه وإليه، فيخلع عن نفسه بالكليّة ويفنى عن وجوده وإنيَّته المستعارة فيبقى ببقاء الله وينفي كل الأشياء فالحجاب السادس هو الروح؛

ثم بعد هذا الفناء يسمع من سره **﴿يا أيّتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾**[٣٠٤] فيفنى عن هذا الفناء بحيث لا يخطر في نفسه بأنه من أهل الفناء فيبقى بالله وحده، ثم ينادي من سره: لِمَن الملكُ اليومَ؟ فيجيب السائل حيث لا مجيب: «لله الواحد القهار»[٣٠٥]، فالحجاب السابع هو الحسبان وتوهم الشيئية وإلى المرتبة السادسة والسابعة أشير في الخبر السماوي بالعشق والقتل حيث ورد: «من عشقني عشقتُه ومن عشقته قتلته ومن قتلته فعليّ ديته ومن عليّ ديته فأنا ديته»، كما سيجيء والحمد لله وحده.

تذكرة: ولنرجع إلى بيان حديث مصباح الشريعة على ما نقلنا أولاً فنقول: ما يخطر بالبال في فهم هذا الذي هو خير المقال بعد كلام الله المتعال إن الطوائف الذين أوجب الله قتالهم والجهاد معهم في الظاهر مع اختلاف آرائهم وعقائدهم يجمعهم كلِّهم القدر المشترك بين الكفر

والشرك، وهو العدول عن دين الله والميل عن الطريق المستقيم الذي ارتضاه فذكر عليه السلام في «الجهاد الأكبر» على محاذاة الطائفتين اللتين في «الجهاد الأصغر»، «النفس» و «الهوى»؛ فالنفس الأمارة بالسوء، هي الكافرة بالله والأهواء المغوية المردية، هي المشركَةُ به تعالى:

أما الثاني، فلقوله عزّ من قائل: ﴿أرأَيْتَ من اتَّخَذَ إلهَهُ هواه﴾(٣٠٦).

وأما الأول، فلأنّ النفس والمراد بها الروح الذي هو من عالم الأمر، حيث هبطت إلى العالم السفلي وانطبعت في المواطن العنصري حتى كأنها صارت طبعاً وهي لأجل ذلك الهبوط والانطباع نسيتْ عالمها وما فيه من الحسن والبهاء والخضوع لله عز وعلا وذهلتْ عمّا أُخذَ منها من المواثيق وعُقد عليها من العقود فكفرت بأنعم الله تعالى حيث أخفتْها وأنكرتْها لأنّ الكفر في الأصل هو الإخفاء كما قد عرفت مراراً.

ثم أنه صلوات الله عليه لمّا ذكر أولاً ما يجب قتاله لفتح أبواب الملكوت بيّن ثانياً الشخص المجاهد وهو القوة العقلية المستنيرة بنور الله المقتبسة من مشكاة النبوة والولاية ثم ذكر ثالثاً السلاح والآلة لهذا القتال والجهاد هو «الجهد» و «الاستكانة» وغيرهما مما ذكر في هذه الرواية.

ثم أفاد عليه السلام أن هذه كما يكون سلاحاً، كذلك تكون عسكراً وجنداً لكن باعتبارَيْنِ ولهذا ذكرها مرّتين ويؤيّد ذلك كونها خمسة والعسكر يكون كذلك ولذا سمي خميساً فالافتقار إلى الله تعالى هي «المقدمة»، والسهر بالليل «الساقة»، والخشوع هو «القلب» لأنّه يكون بالقلب والجوع والظمأ بالنهار هما «الجناحان» وجعل المعركة بساط خدمة الله تعالى.

ثم ذكر عليه السلام أن ذلك هو «الجهاد في الله» بخلاف الجهاد

الأصغر فإنّه «الجهاد في سبيل الله» واستشهد في ذلك بقوله سبحانه: ﴿والَذينَ جاهَدُوا فينا لَنَهْدِيَنَهم سُبُلنا﴾[٢٠٧] ومعنى الجهاد في الله هو أن يجاهد العبد نفسه ويجهد إلى أن يصل إلى جوار الله برفْضِ جلابيب الحسّ والخيال والعقل وخلْع نعلَيْ الدنيا والآخرة وقطْع الهمّة عن كلّ ما سوى الله والانقطاع بالكلية إلى المولى وقتل النفس وقمع الهوى وجعل الهم واحداً بحيث لا يرى ولا يعلم إلا واحداً.

ثم ذكر عليه السلام أنّ المجاهد في الظّاهر إما أن يقتل ويصير غالباً أو يُقتَل ويصير مغلوباً مع أنه في هذه الحالة يكون غالباً، كذلك المجاهد في طريق الباطن إما أن يموت في أثناء اجتهاده أو يعيش بعد فراغه؛ فالأول يصير من الشهداء ومن يخرج من بيت نفسه[٢٠٨] وموطن هواه، مهاجراً إلى الله ورسوله، ثم يدركه الموت، فقد وقع أجره على الله ويكون دِيَتُه هو الله كما ورد: «من طلبني وجدني ومن وجدني عشقني ومن عشقني عشقته ومن عشقته قتلته ومن قتلته فعليَّ ديته ومن عليّ ديته فأنا ديته» أي ومَنْ أحبَّني[٢٠٩] بسبب قرب النوافل، أحببتُه، ومن أحببته لذلك قتلته أي قتلتُ نفسه وهواه وقطعته عن كلّ ما هواه ومن قتلته كذلك، فعليَّ ديته بمقتضى السّنة الإلهية في القتل، ومن عليَّ ديته فأنا ديته بأن كنت سمعه وبصره ويده ورِجله بل كلَّ شيء منه.

وأما الثاني فيؤدّيه عيشه إلى الرضوان الأكبر وهو أن يكون كل شيء يحدث ويجيء ويذهب في العالم فإنّما هو برضاه ولا يتحرك متحرك إلا بأمره وحكمه الذي أمضاه لأنه فنى عن نفسه وعن كله وبقي بالله جلّ شأنه وفي الوحي القديم: يا بن آدم خلقتك لأجلي أطعني أجعلك مثلي إذا قلتَ للشيء «كن فيكون» وقيل في ذلك: «بسم الله منك بمنزلة «كن» منه تعالى».

ثم أنّه عليه السلام حثّ على ذلك الاجتهاد بقوله: وإذا رأيت مجتهداً أبلغ منك في اجتهاده فوبّخ نفسك توبيخاً بليغاً ولُمْها ملامة كاملة وعيِّرْها تعييراً تاماً بأنّه مثلك بل ربما تكون أنت أقوى منه في العمل والاجتهاد والصبر على المشاق وتيسُّر الازدياد وافعلْ ذلك التوبيخ للتحثيث على أن تزداد عليه والتحريض على التنافس فيما لديه.

ثم إنه عليه السلام ذكر طريقة الارتياض للنفس بعدما صارت أسيرة لك مهجورة عما يهواه من الأنس إلى وطنه الذي هو العالم العنصري ومن حيث الشهوات اللازمة للطبع الحيواني بقوله: «واجعلْ لها زماماً من الأمر» - إلى آخره. استعارَ «الزّمام» للأمر، إذ الزّمام إنما يكون للقياد. وذكر «العنان» في النّهي لأنه إنما يُجعَلُ للذَّوْد والمنع. ثم قال: «وسُقْها كالرائض» أي الفارس الذي يريد رياضة الخيل. «الفاره»: العالم بطريق الرياضة الذي لا يذهب على ذلك الرائض خطوة من خطوات الخيل إلاّ وقد صحّ أول تلك الخطوات وآخرها بأن لا يجمع ولا يذهب يميناً ولا شمالاً ولا يطفر طفراً بل بأن يكون على النهج القويم والطريق المستقيم؛

ثم إنه عليه السلام حثّ على الاجتهاد وحرّض على طريق الرشاد بثلاثة وجوه:

أحدها، بالتأسّي بالنبي صلى الله عليه وآله فإنه يصلي حتى يتورم قدماه(٢١٠) فقيل له في ذلك: إنّك نبيّ وسيّد الأنبياء! فيقول: «أفلا أكون عبداً شكوراً؟ ينبغي لي أن أؤدّي شكر هذه النعمة التي جعلني الله سيد الأولين والآخرين» مع أنه صلى الله عليه وآله أراد أن يعتبر بذلك الاجتهاد أمته بأن يروا أو يسمعوا أن خاتم النبيين الذي هو أقرب الخلق إلى الله يجتهد بهذه المرتبة فلا يغفلوا عن الاجتهاد والتعبّد والرياضة في حال من الأحوال ولا يشغلهم عن ذلك شغل من الأشغال.

وثانيها، بذكر اللذة الحاصلة من الاجتهاد والحلاوة التي لهذا الجهاد فقال: إنك لو وجدت حلاوة عبادة الله وذقتها ما ذقت ذواقاً من الدنيا ولو رأيت بركاتها الحقيقيّة وخيراتها ما نظرت إلى هذه الدنيا وما طمحت إلى خيراتها المظنونة المشوبة بألف بلاء، ولو استضأت بنورها لم تر نوراً من غيرها ولم تصبر ساعة عنها، ولو قُطِّعْتَ إرباً وتقطّعت عضواً عضواً. فالذين أعرضوا عن العبادة ما أعرضوا عنها إلاّ بأن يحرموا من لذتها التي استفادها السلف الصالحون والبِغيَة التي سبق إليها السابقون من العصمة عن شرور هذه اللذة اللذيذة لأنّ الإنسان ما لم يذُقْ ذوقاً لم يدرِ تفاوتاً ما بين الحنظل والحلوى.

وثالثها، بأنّ الغفلة عن العبادة والرياضة ساعة واحدة موجبة للسقوط عن الدرجات العالية كما قيل في النظم الفارسي:

رفتم كه خار از يا كشم محمل نهان شد از نظر

يك لحظه غافل كشتم وصد ساله راهم دور شد

وداعية إلى تسلّط الشيطان إذ البعد عن الرحمن هو نفس القرب من الشيطان، والغفلة عنه تعالى عين الإقبال إلى ما سواه؛ ولذا لما قيل لربيع بن خيثم ـ الذي هو أحد الزهاد الثمانية ـ: ما لك لا تنام بالليل؟ قال لأنّي أخاف البيات أي بيات عساكر الشيطان واختطافه إياي من سماء القرب إلى أرض الحرمان.

كتاب أسرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

كتاب أسرار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بالحريّ أن نذكر في هذا الباب ما ورد في مصباح الشريعة ومفتاح الحقيقة[٣١١] فإنه بلغ النهاية في هذه الطريقة:

قال الصادق عليه السلام: «من لم ينسلخ عن هواجسه، ولم يتخلّص من آفات نفسه وشهواتها ولم يهزم الشيطان ولم يدخل في كنف الله وتوحيده وإوان عصمته لا يصلح للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر؛ لأنه إذا لم يكن بهذه الصفة فكلّ ما أظهر كان حجةً عليه ولا ينتفع الناسُ به قال الله عزّ وجلّ: «أتأمرونَ النّاسَ بالبرِّ وتَنْسَون أنفُسَكُمْ»[٣١٢] ويقال له: يا خائن! أتطالب خلْقي بما خُنتَ به نفسك وأرخيتَ عنه عنانَك؟! روي أنّ ثعلبة الأسدي[٣١٣] سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن هذه الآية: **﴿يا أيها الذين آمَنُوا عَلَيْكُمْ أنفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهتَدَيْتُمْ﴾**[٣١٤] فقال صلى الله عليه وآله: «اءْمُرْ بالمعروف وانْهَ عن المنكر، واصبرْ على ما أصابك، حتى إذا رأيت شُحاً مطاعاً، وهوىً متّبعاً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعَلَيْكَ بنفسك ودَعْ أمر العامّة. وصاحبُ الأمر بالمعروف يحتاج إلى أن يكون: عالماً بالحلال والحرام، فارغاً من خاصة نفسه مما يأمرهم به وينهاهم عنه، ناصحاً للخلق رحيماً بهم باللّطف وحسن البيان، عارفاً بتفاوت أخلاقهم لينزل كُلاً منزلتهم، بصيراً بمكر النفس ومكايد الشيطان، صابراً على ما يلحقه لا يكافئهم بها ولا يشكو منهم، ولا يستعمل الحمية، ولا يغتاظ للسفه،

مجـرّداً نيتـه لله، ومبـتغياً لوجهه، فإنْ خـالفوهُ وجفوه، صَبَرَ وإنْ وافقُوه وقبلُوا منه شكرَ، مفوّضاً أمره إلى الله، ناظراً إلى عيبه»[٣١٥].

بيانٌ: إعلم . وفقك الله لمعرفة معالم دينه ومواقع أحكامه . أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إنّما يجبان في الواجب والحرام ويستحبّان في المندوب والمكروه بشـروط أربعـة: العلم بالحكم، وإصـرار الفـاعل، وتجويز التـأثيـر، والأمن من الضـرر. فإنْ انفرد بالرؤية تعين عليـه وإلاّ فإنْ شـرع غيـره في الزجـر وظنّ هو تأثيـر مشـاركته وجب عليه أيضـاً، وإلا فلا، وللإنكار مراتب:

أوليها، بالقلب ويشترط فيه من الشرائط: الأولان؛

وثانيتها، باللسان؛

وثالثتها، بإظهار الكراهة القلبيّة فإنْ اكتفى وإلاّ أعرض عنه؛

ورابعتها، باليد ككسر الملاهي وإراقة الخمر؛

وخامستها، بالضرب وشبهه مع القدرة لو لم ينزجر إلا به؛

وسـادسـتهـا، بالجـراح ويتـوقف على إخبـار الحـاكم. ثم إن الأحكام الإلهيـة كمـا لهـا صـورة ظـاهـرية، كذلك لهـا أحكام باطنيـة يعـرفهـا أهل العلم بالله ومـا لم يتحقق الإنسان بالحقيقـة الباطنيـة لم تنفعه الصورة الظاهـرة كثيـر نفع كمن يهجم عليـه عدوّ وفي قـربه حصنٌ حصين وهو يكرر من قوله «أستـعيـذ من هذا العـدو بذلك الحِصن» وظاهـر أنّ ذلك لا يخلّصـه ولا يُجـديه نفـعـاً، كـذلك القـائل بلسـانه «أعـوذ بالله من الشيطان» وهو لا يدخل في كنف الله.

إذا عـرفت ذلك، فـالإنسـان يجب أن يأمـر نفـسـه عـمـا يُنكره الله ويبعِّده من جواره فكمـا أنّ للأمـر بالمعـروف والنهي عن المنكر، شـرايطَ أربعـة فـي الظاهـر كـذلك لـهـمـا شـرايط بذلـك العـدد في البـاطن على

المحاذاة التي بينهما: فقوله عليه السلام: «من لم ينسلخ عن هواجسه» على محاذاة الشرط الأول وهو العلم بالمأمور به والمنهي عنه؛ وقوله: «ولم يتخلَّص من آفات نفسه وشهواتها» على موازاة الشرط الثاني وهو إصرار الفاعل؛ وقوله: «ولم يهزم الشيطان» بحذاء الشرط الثالث وهو تجويز التأثير؛ وقوله: «ولم يدخل في كنف الله وتوحيده وأوان عصمته» بإزاء الشرط الرابع وهو الأمن من الضرر.

والوجه في مقابلة الأولين، إنّ العلم من الصفات النفسانية وكذا هواجس الخاطر من الأمور القلبية وفي الثانيّين، إنّ اتصافه بالصفات المذمومة واتباعه للشهوات النفسانية إنما هو من أفعاله وأوصافه الراسخة وذلك في مقابلة إصرار الغير وفي الثالثيْن، أنّ انهزام الشيطان وبعده عنه مما لا يجوز إمتثاله للأوامر وانتهاءه عن المناهي وذلك في مقابلة تجويز التأثير في الغير؛ وفي الرابعين أنّ الدخول في كنف الله وعصمته يوجب الأمن من جميع الأضرار وذلك في مقابلة الأمن من الضرر عن الغير.

ثم إنه عليه السلام ذكر عشر خصال يحتاج صاحب الأمر بالمعروف إلى أن تكون هذه الصفات له في نفسه:

أوليها، أن يكون عالماً بالحلال والحرام وإلاّ بماذا يأمر وعمّا ذا ينهى؛

وثانيتها، أن يكون قد فرغ نفسه عن امتثال الأوامر والانتهاء عن المناهي.

وثالثتها، أن يكون ناصحاً للخلق من دون غرض وفائدة تعود إلى نفسه؛

ورابعتها، أن يكون رحيماً بعباد الله باللطف والرفق وحسن البيان غير جافٍ ولا غليظ ولا سخّاب؛

وخامستها، أن يكون عارفاً بتفاوت أخلاقهم بأن يأمرَ ويزجر كلاً بما يوافق حالهم وينزل كلاً منزلتهم؛

وسادستها، أن يكون بصيراً بمكر النفس ومكايد الشيطان لئلا يكون أمره ونهيه مورثاً لِعُجْبِ نفسه بأن يظنّ نفسه فارغاً من هذا وأنه بذلك فاق عباد الله وبلغ مرتبة الأمر بالمعروف؛

وسابعتها، أن يكون صابراً على ما يلحقه من الأذى في جنب الله ولا يكون ذلك الأمر والنهي لمكافأة أذاهم ولا يشكو من ذلك ولا يستعمل الحمية والعصبية ولا الغيظ والحقد لأجل نسبتهم إيّاه إلى السفّه حيث يأمر وينهى؛

وثامنتها، أن يجرّد نيّته في ذلك لله وابتغاء وجهه والقربة إليه والزلفة لديه فإنه إذا كان لله تعالى فيصبر على الشّقاق ويشكر على الوفاق؛

وتاسعتها، أن يفوض أمره في ذلك الأمر إلى الله ولا يخاف لومة لائم؛

وعاشرتها، أن يكون ناظراً إلى عيوبه في كلّ لحظة ولا يُبَرِّىء نفسه من الاقتحام فيما ينهى عنه غيره بل كلما يأمر غيره يجب أن يأمر أولاً نفسه وإن كان مؤتمراً، وكلّما ينهى غيره ينهى أولاً نفسه وإن كان منتهياً.

تذييل: هذه الصفات لصاحب الأمر بالمعروف قلّما توجد في غير المعصومين، اللهم إلا في المؤمنين الممتَحنين. ولا يخفى أن قوله عليه السلام: «ولم يدخلَ في كنف الله وتوحيده وأوان عصمته» ممّا يومي إلى ذلك كلّ الإيماء.

ثم في الحديث النبويّ الوارد في جواب ثعلبة الأسدي ذكر من

أمهات ذمائم القلب ثلاثة وهي الشحّ المطاع، والهوى المتبّع، والإعجاب بالنفس وترك الأصل والرأس وهو حبّ الدنيا ومعه تصير الأمهات، أربعة ووجه التركيب أن حب الدنيا وإن كان من جملة الأمّهات لكنه في الحقيقة أصل تلك الثلاثة لأن «حب الدنيا رأس كل خطيئة» ولا توجد تلك الثلاثة بدونه بل هو مورِثٌ لها.

وأما المنشعبات منها: فمن حبّ الدنيا، ينشعب الغضب والحقد والحسد والكبر والغرور والرياء والنفاق؛ ومن الشح، ينشعب البخل والحرص والجزع والمكر وأمثالها؛ ومن الهوى المتبع، ينشعب السرف والإصرار والكفران والأمن من مكر الله واليأس من روح الله؛ ومن الإعجاب بالنفس، ينشعب الجحود والقسوة والجهل والحمق والخرق والعجلة. وقد ينشعب بعض منها من واحد آخر أو من اثنين أو ثلاثة أو أربعة منها كما لا يخفى.

وعلاج كل منها: بتحصيل ضدّه المحمود، كالزهد والكرم والبصيرة الرافعة للأمهات؛ وكالعفة والشجاعة والحكمة والرضا والعفو والتسليم والتواضع والانتباه والإخلاص والسخاء والتوكل والتوبة والشكر والخوف والرجاء والتصديق والرأفة والعلم والفهم والرفق والتؤدة والصبر وسلامة الصدر والإنصاف والحياء التي بإزاء تلك الفروع المنشعبة؛ وبأن تتذكّر ما ورد في ذم تلك الرذائل والآفات المترتبة عليها ومدح أضداده المحمودة وتكلّف النفس على الطرف المقابل بالأفعال المستجلبة له بالاعتبار، حتى يقف على مستوى الاعتدال الذي هو الصراط المستقيم والطريق المستوي الذي يسلك بسالكه إلى الجنة ومَنْ مال عنه قليلاً هوى إلى مهواة الجحيم. ولا يتيسر ذلك إلا بمطالعة كتب الأخلاق وأشرفها كتاب الكفر والإيمان من الكافي وكتاب مصباح الشريعة لمولانا جعفر بن محمد الصادق عليه وعلى آبائه وأولاده

شرائف التحيات وكرائم الصلوات والتسليمات. ولعمري أنه أعظم في هذا الباب مع اختصاره وإيجازه وقد نقل عن الشيخ العالم زين الملّة والدين الشهيد الثاني قدّس الله روحه بالتوصية على مطالعة هذا الكتاب الشريف بحيث لا ينفك عن صحبته في حضر ولا سفر، ولقد أحسن رحمه الله في هذه الوصية فجزاه الله أحسن العاقبة وأعاذنا وإياكم من ذمائم النفس ورزقنا وإياكم محامدها.

فهذا آخر ما أردنا إيراده في المجلد الأول من شرح توحيد شيخنا الفقيه القمي رضوان الله عليه وبتمامه تمّ الباب الثالث حامداً مصلياً مستغفراً. ويتلوه إن شاء الله في المجلد الثاني باب تفسير سورة التوحيد. والحمد لله وحده والصلاة على محمد وآله.

ختامة تختم بها الكتاب وهي من منشآت الحضرة المعظم مخدوم الزمان ووحيد الدوران ميرزا محمد طاهر:

الثمر ختم للزهر، والزهر ختم للشجر، ووقوع المخبر عنه ختم للخبر، والإعراض عما سوى الله تعالى ختم للنظر.

فالحمد لله أولاً على ما أولانا من بدو النعم، وآخراً على ما أنعم علينا من حسن الخاتمة لفرط الإحسان والكرم، وسبحان من وفقنا لختم شرح كلام من هو نقش خاتم الرسل، وحصل لنا أسباب إنهاج منهج فهم كلام نتيجة هادي السبل.

اللهم ليس لعبدك سبيل إلى حمدك أحمد من أن يقول أنت أنت، ولا عذر لقصوره عن أداء ما يجب عليه أحسن من قوله ما أنا أنا كما كُنْت.

اللهم وفقني لأداء كل ما تحب وترضى، كما وفَّقتني لتبيين مكنونات تلك الرموز، وإخراج مودعات هذه الكنوز.

اللهم إن كان ما نطقت به من البيان صواباً فاجعله ذخيرة لي في طريق المعاد، وإن كان من هفوات ظني المطبوع عليه الإنسان فلا تؤاخذني به يوم التناد.

ثم وفّقني بأن أكون محصّلاً لمرضاتك فيما بقي من حياتي، وأن يكون تحصيل رضاك تالياً لصومي وصلاتي، واحشرني في زمرة محبي موالينا الأئمة الاثني عشر، في اليوم الذي يتحقق فيه الخبر، ويشوّه فيه المنظر. والحمد لله وحده. (م ن د).

هوامش كتاب
أسرار العبادات

هوامش كتاب أسرار العبادات

(١) من هنا إلى قوله ثم اعلم اقتباس من الفتوحات. ج ١. ص ٢٨٧ ـ ٢٨٦ مع تلخيص.
(٢) لسان العرب لابن منظور ذيل: «صلا».
(٣) الأحزاب: ٤٣.
(٤) غافر: ٧.
(٥) النور: ٤١.
(٦) انتهى ما اقتبس من الفتوحات.
(٧) من لا يحضره الفقيه. ج ١. باب فضل الصلاة. ص ١٣٣: المحجة البيضاء: ج ١. ص ٢٩٩.
(٨) العيدان. من العود وهو الخشبة الصغيرة وتقويمه بالنار. إزالة اعوجاجه.
(٩) البقرة: ١١٥.
(١٠) مستفاد من قوله تعالى: «نار الله الموقدة...» (الهمزة: ٧ و ٦).
(١١) الفتوحات. ج ١. ص ٢٨٧. ومرّ أيضاً.
(١٢) مستفاد من قوله تعالى: «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء...» (العنكبوت: ٤٥).
(١٣) نعوم: من عام في الماء: سبح.
(١٤) طامي: من الطمو: الامتلاء وملأ النهر.
(١٥) المائدة: ٣.
(١٦) المائدة: ٦٧.
(١٧) المبتزين: من بزّ: غصب.
(١٨) اين: مَنْ (أسرار العبادات ص ٩).
(١٩) الحديد: ٢٣.
(٢٠) يونس: ٦٢.
(٢١) يتضمن الثاني: يحيط بالثاني (أسرار العبادات ص ١١).
(٢٢) وذلك... الآخرة: أسرار العبادات. ص ١١
(٢٣) القائل هو الشيخ محيي الدين.
(٢٤) إشارة إلى ما روي من: أن للشيطان لمّة بابن آدم وللملك لمة... راجع: سنن الترمذي. ج ٥. ص ٢١٩. حديث ٢٩٨٨.
(٢٥) اقتبس الشارح هذا الفصل عن الفتوحات. ج ١. ٣٣٠ ـ ٣٣٢ مع إضافات وشرح.

(٢٦) السفساف: الرديء من كل شيء.
(٢٧) غلوة: الغاية هي رمية سهم أبعد ما تقدر عليه.
(٢٨) الفرقان: ٤٨ ـ ٤٩.
(٢٩) الأنفال: ١١.
(٣٠) طه: ٥٥.
(٣١) النساء: ٤٣.
(٣٢) اقتبس الشارح من هنا إلى آخر الفصل من الفتوحات، ج ١، ص ٣٣٢ تحت عنوان «وصل» مع تلخيص وشرح.
(٣٣) وتخليته: وبتخليته م بتخليته أسرار العبادات، ص ١٧.
(٣٤) اقتبس الشارح من هنا إلى آخر الفصل من الفتوحات، ج ١، ص ٣٣٣، مع تلخيص وشرح.
(٣٥) ووجه الوترية: العبارة مبهمة بجهة التلخيص والمقصود كما قال صاحب الفتوحات: «الاستجمار معناه جمع أحجار أقلها ثلاثة إلى ما فوقها من الأوتار لأن الوتر هو الله فلا يزال الوتر مشهودك...» (الفتوحات، ج ١، ص ٣٣٣).
(٣٦) الفتوحات، ج ١، ص ٢٩٤.
(٣٧) اقتبس الشارح هذا الفصل من الفتوحات، ج ١، ص ٣٤٠ ـ ٣٢٤ مع تلخيص وشرح بلفظه وزوائد: «فاعلم أن الله خاطب الإنسان بجملته وما خص ظاهره من باطنه ولا باطنه من ظاهره فتوفرت دواعي الناس أكثرهم إلى معرفة أحكام الشرع في ظواهرهم... إلا القليل.. فإنهم بحثوا في ذلك ظاهراً وباطناً فما من حكم قرّروه شرعاً في ظواهرهم إلاّ وراوا أن ذلك الحكم له نسبة إلى بواطنهم... فعبدوا الله بما شرع لهم ظاهراً وباطناً» (ص ٣٢٤) وأمّا اعتبارنا بالطهارة قبل إدخالها في الإناء فإنه بالعلم والعمل خوطبنا، فالعلم الماء، والعمل الفسل، وبهما تحصل الطهارة فغسلها قبل إدخالها في أفاء الوضوء هو ما يقرّره في نفسه من القصد الجميل في ذلك الفعل إلى جناب الحق الذي فيه سعادته..» (ص ٣٣٧).
(٣٨) الفتوحات، ج ١، ص ٣٣٩: «... فغسل اليدين بالكرم والجود والسخاء والإيثار والهبات وأداء الأمانات..».
(٣٩) الفتوحات، ج ١، ص ٣٣٧: «فاعلم أنّ النائم في عالم الغيب بلا شك وإذا كان النوم بالليل فهو غيب في غيب.. والنوم في النهار غيب في شهادة..».
(٤٠) الفتوحات، ج ١، ص ٣٣٨: «أما المضمضة فالغرض منها التلفظ بـ «لا إله إلاّ الله» فإنّ بها يتطهر لسانك.. فإذا تمضمض في باطنه بهذا وأمثاله فقد أصاب خيراً وقال خيراً وهو حسن القول وصدق اللسان طهور من الكذب، والجهر بالقول الحسن طهور من الجهر بالسوء من القول...».
(٤١) الفتوحات، ج ١، ص ٣٣٨: «فاعلم أن الاستنشاق في الباطن لما كان الأنف في عرف العرب محل العزة والكبرياء... ولا تزول الكبرياء من الباطن إلا باستعمال أحكام العبودية والذلة والافتقار..».
(٤٢) نفس المصدر: «أمّا غسل الوجه.. فالحياء من الله أن يراك حيث نهاك...».
(٤٣) نفس المصدر ص ٣٣٩: «والمرافق في الباطن هي رؤية الأسباب التي يرتفق بها العبد».
(٤٤) نفس المصدر ص ٣٤٠: «وصلٌ، حكم المسخ في الباطن».

(٤٥) القصص: ٨٣.
(٤٦) الفتوحات، ج ١، ص ٣٤٢ «باب غسل الرجلين».
(٤٧) مستفاد من قوله تعالى: «ولا تمش في الأرض مرحاً.. واقصد في مشيك» (لقمان: ١٨ ـ ١٩).
(٤٨) القائل هو محيي الدين في الفتوحات، ج ١، ص ٢٤٣ ـ ٣٣٤ كما أشرنا.
(٤٩) أخرجت للناس: مستفاد من قوله تعالى: «كنتم خير أمة للناس» (آل عمران: ١١٠).
(٥٠) الكلية: أسرار العبادات ص ٢١.
(٥١) في أن يخلدها ويملكها: في تخلّدها وتملّكها ن.
(٥٢) مستفاد من قوله تعالى: «أن تقول نفس يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله» (الزمر: ٥٦).
(٥٣) مستفاد من: «يا أيتها النفس..» (الفجر: ٢٧ ـ ٢٨).
(٥٤) أي أمرت العناية الإلهية النفس. وفي نسخة «أمرها» أي أمر الله النفس.
(٥٥) أي والعلم بأنّ الملك، معطوف على «توحيد» وهكذا قوله: «وأن ليس» و «إنّ الكل» و «إن لا منجا».
(٥٦) مستفاد من غافر: ١٦.
(٥٧) مستفاد من قولهم: «الصلاة معراج المؤمن» المشهور واحتمل أنه ليس بحديث.
(٥٨) مستفاد من البقرة: ٨١.
(٥٩) اقتبس الشارح هذا الفصل من الفتوحات، ج ١، ٣٨٩ ـ ٣٩١.
(٦٠) علل الشرايع، ج ٢، باب ١، حديث ١، ص ٣١٦ (في آخر الحديث): «وهي أول ما فرضت عند الزوال يعني صلاة الظهر» ونفس المصدر ج ٢، باب ١٢، حديث ١، ص ٣٢٤: «لأن النبي لما أُسري به إلى السماء كان أول صلاة فرضها الله، صلاة الظهر فأضاف الله تعالى إليه الملائكة تصلي خلفه».
(٦١) مرتبة علي: ففي الخبر العامي على ما رواه الخوارزمي أنه سمع من رسول الله (ص) قال في دعائه: «إلهي بحق وليك علي بن أبي طالب اغفر لنبيك محمد (أسرار العبادات ص ٢٥).
(٦٢) البقرة: ٢٣٨.
(٦٣) التوحيد، باب ما جاء في الرؤية، حديث ١٣، ص ١١٤.
(٦٤) تفسير فرات: ص ٢١٨.
(٦٥) تفسير فرات، ص ١٧٧.
(٦٦) الرحمن: ١٩ و ٢٠.
(٦٧) علل الشرايع، ج ٢، الباب ٣٦، حديث ١، ص ٣٣٧ وكانّ الشارح اختصر الحديث ونقل بمعناه.
(٦٨) يصلي: يصلي عليّ فيها ربّي (علل الشرايع، ص ٣٣٧).
(٦٩) (فأمرني... القلب) : (علل الشرايع ص ٣٣٧).
(٧٠) هذا المعنى يستفاد من حديث في علل الشرايع، ج ٢، الباب ٢٤، حديث ١، ص ٣٣٦.
(٧١) اقتبس الشارح الفاضل هذا الفصل من الفتوحات، ج ١، ص ٤٠٤ ـ ٤٠٥.
(٧٢) كما أشرنا، القائل هو محيي الدين ابن العربي في الفتوحات، ج ١، ص ٤٠٥ ـ ٤٠٤.
(٧٣) سيجيء: في ص ٦٩٣، وص ٧٠٤.
(٧٤) الأعراف: ١٧٢.

(٧٥) اقتبس الشارح هذا الفصل أيضاً من الفتوحات، ج ١، ص ٤٠٧.
(٧٦) الأحزاب: ١٣.
(٧٧) ما قاله الشارح، اقتباس من كلام صاحب الفتوحات (ج١، ص ٤٠٨) مع إضافات في العبارة.
(٧٨) كلام الشارح في هذا الفصل اقتباس مما قاله ابن العربي في الفتوحات ج ١، ص ٢٣٥، وخاصة ص ٤٠٩، في فصل «الطهارة من النجاسة».
(٧٩) قال محيي الدين في الفتوحات، ج ١، ص ٤٠٩: «وليس للأماكن أثر في حجاب القلب عن ربه إلاّ لأصحاب الأحوال وإنّما الأثر في ذلك للغفلة أو للجهل في العموم أو للحال في أصحاب الأحوال».
(٨٠) معطوف على «السماء الدنيا» هكذا الثالثة والرابعة.
(٨١) مستفاد من قوله تعالى: «فاستقم كما أمرت» (هود: ١١٢).
(٨٢) ما قاله الشارح في هذا الفصل اقتباس من كلام ابن العربي في الفتوحات (ج١، ص ٤١١ ـ ٤١٠) وكأنه شرح له.
(٨٣) كلام الشارح في هذا الفصل اقتباس من كلام ابن العربي في الفتوحات (ج١، ص ٤١١) مع زيادات ونقل الحديث.
(٨٤) معاني الأخبار، باب معنى الله أكبر، ص ١١.
(٨٥) قال في الفتوحات: «تكبيرة إحرام أي تكبيرة منع. يقول تكبير لا يشاركه في مثل هذا الكبرياء كون من الأكوان (ج١، ص ٤١٥).
(٨٦) القائل هو محيي الدين في الفتوحات، ج ١، ص ٤١٢ في فصل التوجيه في الصلاة وقريب منه ما نقل عن الواسطي في غير هذا الباب (الرسالة القشيرية، ص ٤٦): «سئل الواسطي عن الكفر بالله أو لله، فقال: الكفر والإيمان والدنيا والآخرة: من الله وإلى الله وبالله ولله. من الله ابتداءً وإنشاءً وإلى الله مرجعاً وانتهاءً...».
(٨٧) أي دعاء التوجيه وهو على ما في فروع الكافي، ج ٣، كتاب الصلاة، باب افتتاح الصلاة، ص ٣١٠: «وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين، إنّ صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين» (أيضاً وسائل الشيعة، ج ٢، كتاب الصلاة، ص ٧٢٣ والمحجة البيضاء، ج ١، ص ٣٦٠ وتهذيب، ج ١، ص ١٥٢ وسنن الترمذي، ج ٥، ص ٤٨٥ حديث ٣٤٢١).
(٨٨) اقتباس من كلام ابن العربي في الفتوحات، ج ١، ص ٤١٢.
(٨٩) مستفاد من خبر أخرجه مسلم في صحيحه، ج ١، كتاب الصلاة، حديث ٣٨، ص ٣٧٥ والنسائي في سننه، ج ٢، ص ١٣٥ (باب ترك قراءة بسم الله) وراجع أيضاً: الفتوحات المكية، ج ١، ص ١١١ وتفسير مجمع البيان، ج ١، ذيل تفسير سورة الحمد، ص ٧٨.
(٩٠) صحيح مسلم.
(٩١) مستفاد من أول هذا الحديث على ما في مجمع البيان وباقي المآخذ التي ذكرناها في الصفحة السابقة وأيضاً في ص ٥٧٧.
(٩٢) علل الشرايع، ج ٢، الباب ١، حديث ١، ص ٣١٥.
(٩٣) النحل: ٩٨.
(٩٤) لا صلاة إلاّ بها: الوافي، كتاب الصلاة باب ٨٥ ص ٩٩ وبحار، ج ٨٢، ص ١١.

(٩٥) وهو الشيطان الرجيم.

(٩٦) القائل هو محيي الدين ابن عربي، في الفتوحات، ج ١، ص ٤٢١ ولما كان تلخيص الشارح كلامه، موجباً للإبهام يفيدنا نقل كلام ابن عربي لرفعه: «... فالعارف إذا تعوّذ ينظر في الحال الذي أوجب له التعوّذ وينظر في حقيقة ما يتعوّذ به وينظر ما ينبغي أن يعاذ به فيتعوّذ بحسب ذلك: فمن غلب عليه في حاله أن كلّ ما يستعاذ منه بيد سيّده وإن كل ما يستعاذ به بيد سيده وأنه في نفسه عبد محل التصريف والتقليب فعاذ من سيّده بسيده وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «وأعوذ بك منك» وهذه استعاذة التوحيد فيستعيذ به من الاتحاد... ومن نزل عن هذه الدرجة في الاستعاذة، استعاذ ممّا لا يلائم بما يلائم فعلاً كان أو صفة... ورد في الخبر: «أعوذ برضاك من سخطك»... فقد خرج العبد هنا مَن حظّ نفسه..».

(٩٧) اقتباس من الفتوحات، ج ١، ص ٤١٣ مع تلخيص وشرح.

(٩٨) الأنعام: ١٢١.

(٩٩) الأنعام: ١١٨.

(١٠٠) الفتوحات، ج ١، ص ٤١٣: «والقرآن كلام الله وقد ورد: إذا استطعم...» فسماه طعاماً فناسب الأكل».

(١٠١) الفتوحات، ج ١، ص ٤٢٢.

(١٠٢) اقتباس من الفتوحات، ج ١، ص ٤٢٢ «... فذكر (أي في الحديث الذي نقله أبو هريرة عن النبي) من ذلك ثلاثة أسماء: الاسم الله... فإنه للأسماء كالذات للصفات فذكره أولاً من حيث أنه دليل على الذات كالأسماء الأعلام... وإن لم يقو قوة الأعلام... الرحمن الرحيم من حيث ما هو أعني الرحمن الرحيم من الأسماء المركبة... فسماه به من حيث ما هو اسم له لا من حيث المرحومين ولا من حيث تعلّق الرحمة بهم بل من حيث ما هي صفة له جل جلاله. فإنه ليس لغير الله ذكر في البسملة أصلاً ومهما ورد اسم إلهي لا يتقدّمه كون يطلب الاسم ولا يتأخر كون يطلبه الاسم في الآية فإنّ ذلك الاسم ينظر فيه العارف من حيث دلالته على الذات المسمّاة به...».

(١٠٣) مجمع البيان، ج ١، ٨٧ و ٨٨.

(١٠٤) تفسير فرات، ص ٨١: بحار، ج ٢٤، ص ١١٥.

(١٠٥) قيعان: جمع قاع: أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام.

(١٠٦) الشورى: ٥٣.

(١٠٧) الحديد: ٣.

(١٠٨) مستفاد من الحديد: ٣ - ٦.

(١٠٩) الآية في حكاية موسى إلاّ أن نقول اقتبس الشارح: «إنّ معي» من حكاية موسى في سورة الشعراء: ٦٢ و «ربّي سيهدين» من حكاية إبراهيم في قوله تعالى: «إني ذاهب إلى ربّي سيهدين» (الصافات: ٩٩).

(١١٠) حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ٦، ص ١١٥ وأيضاً مرّ في ص ٥٥ من منابع أخرى.

(١١١) مستفاد من النساء: ٦٩.

(١١٢) الفجر: ٢٨.

(١١٣) إشارة إلى ما ورد في الأخبار من أنّ الصراط المستقيم هو عليّ بن أبي طالب كما أشير إليها في مواطن كثيرة من هذا الكتاب ومن جملة الأخبار ما في تفسير القمي، ج ١، ص ٢٨.
(١١٤) بحار، ج ٣٩، ص ٣١٣ نقلاً عن مناقب ابن شهر آشوب، ج ٢، ص ١٨ و ١٩.
(١١٥) إشارة إلى ما ورد في تفسير قوله تعالى: «وأنفسنا وأنفسكم».
(١١٦) مصباح المتهجّد للكفعمي، ص ٦٨٢ في دعاء يوم الغدير: «واشهد أنه... وأنّه في امّ الكتاب لدينا لعليّ حكيم»: تفسير البرهان للبحراني، ج ١، ٤٧، حديث ٤.
(١١٧) إشارة إلى آية ١٦٤ من النساء و ١٤٣ من الأعراف.
(١١٨) على لسان علي الوصي: أسرار العبادات، ص ٦٢.
(١١٩) إشارة إلى آية ١١٠ من المائدة و ٤٦ من آل عمران و ٢٩ من مريم.
(١٢٠) مستفاد من آية ١١٠ من آل عمران.
(١٢١) العظمى وفاقوا بذلك: أسرار العبادات ص ٦٢.
(١٢٢) النجم: ٣١.
(١٢٣) مشارق أنوار اليقين للبرسي، ص ١٦٠: بحار، ج ٢٦، ص ١ ـ ٧.
(١٢٤) البقرة: ٤٥.
(١٢٥) غافر: ١٥.
(١٢٦) البيّنة: ٩٥.
(١٢٧) هو أبو بكر محمد بن موسى الواسطي، خراساني الأصل من فرغانة وهو من كبار علماء الصوفية، صحب جنيد وأقام بمَروْ ومات بها بعد العشرين والثلاثمائة. (رسالة القشيرية، ص ١٧٤).
(١٢٨) هو أبو الحسين أحمد بن محمد النوري، بغدادي المولد والمنشأ، صحب السريّ السقطي وكان من أقران الجنيد، كبير الشأن وحسن المعاملة واللسان ومات سنة خمس وتسعين ومائتين.
(١٢٩) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد، سيّد طائفة الصوفية وإمامهم، أصله من نهاوند ومولده ومنشأه بالعراق، صحب خاله السرّي وكان فقيهاً وهو ابن عشرين ومات سنة سبع وتسعين ومائتين.
(١٣٠) هو أبو بكر دُلف بن حجدر الشبلي، كان شيخ وقته حالاً وظرفاً وعلماً، بغدادي المولد والمنشأ وأصله من أسروشنة، صحب الجنيد، مالكي المذهب، عاش سبعاً وثمانين سنة ومات سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة وقبره ببغداد.
(١٣١) هو أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز، من أهل بغداد، صحب ذا النون المصري، كان من أكابر الصوفية ومات سنة سبع وسبعين ومائتين. (الرسالة القشيرية، ص ١٦١).
(١٣٢) التوبة: ١٢٨.
(١٣٣) به قال ابن عربي في الفتوحات ج ١، ص ١٠٨: «الرحيم صفة محمد (ص) قال تعالى: بالمؤمنين رؤوف رحيم».
(١٣٤) وفي هذا المعنى قال في الفتوحات، ج ١، ص ١١٢: «وتقول العامة: «الحمد لله» أي لا محمود إلاّ الله».
(١٣٥) وفي هذا المعنى قال في الفتوحات، ج ١ ص ١١٢: «فإذا قال العالم الحمد لله أي لا حامد إلا الله».

(١٣٦) طه: ١١١.

(١٣٧) هو ابو عثمان سعيد بن اسماعيل الحيري من مشايخ الصوفية مات سنة ثمان وتسعين ومائتين (الرسال القشيرية ص ١٣٧).

(١٣٨) الأعراف: ١٦.

(١٣٩) هو أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد، أحد أئمة الصوفية، مات سنة نيِّف وستين ومائتين (الرسالة القشيرية، ص ١١٨).

(١٤٠) وآله: + وسلّم م.

(١٤١) لقمان: ٢٠.

(١٤٢) أي انتهى نقل ما أشار في أول الفصل، ص بقوله: «ولبعض العرفاء... ننقله بعباراته» ولم أعثر على مأخذه.

(١٤٣) مشارق أنوار اليقين، ص ١٥٨.

(١٤٤) الإسراء: ٤٦.

(١٤٥) اقول: لعله جعل الياء الثانية محسوباً حتى يتم المائة والعشرون وأسقط الإثنين عن الحساب في اسم «محمد» للاعتناء والاكتفاء بالعشرات. (منه. هامش ن ص ١٣٧ و د ص ١٦٤).

(١٤٦) علل الشرايع، ج ٢، باب ١، حديث ١، ص ٣١٦: «ثم قال لي: اقرأ: «إنا انزلناه».

(١٤٧) أي في الباب ٤ من كتاب التوحيد ص ٨٨ ويجيء في المجلد الثاني من هذا الشرح إن شاء الله.

(١٤٨) بسم الله الرحمن الرحيم: أمّا على طريقة السكت، فالاحتمالات المذكورة في البسملة من الحمد، جارية هنا. وأمّا على طريق أصحاب الوصل، فمع تلك الاحتمالات، يحسن الاحتمال الأخير وهو أن يتعلق الجار في البسملة بفعل الإنزال وعلى ذلك لعل المعنى: أنزلنا القرآن على المعنى الأعمّ من الصامت والناطق متلبساً باسم الله لأجل أنّ المظهر الجملي لهذا الاسم الذي هو جملة حقائق الأسماء مما يجب وجوده في العناية الإلهية الأولى، وهو في سلسلة المعارف والحقائق هو هذا القرآن، وفي سلسلة الأعيان والرقائق إمام الكل من الملائكة والإنس والجان. فباقتضاء اسم الله الجامع كما قلنا وطلب اسمي الرحمن والرحيم، أنزلنا مظهراً جامعاً ورحمة للعالمين سيما لعباده المؤمنين من النبيين والمرسلين وعباد الله الصالحين وذلك المظهر هو الإمام المبين والقرآن الناطق وأمير المؤمنين، فلولاه ما عبد الله أي ما ظهرت العبودية التي هي مقتضى الاسم الله، ولولاه ما انتظم النظام ولا تحرّكت هذه الأجرام العظام وما أنبتت الأرض شيئاً ولا استقرت قراراً وذلك مقتضى الرحمانية، ولولاه لم يعرف أحد سبيل الحق ولم يصل أحد إلى جوار الغنيّ المطلق وهو مقتضى الرحيمية، فبإنزال الله إياه ظهرت الألوهية والرحمانية والرحمة الخاصة: هذا معنى البسملة في مفتتح هذه السورة المباركة فليتحفظ به ولنشرع في بيان حقائق السورة على محاذاة ما روى فرات بن ابراهيم القمي عن بعض المعصومين من الأئمة الطاهرين في تفسيرها وما وصل إلينا من أخبارهم، عليهم السلام (د ص ١٦٤ وأسرار العبادات ص ٨٩).

(١٤٩) تفسير فرات، ص ٢١٨.

(١٥٠) تفسير فرات، ص ٢١٨.

(١٥١) اقتباس من كلام ابن عربي في الفتوحات، ج ١، ص ٤٢٦: «فأقول في باب الأسرار لمّا كان المصلي في وقوفه بين يدي ربه في الصلاة له نسبة إلى القيوميّة، ثم انتقل عنها إلى حالة الركوع...» مع زيادات من الشارح الفاضل.

(١٥٢) الواقعة: ٧٤ و ٩٦ والحاقة: ٥٢.

(١٥٣) علل الشرايع، ج ٢، الباب ٣١، حديث ٦، ص ٣٣٣؛ الفتوحات، ج ١، ص ٤٢٦.

(١٥٤) الباب الخامس عشر، في الركوع: «لا يركع عبد... عظمته على سرائرهم» إلى آخر الفصل.

(١٥٥) ربيع بن خثيم: هو أحد الزهاد الثمانية في عصر الإمام علي (ع) وهم - على ما في رجال الكشي -: ربيع بن خثيم، هرم بن حنان أو حيان، أُوَيس القرني، عامر بن عبد قيس، أبو مسلم الخولاني، مسروق بن الأجدع، العشار والحسن البصري. ونظر العلماء في ربيع بن خثيم مختلف بين تأييد وردّ كما اختلفوا في تلفظ «خثيم» فبعضهم قدّموا الياء على الثاء وبعضهم عكسوا... وعليك بتفصيل الأقوال في أعيان الشيعة، ج ٧ ص ٦٩.

(١٥٦) علل الشرايع، ج ٢، الباب ١، حديث ١، ص ٣١٥.

(١٥٧) مقتبس من الفتوحات، ج ١، ص ٤٢٧ مع شرح.

(١٥٨) الأعلى: ١.

(١٥٩) علل الشرايع، ج ٢، الباب ٣٠، حديث ٦، ص ٣٣٣.

(١٦٠) الباب السادس عشر، في السجود.

(١٦١) الأحزاب: ٤.

(١٦٢) القمر: ٥٥.

(١٦٣) العارف: . د .

(١٦٤) اقتباس من الفتوحات، ج ١، ص ٤٢٧: «لمّا كان التشهد على الحقيقة معناه الاستحضار فإنه تفعل من الشهود وهو الحضور...» مع الشرح.

(١٦٥) قال الشارح في أسرار العبادات (ص ١١٣) في هذا المورد: وقد حكم الله بمقتضى فضله وموجب وعده أن يلبس الفاني بقاءً من بقائه ويخلع عليه خلعة أصفيائه، فالتشهد.

(١٦٦) الباب ١٧، في التشهد: «التشهد ثناء... مرتبته عند الله» إلى آخر الوصل.

(١٦٧) القصص: ٦٨.

(١٦٨) إشارة إلى قوله تعالى: «... يا أيها الذين آمنوا صلّوا عليه» (الأحزاب: ٥٦).

(١٦٩) إشارة إلى قوله تعالى: «فاغفر للذين...» (غافر: ٧) وقوله: «واستغفر لهم» (آل عمران: ١٥٩) وقوله: «واستغفر لهن» (الممتحنة: ١٢).

(١٧٠) الباب الثامن عشر، في السلام «معنى السلام... وإن فشاه في الحق» مع اختلاف يسير.

(١٧١) القائل هو ابن العربي في الفتوحات، ج ١، ص ٤٣٢ في ذيل «فصل بل وصل في التسليم من الصلاة»: «واعلم أن السلام لا يصحّ من المصلي إلاّ أن يكون المصلّي...» مع الشرح.

(١٧٢) الخروج منها: من هنا إلى آخر الوصل يعني قوله: «للدخول عليهم»، ساقط من ص ١٤٠ من نسخة ن ونقل في أوّل ص ١٤٤.

(١٧٣) البقرة: ١١٥.

(١٧٤) وسائل الشيعة، ج ٤، ص ٣، حديث ١٦ ـ ١؛ الكافي، ج ٣، كتاب الزكاة، باب فرض الزكاة، حديث ١٩ ـ ١ ص ٥٠٢ ـ ٤٩٦.

(١٧٥) وضع رسول الله (ص) الزكاة على تسعة أشياء: الحنطة والشعير والتمر والزبيب (هي الغلات الأربع) والذهب والفضة (هما النقدين) والغنم والبقر والإبل (هي الأنعام) (الكافي، ج ٣، كتاب الزكاة، باب ما يزكى من الحبوب، ص ٥١٠، حديث ٣).

ونصاب كل واحد منها، مبيّنة في كتاب الزكاة من الجوامع الفقهية والروائية.

(١٧٦) إذا بلغ الذهب مثلاً أربعين ديناراً فنصاب الزكاة فيه دينار واحد وهو ربع العشر. وقال صاحب الفتوحات (ج ١، ص ٥٩٣): رُبع العشر أعنى عشرها لأن عشر الأربعين، أربعة وربع الأربعة واحد فالواحد وهو رُبع الأربعة، رُبع العشر.

(١٧٧) إشارة إلى قوله تعالى: «ومن جاء بالحسنة فله عشر عشر أمثالها» (الأنعام: ١٦٠).

(١٧٨) الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة للسيوطي، هامش الفتاوي الحديثة لابن حجر، ص ٨٦ تعبير عن «النخلة» بـ «عمة» الإنسان على ما قال صاحب الفتوحات: إنها خلقت من فضلة خميرة طينة آدم. فهي أخت لآدم وعمة لنا. الفتوحات، ج ١، الباب ٨، ص ١٢٦.

(١٧٩) فروع الكافي، ج ٣، كتاب الزكاة، باب العلة في وضع الزكاة على ما هي، ص ٥٠٧؛ من لا يحضره الفقيه ج ١، ص ٤؛ علل الشرايع، ج ٢، باب ٩١، ص ٣٦٩ وكأنّ الشارح تصرّف في العبارة ونقل بعض عبارات الحديث بالمعنى.

(١٨٠) الأنعام: ١٦٠.

(١٨١) إشارة إلى آية ٢٦١ من البقرة.

(١٨٢) تفسير فرات، ص ١٣٦ ـ ١٣٣ والشارح نقل مفاد الحديث؛ ج ١٨، ص ٣٠٠: «خلق الله ملكاً على صورة عليّ إذا اشتاقه الملائكة، زاروه».

(١٨٣) في هذا المعنى، ورد أخبار كثيرة منها ما في أصول الكافي، ج ١، كتاب الحجة، باب أن الأرض لا تخلو من حجة، ص ١٧٩ ـ ١٧٨.

(١٨٤) مستفاد من آية ١٤ من آل عمران.

(١٨٥) الأحزاب: ٦٢.

(١٨٦) الطلاق: ١٢.

(١٨٧) يحتمل أن يكون إشارة إلى حديث «لولاك لما خلقت الأفلاك» وما في هذا المعنى: أصول الكافي، ج ٢.

(١٨٨) علل الشرايع، ج ١، باب ٨٥، حديث ٤.

(١٨٩) سنن الترمذي، ج ٥، ص ٥٩١، حديث، ٣٦٢١.

(١٩٠) مستفاد من أحاديث في هذا الباب، منها ما في أصول الكافي، ج ٢، كتاب الإيمان والكفر باب الإخلاص، حديث ٦، ص ١٦.

(١٩١) الباب ٢٢، في الزكاة.

(١٩٢) مستفاد من آية ٦٦ من الرحمن.

(١٩٣) الرحمن: ١٣ وآيات أخرى من هذه السورة.

(١٩٤) معاني الأخبار، ص ٣٢١ وسنن الترمذي، ج ٥، ص ٥٣٢، حديث ٣٥١٠.

(١٩٥) فروع الكافي، كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل الصوم، حديث ٢ ص ٦٢.
(١٩٦) نفس المصدر.
(١٩٧) علل الشرايع، ج ٢، الباب ١٠٩، حديث ١، ص ٣٨٤.
(١٩٨) البقرة: ١٨٣.
(١٩٩) مبلغ (علل الشرايع، ج ٢، باب ١٠٨، حديث ١، ص ٣٧٨): منع م ن د.
(٢٠٠) علل الشرايع، ج ٢، الباب ١٠٨، ص ٣٧٨ مع اختلاف يسير.
(٢٠١) الباب ٢٠، في الصوم.
(٢٠٢) أيضاً عن أبي عبد الله (ع) في فروع الكافي، ج ٤، كتاب الصيام، باب ما جاء في فضل الصيام، ص ٦٣ حديث ٦: صحيح مسلم، ج ٢، كتاب الصيام، الباب ٣٠، الحديث الرقم ١٦٣، ص ٥٠٨.
(٢٠٣) انتهى ما نقل عن مصباح الشريعة.
(٢٠٤) مستفاد من حديث: «إن الشيطان يجري...»: سنن ابن ماجه، ج ١، كتاب الصيام، ص ٥٦٥ حديث الرقم ١٧٧٩: المحجة البيضاء، ج ٢، ص ١٢٥ و ج ٥، ص ٥٢؛ بحار، ج ١٤، ص ٦٣٤.
(٢٠٥) البقرة: ١٨٥.
(٢٠٦) فروع الكافي، ج ٤، كتاب الصيام، باب فضل شهر رمضان، حديث ١، ص ٦٥؛ بحار، ج ٥٥، ص ٣٧٦.
(٢٠٧) «نقل الإمام الرضا عليه السلام عن التوراة: «جاء النور من جبل طور سيناء وأضاء لنا من جبل ساعير واستعلن علينا من جبل فاران» (التوحيد، باب ذكر مجلس الرضا، ص ٤٢٧ وأيضاً راجع الكتاب المقدس سفر التثنية فقرة ٢٣ فالأول إشارة إلى بعثة موسى والثاني إلى بعثة عيسى والثالث إلى بعثة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه وآله.
(٢٠٨) أي «الصوم جنة» الذي نقله عليه السلام عن النبي.
(٢٠٩) يوسف: ٥٣.
(٢١٠) القائل هو أبو حامد محمد الغزالي، في إحياء علوم الدين ج ١، كتاب أسرار الصوم، ص ٢٣٨ وتبعه الفيض الكاشاني في المحجّة البيضاء. ج ٢، ص ١٢٨.
(٢١١) بحار، ج ٩٦، ص ٧٨، حديث ١٠ و ١١ و ١٢.
(٢١٢) الأنفال: ٣٥.
(٢١٣) علل الشرايع، ج ٢ باب ١٣٦، ص ٢٩٧ وفي وجوه التسمية أيضاً راجع: تفسير الكشاف، ج ١، ص ٧٨ ذيل تفسير آية ٩٦ من آل عمران: مجمع البيان، ج ١، ص ٧٩٦ و ٧٩٧ ذيل تفسير آية ٩٦ آل عمران.
(٢١٤) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٢٧، ص ٢٩٧.
(٢١٥) نفس المصدر، باب ١٣٨، ص ٩٣٨.
(٢١٦) نفس المصدر.
(٢١٧) وهي سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر (نفس الحديث في المصدر السابق).
(٢١٨) الكافي، ج ٤، كتاب الحج، باب أن أول ما خلق الله من الأرضين، ص ١٨٩؛ علل الشرايع، ج ٢، ص ٣٩٩، باب ١٤٠.

(٢١٩) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٤١، ص ٤٠٠.
(٢٢٠) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، كتاب الحج، باب في علل الحج، حديث ٨ و ٩، ص ١٢٧ وقريب منه ما في الكافي، ج ٤، كتاب الحج، باب في حج آدم، ص ١٩٠ وباب حج ابراهيم ص ٢٠١.
(٢٢١) تمنى كبشا: من لا يحضره الفقيه، ج ٢، باب في علل الحج، حديث ٩ ص ١٢٧.
(٢٢٢) نفس المصدر.
(٢٢٣) نفس المصادر في باب حج آدم وحج ابراهيم.
(٢٢٤) آل عمران: ٩٦.
(٢٢٥) المائدة: ٩٧.
(٢٢٦) الحج.
(٢٢٧) الحجّ: ٢٩.
(٢٢٨) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٣٤، ص ٣٩٦.
(٢٢٩) إشارة إلى حديث «كنت كنزاً مخفياً».
(٢٣٠) الرحمن: ١٧.
(٢٣١) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٦١، ص ٤٢٤.
(٢٣٢) مسند أحمد ج ١٥، ص ٢١٨ حديث ٨٠٦٧ «لو كان الدين عند الثريا لذهب رجل من فارس. أو أبناء فارس حتى تتناوله» وفي نفس المصدر، ص ٩٦ حديث ٧٩٣٧: «لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس» وسنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٨٤ و ٤١٤ و ٧٢١ مع اختلاف يسير. وأقول: أيّ مناسبة لهذا الخبر والموضوع وهل العراق هو الفارس!
(٢٣٣) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٦٣، حديث ١، ص ٤٢٨.
(٢٣٤) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٥٩، حديث ٣، ص ٤٢٠، والشارح نقل الخبر بالمعنى: الكافي، ج ٤، كتاب الحجّ، باب علة الحرم، حديث ٢، ص ١٥٩.
(٢٣٥) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٤٢، ص ٤٠٠: الكافي، ج ٤، كتاب الحجّ، باب في حجّ آدم، حديث ١ و ٢ ص ١٩٠ والشارح لخّصه ونُقل بمعناه.
(٢٣٦) الكافي، ج ٤، كتاب الحج، باب بدء الحجر، حديث ٣، ص ١٨٥ والشارح لخصه ونُقل بمعناه وسيأتي في ص ٧٠٤.
(٢٣٧) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٦١.
(٢٣٨) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٦١، حديث ٧ و ٨ ص ٢٢٦ حديث ٩ ص ٤٢٧ وجدير بالذكر أن الشارح، اقتبس من الأخبار أو لخّصها ونُقل بمعناها وركّبها معاً، ومع ذلك ذكرها بعنوان الخبر فتذكّره لئلا يلتبس عليك الأمر.
(٢٣٩) نفس المصدر، باب ١٥٩، حديث ٤، ص ٤٢٢.
(٢٤٠) من هنا شرع الشارح بشرح الحديث الذي مرّ في ص ٦٩٢.
(٢٤١) بيوتات إلهية ومساجد: مستفاد من قوله تعالى: «في بيوت إذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه...» (النور: ٣٦) و «وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله» (الحج: ٤٠).
(٢٤٢) علل الشرايع، ج ٢، حديث ١، ص ٣١٤؛ بحار، ج ١٨، ص ٣٥٧.
(٢٤٣) مرّ في ص ٦٧٧، وفي الكتاب المقدس، سفر التثنية، فقرة ٣٢، ص ٢٣٤: «جاء الرب عن سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران».

(٢٤٤) الأولى: أي طور سينا والثاني: أي ساعير والثالث: أي جبل فاران.

(٢٤٥) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٣٢ ص ٣٩٦ عن أبي عبد الله (ع) وهكذا في المحجة البيضاء، ج ٢، ص ١٥٣ وفيهما: «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة».

(٢٤٦) ابراهيم: ٣٧.

(٢٤٧) القصص: ٤٤.

(٢٤٨) الوافي، ج ٣، أبواب القصص، ص ١٠٤: الكافي، ج ٨، الروضة، ص ٧٠ وسنن الترمذي ج ٥، ص ٧٢٦ حيث ٣٩٣٥.

«اليمان واليماني، نسبة إلى اليمن، بلدة عن يمين القبلة من بلاد الغور» (منه. هامش م، ص ١٤٨ و د، ص ١٨٠).

وجه التأييد بهذا الخبر، أنّ صاحب النهاية قال في تفسيره: إنّ الإيمان بدأ من مكة وهي من تهامة من أرض اليمن ولهذا يقال: الكعبة اليمانية. وقيل إنه صلى الله عليه وآله قال هذا القول بتبوك، ومكة والمدينة يومئذ بينه وبين اليمن فأشار إلى ناحية اليمن وهو يريد مكّة والمدينة. وقيل: أراد بهذا القول، الأنصار لأنّهم يمانون وهم نصروا الإيمان والمؤمنين وآووهم، فنسب الإيمان إليهم ـ انتهى.

أقول: أمّا السرّ في القول الأوّل، فهو أنه لمّا كانت الكعبة المعظمة ـ زادها الله شرفاً ـ مولد علي عليه السلام وهو باب العلم والحكمة والإيمان، بل هو الإيمان كما قال في خطبة البيان، فنسبة الإيمان إلى الكعبة اليمانية، إنّما يتصحح بهذا الاعتبار وكذا سر القول الثاني حيث أشار إلى مكة. وأمّا الإشارة إلى المدينة، فلأنّ النبي صلى الله عليه وسلم، لما خرج في غزوة تبوك، جعل علياً عليه السلام خليفة على المدينة فهذه الإشارة أيضاً بذلك الاعتبار وفي هذا السفر، صدر عنه صلى الله عليه وسلم خبر المنزلة وهو قول: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» كما نقله المخالف والمؤالف. (منه. هامش م ص ١٤٨ و د ص ١٨٠ ص ١٥٠).

(٢٤٩) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٦٣، ص ٤٢٨.

(٢٥٠) القائل هو ابن العربي في الفتوحات، ج ١، الباب ١٣، ص ١٤٨.

(٢٥١) أي في شرح أحاديث باب ٥٠ من كتاب التوحيد (باب العرش وصفاته).

(٢٥٢) خصال، ص ٤٠٧ في باب الثمانية، حملة العرش ثمانية؛ الفتوحات ج ١، ص ١٤٩ بقوله: «وأما العرش الذي هو السرير، فإن لله ملائكة يحملونه على كواهلهم... الواحد على صورة الإنسان، والثاني على صورة الأسد والثالث على صورة النسر والرابع على صورة الثور»؛ اعتقادات الصدوق، في باب اعتقادنا في «العرش».

(٢٥٣) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٤٢، حديث ٢، ص ٤٠٢، رواه عن أبي عبد الله (ع).

(٢٥٤) البقرة: ٣٠.

(٢٥٥) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٤٣، ص ٤٠٦. وكما ذكرنا مراراً لخّص الشارح أغلب الأخبار التي نقل أو نقلها بمعناها وهكذا فعل ها هنا أيضاً.

(٢٥٦) إشارة إلى حديث المشهور: «كنت كنزاً مخفياً».

(٢٥٧) الكافي ج ٤، كتاب الحج، باب بدء الحجر، حديث ٣٠، ص ١٨٥.

(٢٥٨) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٥٩ ص ٤٢٠ و ٤٢٢ ومرّ سابقاً في ص ٦٩٣.

(٢٥٩) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٥٦، ص ٤١٥.

(٢٦٠) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٥٧، ص ٤١٦.
(٢٦١) علل الشراع، ج ٢، باب ١٥٧، حديث ٧، ص ٤١٩.
(٢٦٢) الحج: ٢٧.
(٢٦٣) الكافي، ج ٤، كتاب الحج، حديث ٦ ص ٢٠٦؛ علل الشرايع: ج ٢، باب ١٥٨، ص ٤١٩.
(٢٦٤) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٥٨، ص ٤٢٠.
(٢٦٥) نفس المصدر، ج ٢، باب ١٦٠، ص ٤٢٣.
(٢٦٦) القائل هو أستاذه الفيض الكاشاني في جامعة الوافي، كتاب الحج، باب حجّ ابراهيم واسماعيل.
(٢٦٧) الأعراف: ١٥٨.
(٢٦٨) معاني الأخبار، ص ١٠٨، (مرّ في ص ٢٢٢).
(٢٦٩) البقرة: ٧٤.
(٢٧٠) فروع الكافي، ج ٣، كتاب الصلاة، باب فضل الصلاة، ص ٢٦٥، حديث ٩.
(٢٧١) البقرة: ٢٨٦.
(٢٧٢) النجم: ٣٩.
(٢٧٣) من لا يحضره الفقيه، ج ٢، في فضائل الحج، حديث ٤٠، ص ١٣٨.
(٢٧٤) نفس المصدر، حديث ٤١، ص ١٣٨.
(٢٧٥) الكافي، ج ٤، كتاب الحج، باب نادر، ص ٢٢٤.
(٢٧٦) علل الشرايع، ج ٢، باب ١٩٠، ص ٤٤٣.
(٢٧٧) الباب ٢١ في الحج.
(٢٧٨) آل عمران: ٩٧.
(٢٧٩) انتهى ما نقل عن مصباح الشريعة.
(٢٨٠) التوبة: ٣٦.
(٢٨١) العنكبوت: ٦٩.
(٢٨٢) المحجة البيضاء، ج ٥، ١٣ و ١١٥؛ الكافي ج ٥، كتاب الجهاد، ص ١٢، حديث ٣.
(٢٨٣) مستفاد من قوله تعالى: «ليحق الحق ويبطل الباطل» (الأنفال: ٨).
(٢٨٤) مستفاد من قوله تعالى في سورة الصف: ٨.
(٢٨٥) مستفاد من قوله تعالى: «زيّن للنّاس حب الشهوات...» آل عمران: ١٤.
(٢٨٦) الباب ٨٠، في الجهاد والرياضة.
(٢٨٧) العنكبوت: ٦٩.
(٢٨٨) «إن ابنته قالت له: مالي ارى الناس ينامون ولا أراك تنام؟! قال يابنتاه: إنّ أباك يخاف البيات». (تفسير جوامع الجامع للطبرسي، ج ١، ص ٤٥٥) والبيات إشارة إلى قوله تعالى: «قل أرأيتم إن اتاكم عذابه بياتاً» (يونس: ٥٠) و «كم من قرية أهلكناها فجاءها باسنا بياتا» (الأعراف: ٧٤).
(٢٨٩) يحتمل أن يكون الشيخ فريد الدين العطّار.
(٢٩٠) المؤمنون: ١٧.
(٢٩١) أصول الكافي، ج ١، كتاب العقل والجهل، حديث ١٤، ص ٢٠.

(٢٩٢) مصباح الشريعة: الباب ٢٣، في الورع.

(٢٩٣) مصباح الشريعة، الباب ٣١ في الزهد، عن رسول الله (ص) والغرر والدر للآمدي، في حرف الحاء، عن عليّ (ع).

(٢٩٤) مصباح الشريعة، الباب ٣٢، في صفة الدنيا.

(٢٩٥) مصباح الشريعة، الباب الرابع، في الإخلاص.

(٢٩٦) كما قال الأول: مصباح الشريعة، الباب الرابع، في الإخلاص، والمقصود من الأول، ظاهراً هو الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

(٢٩٧) الحجر: ٩٩.

(٢٩٨) مستفاد من قول النبي (ص): «احثوا التراب في وجوه المداحين» صحيح مسلم، ج ٥، كتاب الزهد، ص ٤٩٨ وسنن أبي داود ج ٤، ص ٢٥٤.

(٢٩٩) مستفاد من آية ٢٣ من الحديد.

(٣٠٠) شرح غرر ودر الخوانساري، ج ٢، ص ٥٨٠.

(٣٠١) مصباح الشريعة، الباب ٣١، في الزهد.

(٣٠٢) مصباح الشريعة، الباب ٩٨.

(٣٠٣) مصباح الشريعة، الباب ٢٣، في السلامة.

(٣٠٤) الفجر: ٢٨ ـ ٢٧.

(٣٠٥) غافر: ١٦.

(٣٠٦) الجاثية: ٢٣.

(٣٠٧) العنكبوت: ٦٩.

(٣٠٨) مستفاد من قوله تعالى: «ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله..» (النساء: ١٠٠). والخارج من بيت نفسه، هو الثاني.

(٣٠٩) مستفاد من الحديث المشهور: «... لا يزال يتقرب العبد...».

(٣١٠) في هذا المعنى: أصول الكافي، كتاب الإيمان والكفر، باب الشكر، حديث ٦ ص ٩٥.

(٣١١) مصباح الشريعة، الباب ٦٤ في الأمر بالمعروف.

(٣١٢) البقرة: ٤٦.

(٣١٣) أبو ثعلبة الأسدي في مصباح الشريعة، وأبو ثعلبة الخشني في سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٥٧ ومجمع البيان، ج ٣، ص ٣٩٢.

(٣١٤) المائدة: ١٠٥.

(٣١٥) انتهى ما نقل عن مصباح الشريعة، الباب ٦٤ في الأمر بالمعروف.